A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

UNIVERSITY
LIBRARY

In memory of Mary &
Fuad As'ad Khairallah

A.U.B. LIBRARY

يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره

السفور والحجاب

محاضرات ونظرات

موضوعها

تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

تأليف

الآنسة نظيرة زين الدين

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلفة

بيروت ١٣٤٦ - ١٩٢٨

مكتبة

فؤاد اسعد خيرالله

Fuad S. Khairallah

Book No.

يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره

السفور والحجاب

CA
305.486
Z397sA
c.1

محاضرات ونظرات

مرماها

تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

تأليف

الآنسة نظيرة زين الدين

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلفة

بيروت ١٣٤٦ – ١٩٢٨

مطابع قوزما

L55-26/84

قال الله تعالى

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

وقال تعالى : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ . فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا .

وقال تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟

وقال تعالى : يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا .

وقال تعالى : أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ، أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

وقال تعالى : فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ .

اهداء الكتاب

الى ابي سعيد بك زين الدين

الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية

اليك يا أبي

اليك اهدي، في معرض شكري لآلائك، باكورة اثاري «السفور والحجاب»، وما هي الا انعكاس لأشعة نور علمك، وحرية ارادتك وفكرك. انارنا الله، وانار الامة بالهدى، ووفقنا، ووفقها الى الطريق السويّ، والصراط المستقيم.

ابنتك

نظيره

فهرست الكتاب

فاتحة الكتاب ، وفيها سبب وضعه

القسم الاول

جولات عامة

في الحرية ، والحق ، والشرع ، والدين ، والعقل

١ حرية الاديان والمذاهب
٣ حرية العلم واستقلاله
٦ حرية السفور وحرية الحجاب
٨ الشرك الاصغر
٩ حرية الدين والعمل في كتاب الله . لا مسيطر ولا وكيل على المسلم والمسلمة في امر الدين . والعمل به
١٢ خطاب الى المسيطر . وفيه النفس المرضية ، والنفس الامارة بالسوء ، والجهاد الاكبر
١٤ نداء الى السلطات
٢٣ الحرية ، اساس الحياة الانسانية الراقية . وفيه حرية الفكر وحرية الارادة
٢٥ موقفي وخطتي
٣٠ خطابي الى اخواني الحجابيين

٣٥ الدفاع الحر المقدس عن الحق . وفيه الشرع ما شرع الله تعالى لعباده

٣٧ اختلاف الاقوال والروايات بين معسر وميسر ، واسباب البدع المختلفة . وفيه صوت لمحمد عبدو ، وصوت للنعساني ، وصوت للفقيه

٤٦ الحجر على العقول . وفيه صوت جاهر للافغاني ، وصوت لسيدي محي الدين العربي ، وصوت للغلاييني ، وصوت صارخ لمحمد عبدو

٥١ نداء الى قضاة الاجتماع . وفيه قاعدتان شرعيتان ، وقاعدتان قانونيتان . ووصف القرآن

٥٥ الدين والعقل متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان . وفيه العقل شرع من داخل والشرع ، عقل من خارج

٥٧ المسلم ليس اكمل من المسلمة ديناً وايماناً ، فالرجل خرق احكام الدين ويرائي فيه

وفيه : انتحال عذر للرجل ، ولومه في وقت واحد

٦٧ المرأة اصلح من الرجل في الفطرة عقلاً . هو يرجحها بالقوة الجسديه ، وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية

٧٠ وفيه : عبارات للفيلسوف استوارت فيها لنا عبرة

٧٥ وفيه: البنات اصلح من البنين

٧٧ وفيه : كيف عامل الرجال الاقدمون نساءهم ،

وفيه : الحمامة خير من النسر ، والحمل خير من السبع ،
وباستور وامثاله ، خير من اتيلا وامثاله
٨٤ وفيه: روح المرأة، نصير الرجل في الجهاد الاكبر
٨٨ وفيه : كيف تريد المسلمات ان يكون رجالهن
٩٠ وفيه: ترجيح الرجل في الارث،والشهادة،وتعدد الزوجات،
واستبداده بالطلاق ، حجج عليه لا له
٩٩ وفيه: بقية آيات الله واحاديث رسوله في كمال عقل المرأة
١٠٦ للمسلمة مثل ما للمسلم في ادراك الحق وبيانه

القسم الثاني

الادلة العقلية

في السفور وتحرير المرأة والتجدد الاجتماعي

وتخللها ادلة دينية

لأن العقل والدين متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان

١٠٩ نظرتان : نظرة الى العالم السافر ، ونظرة الى العالم المحجب ،
وفيه: المفتري المزور على الناس انما حجته لهم عليه
١١٦ كيف ينبغي للرجال ان يكونوا قوامين على النساء
١١٧ وفيه : النقاب اهانة للمرأة والرجل
١١٨ وفيه: لماذا اسمي النقاب ذنباً
وفيه: رد على امير الشعراء لقوله
إن السفور كرامةٌ ويسارةٌ لولا وحوشٌ في الرجال ضواري

١٢٢ وفيه: تأثير النساء في صلاح المجتمع بقدر ظهورهن فيه
١٢٥ وفيه: النقاب يحرم الرجل ان يكون قواماً على المرأة
١٢٧ الخير والصلاح في حرية المرأة
وفيه: الحرية شمس لابد لها من انارة العالمين كلهم اجمعين
وفيه: نداء الى شباب المسلمين في الاقطار العربية
١٣٤ ادارة عرفية ظالمة معلنة في كل بيت
وفيه: كيف يكافئ الرجل امه ويبر بها
١٣٧ قانون جائر وحكم ظالم
١٤١ المرأة مرآة الرجل
١٤٢ التكمل العقلي والادبي في المدرستين. المدرسة. والعالم
١٤٤ وفيه: الاجتماعات العيلية مراقي لاخلاق
وفيه: صوت للرصافي
وفيه: الاجتماعات العيلية عندنا ورد للاشوك
١٥٠ في الراهبات وامثالهن عبرة لمن اعتبر
وفيه: صوت لمحمد عبدو
وفيه: صوت للزهاوي
١٥٨ لماذا اخاطب الرجل اكثر مما اخاطب المرأة لتحريرها
١٦٢ السفور يلد الامهات المنجبات. ونماء الامقورقيهاو ليدارقي الام
١٦٤ رأي المرحوم سعد زغلول في السفور
١٦٥ اقوال تافهة للرجال يسترون بها جبنهم في موقف الاقدام

على ما يؤثرون
١٧١ تعليق السفور، على تعميم التليم والتهذيب، دور وتسلسل باطلان
١٧٣ الجامدات موميات، والمتجدادت نيرات
١٧٥ مساوى التقليد والعادة

القسم الثالث

الادلة الدينية

في السفور وتحرير المرأة والتجدد الاجتماعي

وتخللها ادلة عقلية

لان العقل والدين متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان »

١٧٩ اصول الدين وكتب التفسير
١٨٠ آيتا الحجاب والقَور في البيوت المختصتان بنساء النبي صلى الله عليه وسلم واقوال المفسرين الكرام، ونظرات لي فيها
١٨٧ المفسرون مجمعون على ان آية (قَرنَ)وآية الحجاب مختصتان بنساء النبي ، والادلة على اختصاصهما بهن
١٩٠ اجتماع الرجال والنساء امر واقع ، وقد اباحه الشارع
١٩٤ (قَرنَ) امر من قار لا من قرّ
١٩٨ إستطراد لاقوال المفسرين الكرام في ما يتعلق بالجغرافيا ، والتاريخ ، والفلك ، ونظرات لي فيها
وفيه، القرآن، مصباح الهدى، ومنار الحكمه ، ودليل المعرفة،

ولكن المفسرين اكثروا من التخيل، واخطأوا في التفكر،
والفرق بين الاقدمين والمتأخرين
٢١٣ اقتراح على الامة
٢١٥ الآيتان الكريمتان اللتان يستند اليهما بعض رجالنا في ستر الوجوه، واقوال المفسرين الكرام، ونظرات لي فيها
٢٣١ وفيه: دعوتي الرجل الى الانصاف
٢٣٢ وفيه: المعنى السامي الذي افهمه من كتاب الله
٢٣٧ الاحاديث الشريفة في السفور
٢٤١ لا إجماع في ستر الوجوه
٢٤٤ ستر الوجوه خوف الفتنة، الخوف من وقوع الاثم في قلب الرجل، والاحاديث الشريفة التي يستندون اليها في هذا الشأن، ونظرات لي
وفيه: القياس على ما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه بنصر بن حجاج قياس فاسد
وفيه: النقاب يفسد، والفتنة اليوم في النقاب لا في السفور. وصوت للشيخ الغلاييني
وفيه حق للزوجة على زوجها، وحق للزوج على زوجته
٢٥٨ ستر الوجوه خوف الفتنة. الخوف من الرجل ان تبلغ من نفسه الفتنة حد الفجور، ونظرات لي
وفيه: بطلان سبب الحجاب، وزوال مانع السفور

وفيه : التحجب والتخدر والتخدير عندنا وتطويل الاظافير في الصين
وفيه: قولان للشيخ عبد القادر المغربي ،وكلمة الى اهل المدن
٢٧١ مجانبة الرجال الحق مع اعترافهم به

القسم الرابع

في

المعارضات والردود

— ١ —

٢٧٥ معارضة قاضي الشرع السابق ، ونظرات لي فيها

— ٢ —

٢٨٠ معارضة الشيخ سعيد البغدادي في رسالته « السيف البارق في عنق المارق » ونظرات لي فيها وردود
وفيه : فقرات من محاضرة الآنسة عنبره سلام
١٨٦ نظرات خاصة الى الطلاق، ومقابلة بين ما يريده الله وما يفتون به
٢٩٤ ليس السفور من مسببات الطلاق، بل الحجاب من مسبباته
٢٩٥ تتمة معارضة الشيخ والرد عليه
٢٩٨ خطابي الاخير الى الشيخ، وفيه بحث عن تلك اللعبة « انا اعمى مابشوف انا ضراب السيوف »

ـ ٣ ـ

٣٠٢ معارضة الشيخ ابراهيم القاياتي الازهري . بدع يجود بها على النساء
٣٠٣ امير الشعراء يصف المسلمات
٣٠٤ براهيني على وجوب تكمل المرأة علماً وادباً في المدرستين: المدرسة والعالم
٣١٢ حجج الشيخ الازهري في منع تعليم المسلمة الكتابة ، وعلماً آخر غير الغزل . ونظرات لي فيها
٣١٩ حجج الشيخ الازهري في وجوب استتار المسلمة عن غير المسلمة ، وستر قلامة ظفرها . وتغليظها صوتها ، ونظرات لي في اقواله ، وفي الاقوال المستند اليها
٣٢٦ كلمة للفيلسوف اسبنسر فيها لنا عبرة
٣٢٨ فقرة جليلة من خطبة الامير علي خان

ـ ٤ ـ

٣٢٩ معارضة الشيخ محمد رحيم . اقواله في الملبس وعتب عليه وعلى امثاله لتركهم السنن ولباب الامور ، وتعلقهم بالبدع والقشور . وعتب على الامة
٣٣٣ اكراه النساء على الأخذ بالقشور والبدع، أوجب امتهانهن
٣٣٥ الاشتراك مع الآخرين، في الملبس لا يعني التشبه بهم فيه. فنبينا، صلى الله عليه وسلم، اشترك واياهم في لبس البرانس والقلانس

٣٣٧ إشتراكنا والافرنج في الملبس لنا فيه من الخير اكثر مما لهم
٣٤٠ النقاب موروث عن عبدة الاصنام وليس من خصائص الاسلام
٣٤١ كتاب الله يحبب الاشتراك في الملبس ويؤنب القائلين بعكس ذلك
٣٤٤ المقابلة بين ما امر الله ورسوله من جهة، وما قال ابن عابدين من جهة اخرى. ونظرات لي
٣٥٨ المسلم حر في ملبسه. وخير لباس كل زمان لباس اهله
٣٦١ حفش اللباس، لا يلبس بين الناس، ولبسه كفران لنعم الله
٣٦٢ المسلم حر في لباس رأسه، ولبس المظلات او البرانيط، خير من لبس القلانس المتركة او الطرابيش
وفيه: كلام ملك من الاسلام وملكة

— ٥ —

٣٧٦ معارضة الشيخ مصطفى الغلاييني. التناقض في اقواله، للمرأة وعليها. ونظرة في تناقض اقواله
٣٧٩ لا محل للوعيد والتهديد
٣٨٣ لا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها، انهما حقان حقيقان بها
٣٩٢ الرجل يكره المرأة على التزين ثم يتخذ من ذلك حجة عليها
٣٩٤ ليس النساء مصدر الشر، اكثر الخير فيهن. المرأة شريكة الرجل في الحكم الشعبي، والرجال والنساء في المبايعة او حق الانتخاب سواء

٤٠٢ يغضب الرجل على المرأة ان لم تكن حرة ، وتغضبه اذا ارادت ان تكون حرة
٤٠٣ المرأة لا تطلب الا ما خولها شرع الله من الحرية والحقوق . إن في ذلك صلاح العيلة والمجتمع . وبيان للشيخ عبد القادر المغربي
٤٠٨ سيطرة الرجل وسلطانه المقيدان، وسيادة المرأة
٤١١ ليس الاعراب اشرف من الحضر، وليس اهل القرى اشرف من اهل المدن
٤١٣ خصم في الشباب، ونصير في الكهولة

النتيجة

٤١٤ وفيها : لو بعث اليوم ابو حنيفة حياً
وفيها: الحريةُ تؤخذ وتُعطى

فاتحة الكتاب

باسم الله ابتدئ، اما بعد فكل مسلمة يرفع الغطاء عن بصرها وبصيرتها، فترى ما افاض الله تعالى عليها في كتابه من انوار الحرية، وتعلم عطف نبيه عليها، وتكريمه اياها، وتفهم ما خولها سبحانه وتعالى من الحقوق الشرعية، لا بد لها من ان تتألم نفسها من مظاهر الظلم والاستعباد، ومما فسد من التقاليد والعادات، فتنطلق الى التجدد الصالح، والحق الواضح، في طريق الحياة.

بدأت ادرس شؤون الشرق واحوال المرأة فيه. منذ بدأت افهم معنى الحق، والحرية، واستقلال الارادة، والاعتماد على النفس، وعدم كفاية التقليد في دين الله، بل عدم جوازه، فما اغرب ما رأيت فيما درست، وما اكثر ما ساءني، وما اعظم ما كظمت، حتى حدث في الصيف الماضي ما حدث في دمشق من ضغط لحرية المسلمات، ومنع لهن من السفور، والتمتع بالهواء، والنور. فتناولت القلم، لاظهر في محاضرة موجزة ما في النفس من ألم، فاذا بقلبي يمشي في اثر نفسي، واذا بنفسي المتألمة تطلب المزيد في البيان، وقد انفسح لها مجال للبحث عن امراض اجتماعية، نهكت قوانا، ونحن نكابر في المعقول والمحسوس اخفاء لها كاننا آلينا نعضدها لتقوى علينا ولو عاد الغرور بالخسران ومما يدمي قلبي اننا نشق،

مع ان عقاقير الشفاء من الشقاء في يدنا، ذلك بتحكيم العقل المطلق · امامه السنة والقرآن · فاضحت المحاضرة محاضرات ضافية · يضيق المتكلم عن القائها ذرعاً، والمخاطب عن تلقيها سمعاً

ولم أجز لنفسي في سبيل ايجازها · ان اترك من شرع الله لالىء بعد احرازها، ولئلا تبقى في حجاب · عن اولي الالباب · اودعتها ما يلي من الصفحات، وارسلتها سافرة الى الامــة في طليعة السافرات · تلكم اللواتي سينفخن فيها روح الحياة

وقد جعلت محاضراتي اربعة اقسام ونتيجة

القسم الاول : جولات عامة في الحرية · والحق · والشرع · والدين، والعقل .

القسم الثاني : الادلة العقلية على وجوب السفور، والتحرر ، والتطور في ما بحثت من الامور .

القسم الثالث: الادلة الدينية في ذلك ويتخللها ادلةٌ عقلية · كما يتخلل الادلةَ العقليةَ ادلةٌ دينية . لان الدين والعقل متآزران متضامنان في الحق لا يفترقــان .

القسم الرابع : المعارضات في ما بحثت، والردود عليها

وقد جعلت نقد محاضراتي حقاً لــكل مفكر ومفكرة . المسلمين والمسلمات اراؤهم في الامور الخاصة · ولهم ولغيرهم اراؤهم في الامور العامة حيث تشترك المصالح · ويُحكَّم العقل المطلق

غير اني ارجو ممن ينتقد في هذا الموضوع الحيويّ رغبةً في الافادة،

ان يقرأ كتابي ويؤثر الاعادة ، ليحيط علماً بكل ما في المحاضرات والنظرات. فأن ما يرى من فراغ في بحثٍ فالبحث الآخر يملأه، وما يتراءى من نقصٍ في بحثٍ فغيره يكمله .

ولا يخفى على الرجل الراقي ، نصير الحق والمرأة ، المدرك روح الاسلام وخير الامة ، أن ما سيقرأ من ملام وعتاب ، في معرض الدفاع او الخطاب . لا يتناول امثاله ، انما ذلك يتناول رجاله ، ان الملام والعتاب والحرج ، على من خالف كتاب الله وسنة رسوله ، وخالف حكم العقل، ولم يعرف نفسه ، وضلّ عن معالم الخير ، وجهل مصلحة الامة. وخفيت عليه طرق الصيانة والكرامة ، فبخس المرأة حقا ، وسام الحرة رقاً ، ذلك للمتقهقر او للجامد ، او للمرائي بالورع البارد .

وليعلم كل من خالف الكتاب ، وضلّ عن جادة الصواب ، ان الفتاة المسلمة ، لا ترجو الا الخير للعالم والامة

واني اشهد ان لا اله الا الله ، وبكتابه اعتصم ، وعليه اتكل ، وهو حسبي، ونعم الوكيل

واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، ولسنته السنية اتبع ، انها دليلي الى الحق والهدى ، ونعم الدليل

نظيره زين الدين

تنبيه — اني اجتزأت بعض الآيات مكتفية بما لزم موضوعي وقد وقع في بعضها سهو مطبعي ، فارجو ردّها الى الكتاب .

ومع فرط العناية لم يخل كتابي من بضع غلطات مطبعيـة أكِل اصلاحها الى القارئ اللبيب .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ. فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ».

القسم الاول

جولات عامة

في

الحرية ، والحق ، والشرع ، والدين ، والعقل

سادتي وسيداتي

منذ خلق الانسان اراد ان يمجّد خالقه ، غير ان الناس اختلفوا في طرق تمجيده لتباين العقول والاهواء ، فأثار اختلافهم حرباً بينهم عواناً ، طالما سفكت دماء وبتمت اطفالاً ، ورملت نساء ، واستعبدت احراراً ، وخرّبت دياراً ، وجعلت كل فئة منهم تصمُ الفئات الاخرى بالكفر والالحاد . فتن كانت تشب من اجل تعيين الطريق التي يجب ان يُمجد بها الله . ولاكراه الناس على سلوكها وحدها في تمجيده عز وجل.

وكان تابعو الطريق الواحد على مرّ الاجيال والعصور ينقسمون الى

فرق تعمل الواحدة منها لافناء الاخرى كأن في ذلك مجد الله . وما زالت الحال على هذا المنوال حتى سطعت في الظلمات التي كانت تكتنف العالم شمس الحرية الساطعة وما كان فجرها الا الكتب المنزلة وما كان حجابها من قبل ومن بعد الا الجهل والهوى ، فبددت انوارها تلك الظلمات وحررت كل دين وكل مذهب . فعاد الناس الى صوابهم وتجلت لهم الحقائق الدينية الصرفة فاتخذوا بعضهم بعضاً اخواناً وتبادلوا احترام المذاهب من حيث انهم متفقون على تمجيده تعالى وعلى ادب النفس الذي يرضيه ولسان حالهم يقول لخالق السموات والارض ما قاله الامام النابلسي:

عباداتنا شتى وحسنك واحدٌ وكلٌّ الى هذا الجمال يشيرُ

وما قال شاعر القطرين :

هذي المذاهب كلها نور الهدى كأشعة الشمس افترقنَ الى مدى
والملتقى في مصدر الانوار

فانتهى — والحمد لله — التنافر والقتال من اجل الدين ، واتفق دعاة المذاهب على حرية العمل في سبيل مجد الله ، وعلى السلام والتآخي ونصرة الصلاح ونشر المحبة في العالم . لانهم كلهم في طرقهم المختلفة صائرون الى الله . فكأنهم بذلك قد فطنوا الى قوله تعالى في كتابه العزيز [لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ . . . قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ . ٱللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ . لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ . لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . ٱللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ .]

وقد قدست الحريةَ الدينيةَ القوانين الاساسية في العالم كله

كذلك منذ خلق الانسان ، والناس فريقان ، فريق فطر على حرية التفكير والاستقلال والجهاد في التنقيب والاستقراء وتحري الحقائق وقبول نظريات العلم الحديث للترقي من حالٍ الى اصلح منها ، وفريق رأى ان لا يكلف نفسه عناء في تحليل النظريات الحديثة وآثر البقاء والجمود على ما وجد آباءه عليه مقتفياً آثارهم وعاداتهم كيف كانت هذه الآثار والعادات . وصبغ العلوم كلها من سياسية واجتماعية وطبيعية وفلكية وغير ذلك ، صبغها كلها بصبغة دينية لا تقبل تغييراً ، وجعل فيها اقوال المؤلفين السابقين كأنها اصول الدين.ولم يكتفِ بمنع اللاحقين ان يتفهموا اصول دينهم من منابعها الحقة بل منعهم ايضاً من تفهم هذه الاقوال ومن اختيار احسنها ، حاصراً فيه حق الاختيار ومجبراً الناس على العمل بما يختار للدنيا وللآخرة . واخذ يرمي بالكفر والمروق والالحاد كل مفكر اراد تحكيم العقل والتطور والارتقاء واعلان الحقائق التي لمسها في دينه ودنياه . ذلك ما كان يضع النفوس تحت الكابوس ، مثبتاً اياها في الجهل والطاعة العمياء ، طابعاً فيها المكر والخبث والرياء . وذلك ما كان يجمد العقول حاجراً عليها ان تحرك الا لتبدع قيداً او غلاً جديداً، تزيدها اسراً وحجراً وجموداً وتقييداً

ولقد دام تنازع هذه الفئة من رجال الدين ، ورجال العلم المستنيرين اجيالاً طوالاً حتى انتهى الامر بتكسر النصال الرامية بالكفر والمروق والالحاد، وبتحرر العلم واستقلاله بعد ذلك الجهاد . فاعترف الناس كافة

بان للعلم سلطاناً منفصلاً عن سلطان الدين ، قائلين انه لايجوز الخلط بين السلطانين لان الفائدة منهما كليهما انما تتم باستقلال الواحد عن الآخر ، وباستقلال اسلوب البحث العلمي الحر عن اسلوب البحث الديني المقيد . واعترفت هذه الفئة من رجال الدين كما اعترفت دائماً الفئة المنوّرة منهم لرجال العلم ، بانه لا يضير مجد الله ان يرتقي الانسان ويتحرر فكره وتستقل ارادته ، ويتولى عقله زمام نفسه ويسعى لكل ما فيه مصلحته في الدارين ومصلحة الناس . بل اعترف اكثر رجال الدين بان الامور الدينية هي مثل غيرها لها قشور وظواهر ولها لباب وسرائر ، وان الاعتناء باللباب والسرائر احرى منه بالقشور والظواهر . وعلى هذا القياس احترم ارباب الدين اربابَ العلم واحترم ارباب العلم اربابَ الدين ، وانتهى هذا الاحترام المتبادَل وتحرير الاثنين العلم والدين الى نفع الاثنين معاً .فتطور كل منهما بما نال الانسان فيهما من حرية التفكير وحرية اللسان والقلم تطوراً محسوساً لمسنا بالايدي عظم منافعه للهيأة البشرية .

انظروا الى العلم القديم، تروا ان مضاره قد تزيد على منافعه،اذ كان الوهم والخيال فيه يغلبان الحقيقة في كثير من الاحيان ، وكان العقل مقيداً يرهب من التجول لكشفها واللسان والقلم يرهبان من بيانها ليغلباها على الوهم والخيال ، وانظروا الى العلم الحديث وهو مستند الى الحقائق الثابتة المحسوسة ، وقد اطلق فيه العقل واللسان والقلم – تروا كيف اكتشف به الانسان اسرار الطبيعة وجواهرها ، وسخر لارادته قواها واستخدم في

منافعه عناصرها . ثم ان مفهوم بعض التعاليم الدينية عند ما كان العقل مقيداً محجوراً عليه ان يدرك الا بواسطة كنه اوامر الله وابواب الدين ، وان التعاليم الحديثة التي ينشرها الاجلاّء من علماء هذا الزمان الذي اطلق فيه العقل واللسان والقلم وكلها ترمي الى تحرير الفكر والعمل واحترام الآخرين ، وطلب الخير لكل الناس ، ذلك انما هو روح الدين وخلاصة خلاصات مبادئه العالية الخالصة .

لنسمع مثلاً ما قاله العالم بيار دودج في حفلة تنصيبه رئيساً للجامعة الاميركية في بيروت — والجامعة معهد انجيلي الصبغة — قال :

« ان المذهب الانجيلي في نظرنا عبارة عن الحرية الدينية ، ولكون معهدنا انجيلي الصبغة فاننا نرغب في ان نترك لتلامذتنا الحرية التامة في العبادة والمعتقد .... وما كنا في تربيتنا الروحية لنلقي اهمية على الاسماء والظواهر . .. وليست الديانة في نظرنا هدفاً غائياً نسعى للوصول اليه بالتهذيب ، ولا هي قدر من الحقائق الملموسة التي يمكن تلقينها ، ولا هي معتقد منصوص معترف بصحته ، بل هي شيء اهم من كل ذلك ، هي الشعور بقوة روحية تضبط قوى الحياة وتحملها على طلب الخير .... وان تكون حياة الروح ظاهرة في سلوك الفرد .... ولهذا اننا نسعى لنبث في ناشئتنا الجديدة — وهي اليوم في العالم اجمع ظامئة اي ظمأ لارتشاف حقائق العلم الحديث — حياة متجددة منيرة تجعل الديانة شيئاً عملياً في سيرة شباننا وقوةً حقيقيةً في احياء النفوس وتجديد عمران عالمنا الذي ازهقته الحرب الاخيرة . »

هذا ما قاله الرئيس المحترم . وكم من عالم في عالم الاسلام مفكر التي علينا من مثل هذه التعاليم الشريفة دروساً ، الخير والحكمة وروح الدين فيها . وتلك رسالة التوحيد للمرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، درس لنا نفيس من تلك الدروس

كذلك منذ خلق الانسان ، والناس مختلفون في الطريق المؤدّي الى حفظ المرأة ، فذهب بعضهم الى ان المرأة لا تحفظ الا بتذليلها وتجهيلها واستعبادها وحرمانها حريتها ، وحبسها محجوبة في بيتها . وسدل النقاب على وجهها ، لا نصيب لها من الهواء والنور مسنداً اليها نقص العقل ونقص الدين غير حاسب لها عملاً في المجتمع الا خدمة الرجل وبقاء النسل ،مذهب تمشى عليه من قبل اكثر الامم ثم قلّ دعاته وانصاره ، فامسوا في ايامنا هذه عدة ملايين نحن منها .

وذهب بعضهم عكس ذلك فاعترف المرأة بكمال العقل والدين وقال ان سفورها واحترامها وتعليمها وتحريرها، احفظ لها واضمن لسعادة العيلة والهيأة البشرية . وحسب ان لها في صلاح المجتمع تأثيراً عظيماً ، فاتبع هذا المذهب نحو من الف وخمسمائة مليون من الناس . تبعه بعضهم على اثر رقي العلم وحرية التفكير عندهم ، وتبعه الآخرون على اثر ظهور نوابغ تفانوا في حب المجتمع الانساني ونفعه وترقيته .

ولقد كان الروسيون المسيحيون من اشد الناس تمسكاً بالحجاب حتى مزق حجابهم بطرس الاكبر بامره الامبراطوري سنة ١٧٢٦ . وكان الاتراك المسلمون من انصار الحجاب فمزقه المصلح الاعظم مصطفى كمال منذ بضع سنوات . ومنذ زمن قريب وقف في الناس خطيباً فقال : «لقد احرزت نصراً مبيناً على التقليد والاعدآء، يرجع نصف الفضل فيه للجند والنصف الآخر لتمزيق الحجاب . »

وان اختلاف الناس في اي الطريقين افضل لصيانة المرأة : أسفورها أم حجابها كان يُحدث النزاع والفتن بينهم ، كذلك كان اختلافهم من قبل على الطريق الافضل لتمجيد الله مبعثاً للفتن ، وكذلك كان للفتن مبعثاً ، اختلافُهم على الطريق الموصل الى رقي البشر ونفعهم ، أهو طريق العلم مطلقاً فيه العقل والفكر ، ام طريق الدين مقيداً فيه العقل والفكر ، حتى كدنا ننتهي باذن الله في هذا النوع الثالث من الاختلاف كما انتهينا في النوعين الاولين الى تبادل التسليم بحرية السفور وحرية الحجاب ، فالذي رأى تحرير المرأة وسفورها اقرب للدين واحفظ للشرف وانفع لها وللعيلة والامة اتّبعه ، والذي رأى حجابها واستعبادها اقرب للدين واحفظ للشرف وانفع للعيلة وللامة اتّبعه .

ولكل من الفريقين معتقده . لا حجة بينه وبين احد ،له عمله ولغيره عمله .ولكن له ان شاء ان يقنع الفريق الآخر بالدليل والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة .

اجل لكل ان شاء ان يقنع الفريق الآخر بالدليل والبرهان ولكن ليس له ان يقبل دليله . قال الله تعالى : [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]

هذا ما يأمر به كتاب الله وهذا الأولى ان يتبع وبغير الحق يجب ان لا يصدع .

اما بعض المسلمين اولئك الذين كانوا وما زالوا يراؤون في الدين ويكرهون الناس فيه ويماكرون الجهلة بانواع التمويه مستمدين منهم قوةً مؤذيةً باطلة للسيطرة على غيرهم من المسلمين ، او ما زالوا يتوسلون بالسلطات العالمية مموهين عليها لتضغط العقل، والحرية الشخصية ،وتكره الناس على البقاء تحت كابوسهم او سيطرتهم خاملين جامدين او مسيّرين باقوالهم وآرائهم واهوائهم كالانعام ، ان اولئك لم يفطنوا للحديث الشريف القائل : « إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْكُ الاصغرُ . قالوا ما الشركُ الاصغرُ يا رسولَ الله ؟ قالَ الرِّياءُ » او لم يفقهوا الحديث الشريف القائل « مَن ماكرَ مسلماً فليسَ بمسلم »

اجل ان دين الاسلام بني على الحرية في الفكر والارادة والقول والعمل. لا مسيطر على المسلم في امر دينه الا عقله وارادته. ولا حجة بينه وبين الناس انما . الحجة بينه وبين الله.

قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ] فاذا كان الله تعالى يا ايها المسيطر لم يعطِ نبينا صلى الله عليه وسلم السيطرة على عباده فهل اعطاك اياها ؟

وقال جل وتعالى [رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ . إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ، أَوْ إِن يَشَأْ يعذبكم ، وما أرسلناك عليهم وكيلا]

وقال سبحانه وتعالى [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ]

وقال جل جلاله [مَّنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا]

فاذا كان الله جل وعلا لم يسمح لنبيه صلى الله عليه وسلم بان يكون وكيلاً او حفيظاً على عباده فكيف تجعل من نفسك على العباد وكيلاً وحفيظاً ؟

وقال جل جلاله [وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ

لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ . اَللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ . لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ . لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . اَللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ]. فمالك تدعي لنفسك سلطاناً على عباد الله لم يعطه الله رسولاً ولا سلطاناً

وقال جلت حكمته [أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]

وقال جل علمه [كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً]

وقال تنزه وتعالى [وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ . كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ . ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]

فما لك يا سيدي تقضي لنفسك انك المهتدي والاهدى سبيلاً ؟ ومالك لا تدعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ولا تجادلهم بالتي هي احسن بل تبدل من الحكمة والموعظة الحسنة السباب والاساءة. فلا تسيء بذلك الى المرأة المسلمة ربة العفاف اكثر مما تسيء الى الله والى الدين والى نفسك .

وقال جل عدله [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ]

وقال سبحانه وتعالى [إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا .]

وقال عز وجل [مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا . وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى]

وقال جل جلاله [وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى]

فانظر الى سعيك وعملك يا سيدي وذر غيرك في سعيه وعمله . ولا تكن من المرائين .

وقال جل جلاله [لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ . إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] ؟

وقال تعالى [لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ]

فمالك تعمد الى الاكراه وليس له في الدين من اثر ؟ بل ان الله جل جلاله نهى عنه نهياً مطلقاً . وكاد يعتب نبيه لو اكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . افانت تكره الناس ؟

وقال جل جلاله [قُلْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]

وقال تبارك وتعالى [وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ . وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]

يا ايها المسيطر ترى ان الله امر بترك اهل الكتاب احراراً. أفلأهل الكتاب امتياز على من اسلم حتى تحاول استعباد فكر المسلم وارادته وقوله وعمله ؟ ألك ان تقوده كرهاً الى ما تشاء هدًى كان او ضلالاً ؟ واي نفع في الاكراه ؟ ان الايمان الحق تصديق في القلب واطمئنان. لا انقياد لاكراه او رياء في اذعان. أأنت ام ربك اعلم بمن ضل عن سبيله او بمن كان من المهتدين ؟

إلهي ! جللت وتقدست فالحكمة والنور والهدى في كتابك وقد قدست الحرية تقديساً. ولم يك من ضل منا الا ضعيف البصر، او سالكاً طريق الشرك الاصغر، وان عفوك لاكبر.

يا ايها المسيطر، يا منتحل الوكالة علينا، ان الله جل جلاله لم يوكلك، ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يوكلك، والقانون لم يوكلك، ونحن لم نوكلك. فمن اين لك هذه الوكالة ؟

وليس لك ان تكلف غيرك شيئاً. الحرية نور الحق فلا تحاول اطفاءه في الانسان بأذاك. شد ما حاول ابو جهل وابو لهب واعوانهما اطفاء

نور الحق بالاذى فلم يزدد نور الحق الا انتشارا . ان ذا الحق الصادق لا يؤذي بل يأتي بالبرهان . وان المؤمن الحق لا يتنزل الى الشرك الاصغر بل يتبع كتاب الله ، انه مطلع الحرية والانوار .

واعلم كما علمنا اعاظم ايمتنا ، ان النفس نفسان حيوانيـة وناطقة وان للنفس مراتب عالية ومراتب سافلة . فعلى المراتب العالية تستوي النفس المرضية وفي المرتبة السفلى تزحف النفس الأمارة بالسوء ولكن على وجهها تتبع الهوى فاختر لنفسك احدى المرتبتين.

انك اذا اخترت العليا فالدليل منك النزاهة والحكمة ، وان اخترت السفلى فالدليل الغضب والاذى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَفْضَلُ الْجِهَادِ أَنْ يُجَاهِدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ »

وقال صلى الله عليه وسلم «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»

وقال صلى الله عليه وسلم لما رجع من بعض غزواته « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ »

اي الجهاد مع النفس الأمارة بالسوء لجذبهـا وخلوصها عن شوائب الرياء والهوى ، والشهوة والغضب والاذى ، ولنصرة النفس العاقلة المطمئنة المرضية ، عليها .

ايتها السلطات الحرة الكريمة . اناديك ايًّ انت وان كنت. اناديك لتسجلي لك نشر النور لا لتسجلي تثبيت الظلام الباقي من الدور المظلم

لقد بلي بعضنا في هذا الشرق بظلمات اربع : ظلمة نقاب من نسيج ، وظلمة نقاب من جهل ، وظلمة نقاب من رياء ، وظلمة نقاب من جمود . فامسينا في ظلمات بعضها فوق بعض ، وامست النقب تهولنا حتى نكاد نخشى ان يسدلَ الشرقُ نقاباً بيننا وبين حقيقتك النيرة ، حقيقتك التي من اجلها لُقِّبتِ بأم المدنية وأم النور . انا لا نريد ان تظهري عندنا الا كما انت بوجهك المتألق . ذلك ما يجعل وجودك بيننا نعمة لا تكفر بل ينوَّه بذكرها في العالمين وتشكر . وهكذا تريدُ المرأةُ ان تظهر

حررت ايتها السلطة الفكرَ ، والارادة ، واللسان، والقلم، والاعتقاد، وحررتِ العبيد ، وازلتِ الاستعباد من الدنيا.

اما المرأة المسلمة فلا تطلب منك ان تحرريها . فهي كما لا يخفى عليك حرة في كتاب الله ، حرة في اوامر رسوله ، حرة في الشريعة ، حرة في القانون، حرة في مبادئ الاجتماع العليا ، حرة في حقوق البشر المعلنة ، حرة مثل كل انسان ، حرة مثل كل امرأة . وانما تطلب ان يكون للقانون المسنون حياة بنفوذٍ لا مردَّ له .

ان القانون روح السلطة وروح الاجتماع الناطقة ، فكما ان الروح آمرة مطلقة على اعضاء الجسد كذلك القانون انما هو الآمر المطلق على اعضاء السلطة والاجتماع . ولا يسوغ لعضو من هذا او من تلك ان يخالف امر تلك الروح المرضية . ولا يسوغ ان يجد الهوى او الاستبداد الى عضو

من الاعضاء سبيلاً يؤدي الى اخلال او ابطال في العمل القانوني فيؤذي نساء المسلمين .

اقول هذا ونفسي تقول قول زغلول : « احب سلامه النية والصدق في القول وان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون » .

شدّ ما موّهوا علينا في الدور المظلم الماضي بان الدين يريد ستر وجوهنا، وكان التمويه مقروناً بالاكراه . ليس باكراه قيّم المرأة، وقد يكون له حق في ذلك اذا ارتآه، وكم من قيّم مستنير يدمى قلبه من رؤية محارمه مظلومات في ظلمات الحجاب على كره منه ومنهن . وانما الاكراه كان من كل واحد له هوى، حتى رأت المرأة المسلمة كل رجعيّ او كل ذي هوى مسيطراً ووليًا ووكيلاً عليها . انه لم يفرق بين نسآئه ونسآء غيره لان النقاب مشترك مانع من تفريقهن فعدّ كل رجل نفسه قوّاماً على النسآء جميعاً ورأت المرأة كل الرجال قوّامين عليها .

من حيث اتيت ايتها السلطات الحرة، من الغرب، انعكس علينا في الزمن الاخير نور الحرية ونور العلم الساطعان يبددان ظلمات الجهل والاستبداد . تعلمنا فنظرنا الى الدين بكل ما فيه من الحكمة والسموّ فرأينا فيه عكس ما كانوا يموهون به علينا . رأينا ان الدين يريد كشف وجوهنا للهوآء والنور مثلما يكشف سائر الناس وجوههم، ويريد استعمال قوانا التي اودعها الله فينا مثلما يستعمل سائر الناس قواهم التي اودعها الله وجوههم . وهنالك الادلة تترى في آيات الكتاب المنزل، وفي احاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي اقوال اعاظم الفقهآء والمفسرين .

فكل ما ترجو المرأة المسلمة منك ايتها السلطات الحرة الكريمة ان لا تمكني احداً اذا اعيدت عليها الكرة في احدى زوايا حكمك او وصايتك من أن تخذ التمويه مدخلا الى مقدس حريتك الصرفة الصادرة عن مصدر الحق والحرية الاعلى ، والتي اعلنها فيك ابطال الانسانية والاصلاح وجهابذة العلم والحكمة وادب الاجتماع .

فقد كفى ما ادخله الى هيا كل جنسنا الضعيف من التمويه المغرّر به رجال التقليد فيه والتعقيد، والجمود والتجميد، في شرقنا الحي بروحه والميت في تفكيره، والمخدّر في كثير من اساطيره . وقد حجبت عنا تلك الاساطير المخترعة في الزمن الاخير نورَ الوحي الالهي ، ونور الشرع ، ونور العقل ، ونور الطبع ، ونور العلم ، ونور الفهم ، ولم تعضنا من تلك الانوار المتلألئة بالخير والصلاح الا روايات متناقضة ملفقة ، واقاويل مختلفة ممزّقة . فقتلوا بقتلنا شرقهم ، واماتوا باماتة حقنا حقهم ، واسودت باسوداد وجوهنا وجوههم ، وسدرت بستر ابصارنا بصائرنا وبصائرهم ، وخدرت بحبسهم ايانا في خدورنا ضمائرنا وضمائرهم .

اجل انها لقضية لا تنكر ان الدين الاسلامي الصحيح قد تحوّل اليوم كما قال المصلح الكبير قاسم امين عن اصوله واستتر تحت حجب من البدع ، ووقف نماؤه وانقطع ارتقاؤه من عدة قرون ، وظهر لهذا الانحطاط الديني اثر عظيم في احوال المسلمين .

ايتها السلطة العليا الكريمة انا لا نطلب منك تدخلاً في اعتقاد احد فالله جل جلاله لم يسمح حتى لنبيهِ صلى الله عليه وسلم ان يكون

مسيطراً او وكيلاً او حفيظاً على عباده ، وحذره من الاكراه في الدين ، وكاد يعتبه لو اكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . فبعد هذا كيف نكلفك ان تتدخلي في دين وايمان ، وما انت الا سلطة عالمية . انا معشر النساء فطرنا على الطاعة لله ورسوله فلا نعمل الا ما يرضيهما . ليت المرائين من الرجال يقفون حيث نقف من حدود الدين فلا يطلبون باسمه . وقائدهم الهوى ، تدخلاً منكِ لاكراه المسلمات على ستر وجوههن .

ايتها السلطة الحكيمة ، لو كان قصدهم من توسلهم بك قصداً سوياً حقاً لحماية دين ، ولو كان لكِ في الدين حق سيطرة واكراه ، لوجب عليهم ان يتوسلوا بكِ في امور دينية كثيرة ليس منها ستر وجه المرأة فليس في اصول الدين امر بستره ، بل في اصول الدين امر بكشفه ، وما كان ستره الا بدعة ابتدعوها ، وعادة اتبعوها .

اجل ، ان ستر وجه المرأة ليس من شروط الاسلام ، ولا من اركانه ، وليس سفور الوجه من محرماته .

فاذا رجعوا اليكِ ايتها السلطة الحكيمة في امر تحجيب النساء المسلمات ، فالنساء المسلمات راجيات منك ان تسأليهم اسئلة اربعة :

السؤال الاول — ما هي شروط الاسلام ؟

انهم مجبرون على القول : شروط الاسلام اربعة ، العقل ، والبلوغ وعدم الاكراه والنطق بالشهادتين

فقولي لهم حينئذٍ : انكم فقدتم شرطاً من شروط الاسلام ، بما انكم

ترتأون الاكراه في الدين خلافاً للدين .

السؤال الثاني — ما هي اركان الاسلام ؟

انه لابد لهم من القول : اركان الاسلام خمسة : الشهادتان ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت .

فقولي لهم حينئذٍ لا ارى من الرجال في المئة واحداً يقيم هذه الاركان ، فلماذا لم تتوسلوا بي انا السلطة المدنية لاكره الناس عليها لو جاز لي الاكراه ، واقتصرتم على المطالبة بستر وجوه النساء مع انه ليس من اركان الاسلام ؟

السؤال الثالث — ما هي اعظم المعاصي المنهيّ عنها بنص في القرآن صريح وقد وضع الله تعالى عليها عقوبات الرجم او الحد ؟

انهم لا يستطيعون الا ان يقولوا : الفحش ، واستعمال المسكر ، وتعاطي الربا .

فقولي لهم حينئذٍ : اني مذ اتيت بلادكم رأيت لهذه المعاصي بيوتاً مفتوحة ، والرجال على اهوائهم يرتكبون ما شاؤوا منها ، ولم تتوسلوا يوماً لدي باسم الدين لسد ابوابها ، او لاكراه الرجال على اجتنابها . كأنكم لم تهتموا لتلك المعاصي ، او ادركتم انه ليس للسلطة سلطان لتكره الناس وتضغط حريتهم ، ما لم تخولها اياه القوانين الموضوعة . فانّى تهتمون بسفور الوجه وسفور الوجه ليس من المعاصي . وكيف لم تدركوا ان ليس للسلطة من سلطان على الحرية ما لم تخولها اياه القوانين ؟

السؤال الرابع – ما هي اصول الدين في الاسلام ؟ وهل فيها نص بستر وجه المرأة؟

انهم مجبرون – لئلا تطلبي الدليل المقنع – على ان يقولوا لك : ان اصول الدين اربعة : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، ثم القياس – على مذهب السنيين منا – والعقل – على مـذهب الشيعيين ، وانه ليس في كتاب الله وسنة رسوله من اصول الدين نص او تصريح مـا بتحجيب المسلمات الا نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان القياس عليهن في امر الحجاب ممتنع لاسباب كثيرة ، منها قوله تعالى في آية حجابهن « يا نساء النبي لستنّ كأحدٍ من النساء » . وان لا اجماع في ستر الوجوه بـل ان النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه لأسماء ذكر صلاح كشفها ، وان الفقهاء انقسموا شطرين . شطر قال بستر وجوه النساء استحساناً منه او تأويلا ، وهذا هو القول الذي نتّبعه . وشطر استحسن بالعكس كشفها ولم يرَ في التأويل سبيلاً الى سترها . وهذا القول هو الذي يتّبعه السفوريون ، وبما اننا نعتقد ان الحق في جانبنا ، نلجأ اليك لتكرهيهم على اتباع القول الذي نتبعـه .

فحينئذٍ قولي لهم : اذن حجة السفوريين ارجح من حجتكم في كفة الدين ، لان التأويل والاستحسان يجب ان يوجها الى التيسير الذي يريده الله ، لا الى التعسير الذي لا يريده ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم يرى كشف الوجوه صالحاً وهو احق ان يتّبع . ولان العقل يقضي بذلك ، ولان شطراً من الفقهاء قال به

اما انا فلكوني سلطة عالمية ارى ان لكل ان يستحسن في دينه او يؤوّل كما يرى ويعتقد، وانه لا يد لي مطلقاً في هذه الامور ، فلا اكرهكم على اتباع ما يتّبعون ولا اكرههم على اتباع ما تتّبعون .

اسألهم اخيراً عن الحكمة في عدم اهتمامهم باسم الدين لتلك الامور كلها، وفي حصر اهتمامهم بتحجيب المرأة وليس تحجيبها من شروط الاسلام، ولا من اركانه ، ولا سفورها من محرماته. انهم لعاجزون عن تبيان حكمة. اما انا ففي دفاعي عن المرأة سأبين ما يقصدون .

قد يقولون لك ايتها السلطة المحترمة انك ترضين عواطفنا باتخاذك في ستر وجوه المسلمات سلطاناً من سلطتك، فنعدّ ذلك عطفاً منك الينا وفضلاً جميلاً ، نقدم لك عليه شكراً دائماً جزيلاً .

فقولي لهم حينئذٍ : لا تشكر السلطات على سلب الحرّيات . انتم احرار في ستر وجوه نسائكم ليس لاحدٍ ان يعارضكم في حريتكم . واذا تجاوز على حدّها احد فاني ارجعه الى حدّه . ولكن ليس لي وليس من الحق ان ارضي عواطفكم بكسر عواطف غيركم وسلب حقوقهم . ان للسلطات كما لكل من الناس ان تبذل من حقها لمن تريد ان ترضي عواطفه ، ولكن ليس لها ان تبذل من حق الافراد لارضاء العواطف . انما على السلطات ان تمهد السبيل الى النور لا الى الظلام ، وتفتح الطرق الى العدل والحرية ، لا الى الظلم والاستبداد بالناس [وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ].

يا ايتها السلطات الكريمة . انا لنخاطب فيكِ سلطة عالمية لا تدخّل لها في امور الدين . ولا نطلب منك معونةً لنيل ما انالنا الدين من حق او حرية ، كما يطلبون هم منك المعونة لسلبهما منا . وانما نطلب منكِ وانت سلطة عالمية ، تطبيق القانون العالمي المسنون الذي قدس الحرية الشخصية تقديساً ، ومنع تقييدها الا بحكم منه صريح .

انه لظلم اليم ، ولا يخفى عليك ايتها السلطة المحترمة ، ان يجعلنا القانون احراراً ، ويجعلنا الله وشرعه احراراً ، ثم يجرؤ بعض من اعضائك المحليين او من اعضاء المجتمع ، على خرق القانون لتقييد حرية المسلمات في المدن كرهاً واستبداداً تبعاً للهوى ، في حين ان حرية اخواتهن غير المسلمات في المدن والقرى ، واخواتهن المسلمات في القرى مصونة بالقانون من كل تعرّض .

ايتها السلطات الحكيمة المحترمة . اذا جاز ان ترَي ان في النقاب مصلحة عامة دنيوية ، وادباً عاماً اجتماعياً لم يدركا في بلاد العالم الراقي ، فضعي — ان تريدي ، ويسمح لك عدلك وحريتكِ — قانوناً تعينين فيه من يجب ان يُستر وجهه ، فيطأطئ من يتناوله الحكم رأسه اطاعةً واحتراماً . ولكن ايتها السلطات العالمية العادلة ان سلطانك ليس مختصاً بمسلمات المدن وحدهن . فليشمل قانونك غيرهن من جميع الطوائف والملل حيث لا يجوز حصر المصلحة العامة الدنيوية والادب العام الاجتماعي في فئة دون اخرى . انك انت وحدك السلطة العالمية ولا يد فيها لغيرك . انك انت الوصية علينا لكي تعلينا الى مستوى الامم الراقية . ولسنا نحن اوصياء عليك

لتنزلك الى مستوانا . فلا تجعلي للمرائين اليك سبيلاً ، وذري كلاً منا حراً في معتقده يختار الطريقة التي يراها اوفق الطرائق لدينه واحفظها لشرفه.

ايتها السلطة العادلة .

ان دعاة السفور لا يعتدون على دعاة الحجاب ، فيجب على دعاة الحجاب ان لا يعتدوا على دعاة السفور . ان الله لا يحب المعتدين . والله اعلم بمن كان اهدى سبيلاً .

قال الله تعالى « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ »

إذن فدعاة السفور لا يسخرون بدعاة الحجاب عسى ان يكونوا خيراً منهم ، ولا يلمزون انفسهم . ويجب على دعاة الحجاب ايضاً ان لا يسخروا بدعاة السفور عسى ان يكونوا خيراً منهم ، وان لا يلمزوا انفسهم.

يا ايتها السلطات العالمية الكريمة . ان كل عيلة منا وكل امرأة منا لها رئيس او قيّم ، وليس الحكم الاجتماعي الا لذلك الرئيس او لذلك القيّم ، اذا رأى الخير في السفور اتّبعه ، واذا رأى الخير في الحجاب اتّبعه ، والا انقلب الامر فوضى .

ان حرية كل فرد محدودة بحدود حرية غيره . فلا يجوز لاحد ان يتجاوز حدود غيره . ومن تجاوز فالقانون يرجعه الى حدّه .

سادتي وسيداتي :

قال الكاتب الحكيم المنفلوطي : لاسبيل الى السعادة في الحياة الا اذا عاش الانسان فيها حراً مطلقاً ، لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر الا ادب النفس .

ويجب ان يكون ادب النفس اساس ادب الجوارح ، وان يكون ادب الجوارح تابعاً له واثراً من آثاره . فان أبى الناس الا ان يجعلوا الرياء في ادب الحركات والسكنات اساس اعمالهم وعلائقهم وميزان قيمهم واقدارهم ، فليعلموا ان العالم كله قد استحال الى مسرح تمثيل ، وانهم لا يؤدون فيه غير وظيفة الممثلين الكاذبين .

الحرية شمس يجب ان تشرق في كل نفس ، فمن حُرِمها عاش في ظلمة حالكة يتصل اولها بظلمة الرحم وآخرها بظلمة القبر .

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بحياة اللعب المتحركة في ايدي الاطفال بحركات صناعية

وقال الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى :

« تجلت بالاسلام للانسان نفسه حرة كريمة . واطلقت ارادته من القيود التي كانت تقيدها بارادة غيره سواء كانت ارادة بشرية ظن انها شعبة من الارادة الالهية . او انها هي كارادة الرؤساء والمسيطرين . او ارادة موهومة اخترعها الخيال كما يظن في القبور والاحجار والاشجار والكواكب ونحوها . وانفكت عزيمته من اسر الوسائط والشفعاء . والمتكهنة والعرفاء . وزعماء السيطرة على الاسرار . ومنتحلي حق الولاية على اعمال العبد فيما بينه وبين الله ، الزاعمين انهم واسطة النجاة وبايديهم الاشقاء والاسعاد . وبالجملة فقد اعتقت روحه من العبودية لمحتالين والدجالين وصار الانسان

بالتوحيد عبدالله خاصة حراً من العبودية لكل ما سواه. فكان لعمن الحق ما للحر على الحر، لا عليّ في الحق، ولا وضيع، ولا سافل، ولا رفيع، ولا تفاوت بين الناس الا بتفاوت اعمالهم، ولا تفاضل الا بتفاضلهم في عقولهم ومعارفهم، ولا يقربهم من الله الا طهارة العقل من دنس الوهم، وخلوص العمل من العوج والرياء.»

❋❋❋

مرحباً بك ايتها الحرية القدسية، حرية الفكر وحرية الارادة، فانتِ انتِ روح الدين، انتِ انتِ اس كل نهضة، وانتِ انتِ مولدة الحقائق بالبحث. مرحباً بك ايتها الحرية التي تخولنا حق حفظ شرفنا وحق نهوضنا بالصور التي نعتقد انها له احفظ وللدين اقرب، ولنا ولعيالنا ولامتنا انفع.

انكِ لتنتصرين عندنا كما انتصرتِ في العالم الراقي. فوقفتي هذه مظهر من مظاهر نصركِ، وصوتي هذا بوق من ابواقك. فلقد كان اشد الرجال في دور التعصب المظلم، دور الاستبداد والرياء والظلم يرهبه ان يقف مثل موقفي، ليعلن عقيدته التي يعتقد انها الخير كل الخير للناس، والسعادة كل السعادة للعيلة وللامة والمجتمع، والشرف كل الشرف للمرأة

❋❋❋

ذكرتُ حرية الارادة وحرية الفكر، وقد يلتبس على البعض معنياهما، اذ طالما بخس الجهل قدرهما، واراد ان يمسخ جمالهما، وخالطهما بالنزعات الحيوانية التي سماها الجهلة حرية.

ان الحرية محالها العقل، فلا تتجلى بنورها الساطع الا في الانسان على قدر عقله . اما الحيوان فلا يملك عقلاً ليملك حرية ارادة او حرية فكر ،فنزعاته اذاً حيوانية محضة مضرة لا اثر للحرية فيها .

ان حرية الارادة — كما عرفها علماء الاجتماع — هي حرية الفرد في تحديد افعاله على مقتضى ما تحتمل نفسيته من تصور لغايات الآداب المثلى . وحرية الفكر، هي حق الفرد في ان يتبع بلا خوف ولا وجل موحيات عقله لخيره وخير الناس لا يعوقه عن ذلك تدخل السلطات، او كراهية الجماهير ونزعاتها . ولنا ان نقيس على هاتين الحريتين حرية القول والحريات جميعها. فكلها ترمي الى خير الانسان ، وتشييد المجتمع.

ايها السيدات والسادة .

اتضح لكم من موقفي انه موقف دفاع عن حرية المرأة ، واني من اللواتي رجحن السفور مع الذين رجحوه على الحجاب . وعملاً بحرية التفكير وتحت راية السيادة العلية المستقلة ، اطرح لديكم كل خواطري وتأملاتي التي جعلتني ارجح السفور، واطلب تحرير المرأة .

واني — وانا معترفة بقصوري — ارى ان مذهبي ، وهو مذهب كثير من السادة والسيدات، اكثر انطباقاً على روح الاجتماع، واضمن حافظ للشرف الذي تقدسه جميعاً ، وتلتمس اصلح الاسباب لصونه منزهاً محترماً .

قال بعض الحكماء :

« ان التفكير الحر اساس كل نهضة ، فيجب علينا ان نفسح له المجال ليسير ، فيقاوِم ويقاوَم ضمن دائرة الادب ، وتصطدم حريته بحريات اخرى اصطداماً معقولاً سلمياً شريفاً وهكذا الى ان يتم النصر للفكر الصحيح فلا يتألق برق الحقيقة الا اذا تصادمت الآراء . »

ولهذا ارجو ممن يرى غير ما رأيت ان ينظر في ملحوظاتي وتأملاتي ويُنعم فيها ، ثم يتفضل عملاً بحرية التفكير ، ببيان ملحوظاته وتأملاته التي يوحيها له العقل والدين في وقفة آتية ، حتى اذا اقنعني بمنطقه ، ورأيت نتائج مذهبه احفظ للشرف، واطبق للدين، وانفع لعائلتي وللامة — سدلت النقاب حالاً على وجهي، وتمسكت راضية كل الرضا بالحجاب، ولو كان اشد اشكال الاستبداد . وما همني ان يكون النور والهواء ، وكل دواعي السعادة في الحياة فداء للدين وللشرف ولعائلتي وللامة

اما اذا اكتفى مناظري في جوابه بالبحث عن المروق والالحاد وبما ينافي آداب المناظرة ، فسأترفع عن سماع كلامه مكتفية بالرجاء من الله سبحانه وتعالى ان يصلحه ويرسل الى نفسه شعاعاً من نور الحرية والهدى : اذ ان ذلك النور لا يطلع على نفس الا زيّنها بالعقل والادب واحترام الناس ، وبدّل فيها حجة المجادلة بالتي هي احسن من حجة المجادلة بالاساءة التي يعتصم بها المرائي العاجز عن بيان الدليل والبرهان . وكذلك ان الاكتفاء بالقول ان نظراتي غير صحيحة دون مجادلة ودون اثبات بالبرهان — لدليلٌ على عجز قائله ، وعلى عدم صحة ما يقول .

ذكرت في محاضرة القيتها منذ مدة في الكلية العلمانية تحت عنوان

«لماذا تتعلم الفتاة» اني لست من القائلات بالترجل ولست من مستحسنات الطفرة التي تجعل المرأة مسخاً يتلاعب به الغواة. وتسخر منه فلاسفة الاجتماع وتغرق لديه اسرة الاطفال بالدموع، واني لا اريد ان تتنزل المرأة عن مقامها الرفيع الى منزلة يضيع فيها معنى الامومة والعيلة البشرية، ولكني من القائلات مع القائلين: ان العلم ادعى من الجهل الى الصيانة والكرامة والعفاف. بل انما هو الحافظ للمرأة مقامها السامي الشريف.

واني الآن في محاضراتي هذه اعيد قبل كل شيء كلامي الذي ذكرت. واعتقد ان السفور والعلم والحرية ادعى من الحجاب والجهل والعبودية الى الصيانة والكرامة والعفاف وادراك معنى الامومة والعيلة البشرية وصلاح المجتمع، لان الادب لا يثبت في نفس الجاهل ثبوته في نفس العالم ولا يثبت في نفس العبد ثبوته في نفس الحر. ولان العيلة والمجتمع انما ينتظمان ويسعدان متى سادهما العدل والحق. ومتى كان نور الحرية — وهو حق مثل نور الشمس — شاملاً. فلا سعادة ولا صلاح ولا انتظام مع الاستبداد والظلم وبقاء نصف العيلة والمجتمع محروماً ذلك النور، وبقاء الام مظلومة ترسف بل ترزح تحت قيود حجابها محرومة حريتها وكل انواع رقيها، الامر الذي يحرمها القدرة على ترقية اولادها واسعاد بنيها

. قال المصلح الكبير قاسم امين:

«كل اصلاح في هيأتنا الاجتماعية لا يبدأ فيه باصلاح العائلة فهو عقيم. وليس من الممكن تحسين حالتنا العائلية الا بترقية شأن المرأة، واعدادها الى ان تكون انساناً تاماً»

واجل سادتي الرجال ان يمدّوا حرية الارادة وحرية التفكير على الوجه الذي يبنث ، وحرية القول ، والصراحة فيه ، وبيان الحقائق ، والمطالبة بالحق ، والسعي للخير والصلاح تمرداً غير ممدوح .

انها لحلة جديدة للمرأة جميلة ، يحق ان تتخذ بدلاً من الثوب العتيق .

ولي الرجاء منكم ان لا يثقل عليكم ان تأخذوا حكمة من كلامي اذا وجدتم فيه حكمة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ أَنَّى وَجَدَهَا أَخَذَهَا » .

وعلى كل حال ارجو من سادتي الرجال ان لا يتهموني بخرق النظام ، والفرار من سجن الحجاب . فاني لم افعل ذلك يا سادتي . انما اخوكم ابي الذي خلقه الله حرًا مطلقاً - وهو لا يخشى في سبيل الحق لومة اللائمين - هو الذي عد سجني منافياً عدل الله ، وعدل الانسان ، ومصلحة الملة والمجتمع ، ووثق بشرف نفسي وادبها ، فارسلني سافرةً الى الحياة والنور . ولدى تحكيمي العقل رجحت ما رأى ففعلت .

كيف يستطاع ايها السادة ان اتّهم بالفرار من سجني ؟ ان الفارّ يختبئ او يتقنع لئلا يعرف اما انا فظهوري بوجهي السافر المعروف اين كنت وايان سرت لدليل صريح على قصدي السويّ وصراطي المستقيم .

***

ايها السادة :

زار احد الادباء يوماً ابي . فاراه شيئاً مما اكتب ليرى رأيه . فاطرى ما كتبت وحكى حكاية . قال : كنت في استانبول في اليوم العاشر من

محرم – وهو آخر ايام المأساة التي يمثلها الايرانيون تذكاراً لاستشهاد الحسين ومن صحبه من اهل البيت عليهم السلام. وكان هناك خطيب حكيم اراد ان يغتنم فرصة اجتماع القوم ليحدثهم في امر اجتماعي لهم فيه خير عظيم. ولكن ما كاد يصعد المنبر حتى علا نواح القوم وبكاؤهم ظناً منهم ان الخطيب سيذكرهم بما يعلمون عن حادثة كربلاء. فلم تستطع الآذان ان تسمع من الخطبة شيئاً. حينئذٍ قام رجل صارخاً باعلى صوته ايها الناس لنستمع الى الخطيب متأملين في كلامه لعل لنا فيه حكمة جديدة او كلمة مفيدة. لا تتأثروا من قول قبل ان تسمعوه، ولا تحكموا في امر قبل ان تفهموه وتعوه.

ثم قال الاديب لابي: عسى الحجابيون لا يتأثرون ولا يحكمون الا بما يسمعون من هذه المحاضرات ويعون.

قلت اذاً أجعل محاضراتي مطبوعة، يقرأها اولوا الالباب على مهل. فاذا آنسوا فيها نوراً اشعلوا مصابيح عليهم وانار كل منهم ماحوله من الظلام.

اني راغبة في الخير والصلاح للمرأة والامة. اما الحكم في صلاح ما ارتأيت او عدم صلاحه فمرجعه الايام. قال شاعر النيل حافظ ابراهيم في مرثاته للمصلح العظيم بل امام المصلحين قاسم امين:

الحكم للايام مرجعه في ما رأيت فنم ولا تسلِ
وكذا طهاة الرأي تتركه للدهر ينضجه على مهلِ

قال الاديب وقد رأى فهرست محاضراتي والتي نظرة على نظراتي: ان كل ما تطلبينه للمرأة في دفاعك حق لها. ولكني ارى ان طلبك ذلك كله

دفعةً واحدة يهول الرجل الذي قد تعوّد ظلم المرأة واستعبادها اياها حتى اضحى يرى ذلك حقاً له وعدلاً . فلو طلبتِ الحق الثاني بعد الاول . ثم الثالث بعد الثاني وهلم جرّاً ، لكان نيل النتيجة على ما ارى اضمن .

قلت : لم اتعود الحيل في العمل . فكل حق رأيته في كتاب الله وسنّة رسوله ، او اراني اياه العقل موافقاً للكتاب والسنّة ، ساطلبه . وللرجل ان يسلم دفعة واحدة بكل ما يراه حقاً ان شاء ، وله ان يتدرج ان شاء في اعطاء الحقوق واحداً فواحداً . ولا ريب ان عقول الناس متفاوتة ، فمنهم من يتعجل العطاء ومنهم من يؤجله . ولكن خير البر عاجله . ولا اشك في ان تضامن الرجال في ظلم المرأة قد تفككت عراه في هذا العصر وحل محله التعاون على انصافها ، واضحى السواد الاعظم من الامة مع المرأة لا عليها . [وَٱللّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ]

يا سادتي القائلين بابقاء الحجاب وسارة المرأة وابقاء التقاليد ، لكم مذهبكم في ذلك — ونحن القائلين بالسفور وتحرير المرأة ونبذ التقاليد ، لنا في ذلك مذهبنا .

اننا نحترم مذهبكم ورأيكم فاحترموا مذهبنا ورأينا . والله اعلم بمن هو اهدى سبيلاً .

قال الله سبحانه وتعالى « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » وان ما يشاؤه الله سبحانه هو الخير عينه ، فلو رأى الله جل جلاله اختلاف

الناس في المذاهب مضراً — لما شاءه. أو انتم اعلم منه تعالى بما يضر وينفع.

ان في الاسلام مذاهب عدة مختلفة في الامور الاساسية الدينية اي اختلاف ، وبعد ان كفر المسلمون بعضهم بعضاً وتحاربوا عصوراً سلم بعضهم الى بعض بالحرية في امر الدين والمعتقد ، وصاروا كلهم كما يجب ان يكونوا اخواناً . فالمسلمون اخوة . فانىّ تسلمون بذلك يا سادتي ولا تسلمون الآن بعضكم الى بعض بالحرية في الملبس وباختيار كل منكم الطريق الذي يراه الاصلح في امر الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِخْتِلَافُ ٱلْمَذَاهِبِ فِي أُمَّتِي رَحْمَةٌ لَهَا »

اجل ، ان اختلاف المذاهب رحمة للامة · اذ انه يسوق كل مذهب الى اتقان العلم والعمل ويقودهم الى احسان الاجتهاد ليكونوا في حلبة التنافس للخير والعدل والصلاح والتكمل سباقين ، لا هدفاً لسهام الناقدين من مذاهب الآخرين . فبمثل ذلك يتكمل العقل والشرع ، ويلمع برق الحق في تصادم الافكار . ولهذه الحكمة التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألف في الحكومات الدستورية احزاب سياسية حرة قائمة على مبادئ مختلفة ولكنها متفقة في حسن المقاصد . فكل ما رأيناه من الخير والصلاح في الحكومات الدستورية انما منشأه اختلاف تلك الاحزاب . وكل ما رأيناه من الحق البارق انما هو اثر تصادم الافكار . وان حكومة ليس فيها احزاب مختلفة المبادئ متفقة المقاصد ، يحجر فيها على العقل وحرية الارادة والفكر وحرية اللسان والقلم ، ليست تلك

الاحكومة مستبدة لا يسودها الخير والعدل والصلاح . بل يغلب فيها الباطلُ الحقَ ، والظلمُ العدلَ ، والجهلُ العلمَ ، والرقُ الحريةَ ، والجمود الحياةَ ، اذ لا رادع فيها ولا وازع ولا معارض ولا منازع .

سادتي . نحن في زمن غلبت فيه الحقيقةُ الوهمَ والخيال ، ولا عبرة للوهم تجاه المحسوس من الحقائق .

اننا نرى باعيننا بلاد السفوريين ، حيث نشط العقل من عقاله ، ونالت المرأة حريتها ، ونرى رقيهم فنعتقد كما يعتقدون : ان رقيهم وقد افلتوا من ربقة التقاليد ، انما ولدته حرية المرأة اي حرية الام . وان تأخرنا انما هو ناشئ عن استعبادنا انفسنا بالتقاليد واستعبادنا الامّ حتى بلينا بما بلينا من العقم العقلي .

انتم تقولون : بدلا من ان نشتغل باعتاق المرأة من رقها ، فلنبارِ السفوريين رقياً بالعلوم والفنون ، بالاختراعات والاكتشافات ، ببناء البواخر والمواخر ، وصنع الطيارات والسيارات ، وانشاء التلغرافات والتلفونات ، سلكيات وغير سلكيات ، وما شاكل من الصناعات ولنستولِ على الاسواق التجارية ، ولنسبقهم ولنفقهم ولنغلبهم في ذلك كله ، نفز بالمرغوب ونظفر بالمطلوب .

ونحن نقول : لا يقوم بناء بلا اساس ، ولا يمكن الوصول الى اعلى السلم الا بالصعود درجة درجة واساس البناء ارقي الامة تحرير الام ، واول درجة من سلم الرقي هو السفور ، لان الحجاب يورث نصف الامة الشالل

والأمة المشلول نصف اعضائها لا تستطيع ان تباري ، وتستولي ، وتسبق ، وتفوق ، وتغلب ، وتفوز ، وتظفر .

ونقول : لا يتم لنا رقيّ الا بما ذكرت وبما سأذكر تباعاً في محاضراتي .

اما الشرع والدين ، فهما في جانبنا ، كما سترون – وقد يكون الهدى في امر الدنيا ايضاً في جانبنا ، وقد يكون في جانبكم . والله اعلم بالمهتدين . وان امامنا طريقين يفضيان الى ظهور الحقيقة ساطعة .

الطريق الاول : هو المجادلة بالتي هي احسن – وقد فتحت الباب – فإن غلبتمونا بالبرهان واقنعتمونا ، فلكم العهد علينا اننا نلتحق بكم . وان غلبناكم تلتحقون بنا إن شئتم .

الطريق الثاني : هو التجربة الفعلية التي تظهر الحقائق محسوسة . فليكن كل منا حرًا في ما يعتقد انه خير له ولعيلته وللامة . ولنجرِ في حلبة السباق الى الغرض المطلوب من الرقيّ والتكمل العقلي والادبي ، ان ذلك – لا الجمود على التقليد – ما يستوجب الخير للامة ، فان سبقتمونا فلكم العهد علينا اننا نلتحق بكم ، وان سبقناكم تلتحقون بنا ان شئتم . وان عملَنا يا سادتي لا يضركم ، وعملكم لا يضرنا ، فلنا اعمالنا ولكم اعمالكم . وان عملنا صالحاً فلأنفسنا ، وان اسأنا فعليها . وان عملتم صالحاً فلأنفسكم وان اسأتم فعليها . وان اهتدينا فإنما نهتدي لأنفسنا ، وان ضللنا فإنما نضل عليها . وان اهتديتم فانما تهتدون لأنفسكم ، وان ضللتم فإنما تضلون عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى .

نحن لسنا مسيطرين ولا وكلاء ولا حفاظاً عليكم ، وانتم لستم بمسيطرين

ولا وكلاء، ولا حفاظاً علينا، ولا حجة بيننا وبينكم، وانما الحجة بيننا وبين الله، او بينكم وبين الله.

اذا اردتم ان تمشوا الى الامام على الطريق التي تعتقدون ان لكم وللامة فيها الخير والصلاح، فنحن لا نضع امامكم حواجز. واذا اردنا نحن ان نمشي الى الامام على الطريق التي نعتقد ان لنا وللامة فيها الخير والصلاح، فينبغي لكم ان لا تضعوا امامنا حواجز. فالله خلق كلاً منا حراً وتركه حراً. والله لا يحب المعتدين.

نحن لا نسخر بكم ولا نلمز انفسنا عسى ان تكونوا خيراً منا. فينبغي لكم ان لا تسخروا بنا ولا تلمزوا انفسكم عسى ان نكون خيراً منكم. وما قصدنا الاقصى، وما قصدكم الاقصى، الا الخير للامة. فاسمحوا لذلك الخير ان يظهر اما في جانبنا او في جانبكم. اما منع الخير كرهاً ان يظهر فهو حرام. وان اكراهنا على ان نقيم عقولكم مقام عقولنا في امورنا فنفتكر بها، وعيونكم مقام عيوننا فننظر بها، وآذانكم مقام آذاننا فنسمع بها — ذلك مناف لسنة الله في عباده ولعدله تعالى ولعدل الانسان.

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ. ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ».

سادتي وسيداتي :

اراني لا اخاطب الا آبائي وامهاتي واخوتي واخواتي . أوَ ليس لي من الدالة والقربى ان اخاطب من ذكرت بلسان صريح وقلب مفتوح ؟ أوَ ليس لي ان اسلك كل طريق سويّ من طرق الاقناع الذي يهديني اليه الله والعقل وحرية الارادة والفكر ، والغاية هي الخير للامة ؟

إنّا في زمان قُدّس فيه يا سادتي وسيداتي حق الدفاع عن الحق . ولا يتم الدفاع الا بتمام الحرية . واي حق يدافع عنه اقدس مما عنه ادافع ؟ الا وهو حرية المرأة . فان رأيتموني على حق اعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسددوني .

اطلقوا يا قضاة الاجتماع حرية فكركم كما اطلقت حرية فكري اطلاقاً . وتأملوا ما يوحي به اليّ فكري المنطلق ، ولكم عليّ عهد وميثاق ان لا اذكر قضية الا اثبتها ببرهان العقل ، وبالكتاب وبالسنة . وسأستمدّ نوراً من اقوال الفقهاء ، ولكني لن احجم في سبيل الحق عن انتقاد ما ارى من اقوالهم أنه لا يوافق الكتاب والسنة ويخالف الاقوال التي منها استمددت نوراً .

لن أحجم عن نقب الباطل حتى يخرج الحق من جنبه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلِ الحقَّ وَإنْ كَانَ مُرًّا »

❊❊❊

سادتي وسيداتي :

لم انس قطُّ واجبي في استحسان ما حسن الشرع واستقباح ما قبح. ولكني اقول بصوت عالٍ ان الشرع في عرف الفقهآ، ليس كل ما قاله هذا وذاك منهم، في احوال يعلم الله بها . ولكن الشرع ما شرعه الله تعالى لعباده ، وان هو الا الكتاب والسنة . فهما نبعتا الخير الخالص والحقيقة الصرفة ، وهما مصدرا الانوار . فكل ما حسَّناه حسن ، وكل ما قبَّحاه قبيح .

غير انا اذا حسبنا كل قولٍ من فقيه شرعاً صالحاً دون ان نردَّه الى الكتاب والسنة ، ودون ان نرى دليلاً على ذلك القول ،فقد اشركنا الشارع في شرعه اي اشراك ، واختلط الحسن بالقبيح اي اختلاط . بل رجحنا في كثير من الاحيان خطأ الناس على الصواب عينه ، وبدعهم على كتاب الله وسنَّة رسوله ، ودخلنا في فوضى لا يجوز ان نسلم لانفسنا بالدخول فيها . واتبعنا من لم يكن احق ان يتبع خلافاً لقوله تعالى : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ،أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »

ان حكم الاجتهاد شرعاً : ليس الاَّ غلبة الظن مع احتمال الخطأ .

واعيذ مثل قضاة الاجتماع ان لا يقبلوا بالكتاب والسنة مرجعاً ،وان لا يحسبوا للعقل حساباً ، متمسكين باقاويل ضعيفة لا يمكن عدُّها احاسن

الاقوال · وليس اتباعها واجباً · ولا يمكن ردّها الى كتاب الله وسنّة رسوله ولا يقبلها العقل في الزمن الحاضر · وهي تخلّ بمصلحة الامــة . وسترون من ذلك امثالا عديدة.

❊❊❊

لما شرعت اهيئ دفاعي عن المرأة ايها السادة طالعت اقوال المفسرين والفقهاء في ما يتعلق بالموضوع فلم اجد منهم اجماعاً في امر ما لأتبعه · بل كلما وجدت قولاً رأيت اقوالاً اخرى تخالفه وتناقضه . كنت اقرأ الآيــة واقرأ تفاسيرها وكنت ارى احداثاً وتغييراً لا تفسيراً · ورأيت الروايات متباينة متناقضة بصورة يحار معها العقل. مثلاً : رأيت كما سترون الروايات عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يتعلق بتفسير « وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا · وَيُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » — نحواً من عشر لا تنطبق رواية على روايــة · كأني بكل واحد من الرواة يريد بما يروي ان يؤيد ما يرى — ولم ارَ رواية مستندة الى دليل ما — وقد رأيت من تلك الروايات ما يوجب يسراً حميداً . ومنها مــا يوجب عسراً شديداً — وهكذا كانت اقوال المفسرين الأُخرى · فتراءى لي ان من اراد منا او نشد ما يوافق روح العصر والاجتماع ومصلحة الامــة ويستوجب التيسير والرقي اللذين نحتاج اليهما — فله من الاقوال ما يشاء · ومن اراد او نشد التعسير والتعقيد فله ايضاً منها ما يشاء

قلت : لا بدع ان تختلف الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة

الكرام رضوان الله عليهم اجمعين بحسب اهوآء الرواة . فقد فعل الناس مثل ذلك في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اخذ كل صاحب هوى يخترع حديثاً تأييداً لما يرى . حتى قام صلى الله عليه وسلم خطيباً قال : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كَثُرَتْ عَلَيَّ ٱلْكَذَّابَةُ .. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ ٱللهِ فَأَنَا قُلْتُهُ وَمَا جَاءَكُمْ يُخَالِفُ كِتَابَ ٱللهِ فَلَمْ أَقُلْهُ .. كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ ٱللهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ .. فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »

قال الامام علي رضي الله عنه « وقد كذب الناس على النبي من بعده كما كذبوا عليه في عهده » . وقد قدر حجة الاسلام الامام الغزالي الاحاديث الغير الصحيحة بسبعين الفاً .

اما المرأة المسكينة فالله يعلم بما نالها من تلك الروايات المخترعة . ولعل نصيبها منها لم يكن اقل من نصيبها في اقوال بعض الفقهآء (انهم ابناء الجاهلية وقد استضعفوها فخللوها) . ولكن الله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم للمستضعفات خير الناصرين .

يقولون لا شيء جديداً تحت السماء . نعم لا شيء جديداً تحت السماء فسنن الله وآياته في مخلوقاته لا تتغير في نفسها . وانما تتغير بحسب عقولنا وتختفي على بعض منها وتظهر على غيرها . وتختفي في زمان او مكان وتظهر في غيرها . وكما أن في زماننا عقولاً دأبها التعسير وعقولاً دأبها التيسير ،

كذلك كان الامر عند الاقدمين . وكما ان اهل هذا الزمان يحدثون او يبتدعون بدعاً في القوانين والعادات والازياء بحسب تغير الازمنة واحوال الحياة ، كذلك كان الاقدمون يبتدعون او يحدثون . وبما انه لم يكن عندهم من شيء خارج عن دائرة الكتب الفقهية ، اي دائرة الشريعة — كانت تلك البدع تُدخَل فيها .

اقول « البدع » ولا ينبغي لاحد ان يتعجب من قولي ، فقد جاء في مجمع البحرين : ان البدعة بدعتان ، بدعة هدى ، وبدعة ضلال . فما كان في خلاف ما امر الله به ورسوله فهو في حيّز الذم والانكار . وما كان تحت عموم ما ندب الله اليه وحضّ عليه هو او رسوله ، فهو في حيّز المدح والايثار . والابتداع كالاجتهاد فقد يخطىء المجتهد او المبتدع فيهما وقد يصيب .

ويتراءى لي انهم ذهبوا الى جهة الاحداث أو الابتداع لقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في كتاب المجمع المذكور « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجرُهَا وَأَجرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا . وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا » . فتسابقوا في ابتداع السنن كلٌّ بحسب عقله وهواه ، وكل معتقدٌ ان سنّته بدعة هدًى فينال اجرها واجر من عمل بها .

ولكن ، ايها السادة ، ان الحسن الذي يحسنه الله ورسوله — حسنٌ ابديٌ ، والقبيح الذي يقبحه الله ورسوله قبيح ابدي . اما الحسن الذي يحسنه الناس ، والقبيح الذي يقبحونه ، بحسب عقولهم واحوال زمانهم —

فلا يمكن عدُّها حسناً او قبيحاً ابديين ، ولا سيما اذا لم يحصل الاجماع على تحسين الواحد وتقبيح الآخر . انما ذلك مما يتغير مع الزمان ، حتى ان كثيراً ما كان الحسن في زمانٍ قبيحاً في غيره ، والقبيح في زمان ، حسناً في غيره . والنافع في زمان ، ضاراً في غيره . والضار في زمان ، نافعاً في غيره . ولهذا السبب وضعت القاعدة الشرعية « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان » .

وقد كان الله سبحانه وتعالى — العالم السرمدي -- قد نسخ وغيَّر ، واطلق وقيَّد ، وعمَّ وخصَّص من آياته في سنين قليلة نزلها فيها . وما ذلك الا ليعلمنا سبحانه وتعالى وجوب التطور بحسب الزمان المتغير ، على مرّ السنين والعصور .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّا مَعْشَرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ لَا نُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ إِلَّا عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ » فقد تفهم عقولنا في زماننا من احاديثه الشريفة ، غير ما فهمته عقول الاقدمين في زمانهم منا . والايمان لا يجوز فيه التقليد ، وان جاز في المعاملات .

اما سبب اختلاف الفقهاء ، وتناقض اقوالهم في ما يتعلق بحجاب المرأة فيلوح لي انه ناتج عما يأتي :

ان النساء في اول الاسلام ، كن كما قال النسفي على هجيراهنّ في الجاهلية مبتذلات تبرز المرأة في درع وخمار منسدل على جنبيها مكشوفات الصدور ، وكنّ احياناً يلبسن ثياباً رقاقاً تبدو منها ابدانهنّ ، وكان الرجال

في ذلك الزمان ، يتعرضون للنساء ، ولم تكن اذ ذاك حكومة عالمية منظمة ، عاملة بقوانين عالمية زاجرة ، فأمر الله تعالى المسلمات الحرائر بان « يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ » و « لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا • وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ »

ولما رأى صلى الله عليه وسلم اسماء بنت ابي بكر في حضرته وعليها ثياب رقاق قال: « يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا ، مشيراً الى جهة وجهه وكفيه » . فلما رأى الفقهاء ذلكم الامر وتلكم الاشارة دليلين على كره التبرج ، وعلى وجوب التستر المانع له ، اعتدل بعضهم ، وبعض المفسرين ممن دأبهم التيسير ، فابقوا — كما سيفصل في البحث المخصوص — وجه المرأة وكفيها ، في ظهور . وعدّ بعضهم — عدا الوجه والكفين — الذراعين والقدمين والعنق والاذنين ما يظهر ، مكتفين بستر الصدر وغير ذلك من الاعضاء .

اما غيرهم — ممن دأبهم التعسير ، والراغبون في اظهار الورع والتدين ، او في نيل الاجر من ابتداع السنن — فقد اخذوا يبتدعون للستر بدعةً تلو بدعة ، او سنة تلو سنة ، حتى امسينا في طوفانٍ من السنن المبتدعة ، وبلغ الامر الى انهم لم يبقوا جزءاً من المرأة يظهر ، وبالغ بعضهم في الستر حتى اخفى قلامة ظفرها ، واخفت صوتها ، وعدّ بعضهم ملاءتها مما لا يجوز ان يظهر فلم يرَ إلاّ جُدُر البيت ستاراً لها . ولم يكن قصدهم — على ما يتراءى لي — الا اظهار التدين والورع الزائد والتفاني في سبيل

انفاذ امر الله سبحانه وتعالى ، ورسوله صلى الله عليـه وسلم ، واحداث سنن جديدة اعتبروها حسنة ، يكون لهم اجرها واجر من عمل بها — وكل ذلك الاجر على حساب المرأة — ولكنهم تجـاوزوا الحد جداً ، وتبين ان السنن الحسنة ، لم تكن الا السنن التي هي اكثر اعتدالاً ويسراً ، وهي الموافقة لامر الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولا ابحث عن الذين اعتسفوا التأويل اعتسافاً لشهوةٍ دفعتهم الى ذلك ثم قالوا هذا من عند الله « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا »

❁❁❁

قلت اذن لنا الحق فى اختيار اقوال الفقهاء التي تستوجب لنا يسراً . بل لنا ان نضع الحد بانفسنا بحسب الزمان والمصلحة ، وضرورة الحيـاة ضمن دائرة من امر الله سبحانه وسنن رسوله صلى الله عليـه وسلم . فهما دون ريب احق من الفقهاء ان يتبعا . وكأن الله سبحانه وتعالى عرف بسائق عليه ان قوماً منا سيهملون آياته متبعين سنناً لبعض الفقهـاء جديدة لا توافق كتابه وسنة رسوله . فقال جل جلاله مبكتاً : « أَفَمَن يَهْدِي الى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».

قال الشيخ محمد عبده في مقالته (الدين الاسلامي او الاسلام) :
ثم انحرف الجمهور الاعظم من المسلمين عن جادته بالتأويل ، واضافوا عليه

ما شاء الهوى من الاباطيل . هذا كان شأنهم في السجايا والاعمال . نسوا طهارته، وباعوا نزاهته . اما في العقائد فتفرقوا شيعاً ، واحدثوا بدعاً ، ولم يستمسكوا من اصوله الا بما ظنوه من اشد اركانها ، وتوهموه من اقوى دعائمها، وهو حرمان العقول من النظر فيه ، بل وفي غيره من دقايق الاكوان ، والحظر على الاكوان ان تنفذ الى شيء من اسرار الخلقة فصرحوا بان لا وفاق بين الدين والعقل، وان الدين من اشد اعداء العلم .

***

وقال الشيخ محمد بدر الدين النعساني في المقدمة التي دبجها لكتاب الشيخ محمد عبدو المسمى (الاسلام والرد على منتقديه) قال :

ثم قام آخرون فادخلوا في الدين من العقائد الفاسدة والاهواء الباطلة ما تأباه سماحة الدين الاسلامي ، ووضعوا لذلك الاحاديث الباطلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . والدين لم يدوّن بعد . ولا جمع شتاته . وانما هو في صدور الرجال ممن لقي صاحب الشريعة او لقي من لقاه . فاختلفت العقيدة وتشعبت المسالك على الناس

جردت الكتب المؤلفة في الدين ، من اصول الدين . وسنته ، ومحاسنه ، وادابه . وقوانينه الاخروية والاجتماعية ، وحشيت من الخرافات ، والاكاذيب ، والاحاديث الموضوعة المفتراة على صاحب الشريعة . وقصر حملة العلم نظرهم عليها كانها ام الدين ؛ بل شدد في امرها قوم منهم فقالوا انها الدين ، وان خالفت اصول الدين كتاباً وسنة ، بلا بحث فيها ولا تروٍ في شأنها .

نشأ عن هذه الاعراض التي ذكرناها وبينا كيفية تسلطها امراض قتالة :

(١) احتجاب نور الشريعة عن انظار العالم الاسلامي وراء ستار التقليد .

(٢) شيوع البدع والاحداث وتزولها امهات منزلة المسائل الدينية .

(٣) استكانة النفوس لهذه البدع والركوع امامها من العلماء جهلا ومن العامة تقليداً لهم .

(٤) قعود اهل الايمان والنظر الصحيح عن بيان حقيقـة الدين خوفاً من علماء السوء ان يثيروا العامة عليهم .

(٥) وقوع المسلمين في الحيرة اذا توجه عليهم اعتراض في امر، وقامت عليهم حجة في قبحه ، ظناً منهم ما هم عليه هو الدين . ولو علموا ما هو الدين لايقنوا ان الاعتراض متوجه عليهم لا على الدين . وحاشا الدين الحنيف السهل ان يتوجه عليه اعتراض .

الى ان قال :

ان اقرب الطرق لمن يريد ان يخدم الامة الاسلامية في مبدئها او معـادها خدمة حسنة موصلة الى السعادة الحقيقية ، ان يزيل الستار عن محاسن الديانـة . فاذا خالطت بشاشتها القلوب ، وحلت الحقـائق محل الخرافات ، وقامت المحاسن مقام المساوئ . سار المسلمون في طريق السعادة ، فلم يلبثوا ان يحلوا ربوعها ، وفي هذا اكبر خدمة لنوع البشر وسعادته .

❀❀❀

وقال الشيخ يوسف الفقيه.احد مستشاري محكمة التميز الشرعية في كتابه (حقايق الايمان) تحت عنوان « بطلان تعديل جميع الصحابـة وجواز البحث عن احوالهم » ما نصه بحروفه.واني اذكره اكمالاً للبحث العلمي مع فرط اجلالي لمن يستحق الاجلال من الصحابة والفقهاء قال :

ومن عجيب امرهم اجماعهم على عدالة جميع الصحابة وعددهم عند فقد النبي صلى الله عليه وسلم مائة واربعة عشر الف صحابي – هذا مع ما يتلونـه في كتاب الله تعالى (ومن اهل المدينة مردوا على النفاق) وقوله تعالى (وما محمـد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقوله صلى الله عليه وسلم (انكم محشورون

حفاة عراة وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (بينا انا على الحوض اذ مر بكم زمرا فتفرق بكم الطرق فاناديكم الا هلموا الى الطريق فينادي منادٍ انهم بدلوا بعدك فاقول الا سحقاً الا سحقاً) وقوله صلى الله عليه وسلم (يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقال انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى) حكي هذا عن تفسير الثعلبي بسنده الى ابي هريرة الى غير ذلك من الاخبار المتفقة في هذا المعنى وقد رواها البخاري ومسلم في الصحيحين ولا ريب بان المراد بها العموم من حيث المجموع لعدم انقلاب الكل قطعاً . هذا مع ما كان من كثير منهم من الافاعيل والموبقات وما وقع بينهم من التشاجر حتى استحلوا دماء بعضهم واستباحوا الاموال وغير ذلك مما يقف عليه المتتبع ولا يمكن القول معه بعدالة الفاعل الا برفع اليد عن الشريعة الاسلامية . واعجب من ذلك حملهم ما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » على عموم الصحابة ، ومنهم الزاني ، والكاذب ، والباغي ، وغير ذلك مما لا يخفى على من تتبع الأثر ، ولازم قولهم هذا جواز الاقتداء بهم في مثل ذلك ايضاً . واعجب من ذلك تحريمهم البحث فما كان من الصحابة والصحابة انفسهم لم يحرموا ذلك بل كانوا ينالون من بعضهم بذكر ما كان منه . هذا مع تجويزهم البحث في احوال الانبياء والمرسلين . وقد جوزوا عليهم القبائح قبل النبوة بل وبعدها عند جماعة منهم عدا الكذب ، ونسبوا اليهم اموراً لا تليق بمقام وجوه المؤمنين وقالوا لا يدخل الجنة من ينتقص احداً منهم وليس بمسلم من روى قبيحاً عنهم . وما ادري ما الذي دعاهم الى ذلك وحملهم على ما هنالك مع انه لم يقم عليه دليل والاصل يقتضي التحليل والعيان شاهد على كفر البعض وفسق الكثير . « الى آخر ما قال »

❀❀❀

وقد لحظت من الرسائل المنشورة ضد السفور ان اكثر علماء زماننا لم ينقلوا لنا من احسن الاقوال شيئاً بل نقلوا كل ما فيه بدع من التعسير والتعقيد فاذا اتكلنا على ما يقولون فصفقتنا لاشك خاسرة — وبما ان العلماء المنسوبين اليوم للفقه لا يؤلفون ارقى طبقة من الامة ، فينبغي لكل مسلم مستنير ذي حمية على ملته ، ان يشعل مصباح عقله ، متجهاً الى الجهة الدينية ، ويقرأ بنفسه الكتب الفقهية ويردها الى الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة المثبتة ، راداً هذه ايضاً الى الكتاب ، فيرى هنالك غير تلك الاقوال الشاذة التي نقلوها لنا . يرى هناك اقوالاً اخرى يجب ان تستنير الامة منها ، فتزيل ما علق بالاذهان مما القى على عقول العامه ظلاماً حالكاً .

اجل ان امامنا كتاب الله جلت حكمته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وامامنا اقوال الفقهاء المختلفة ، والله جل فضله انعم علينا بنعمة العقل ، فعلينا ان نحكّم العقل لنرى اي الاقوال ينطبق على الكتاب والسنة.فنحكمُ انه احسن الاقوال . ذلك ما يستوجب التيسير ويوافق مصلحة الامة ، ذلك ما يجب علينا ان نتبعه مصداقاً لقوله تعالى « بَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »

ولكن اذا لم نكتف بحرمان انفسنا ، إعمالنا العقل للاجتهاد ، بل حرمناها ايضاً اعمالنا اياه في التفكير لاختيار احسن الاقوال ، وادراك الخير والشر ، متكلين في ذلك على كل ذي عمامة نصادفه ، مسيرين بما

نختار لا مخيرين بما نعقل ، فقد اطفأنا بيدنا ذلك النور الروحاني فينا اطفاءً باتاً وحرمنا انفسنا العقل افضل نعم الله علينا ، وكنا ممن فاتهم ان الدين انما اختص به الانسان لانه عاقل مفكر ، خلافاً للحيوان الاعجم ، وان الدين في الشرع ، وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود ، الى ما هو خير لهم بالذات ، وان الله سبحانه وتعالى انما خاطب بآياته اولي الالباب ومن يعقلون ، فمن استثنى نفسه من عداد المخاطبين لم يكرمها ولم ينفعها . وكنا ممن لم يفطنوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « دِينُ المَرءِ عَقْلُهُ وَمَنْ لاعَقْلَ لَهُ لادِيْنَ لَهُ » و « لا يَتِمُّ دِيْنُ المَرءِ حتى يتمَّ عَقْلُهُ » فمن اعتقد انه ليس له عقل تام يعقل آيات الله واحاديث رسوله ، فقد اعترف بنقص في دينه وايمانه .

قال الشيخ جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى : « ان الدين الاسلامي يكاد يكون منفرداً من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل ، وتوبيخ المتبعين للظنون . وتبكيت الخابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم ، هذا الدين يطالب المتدينين ان يأخذوا بالبرهان في اصول دينهم . وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم العقل ، تنطق نصوصه بان السعادة من نتائج العقل والبصيرة ، وان الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة ، واهمال العقل ، وانطفاء نور البصيرة » . الى ان قال « ان المقلدين لا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر ، واذا استمر بهم ذلك تفشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة ، حتى تعطل عقولهم عن اداء وظائفها العقلية بالمرة ، فيدركها العجز عن تمييز

الخير،فيحيط بهم الشقاء، ويتعثر بهم البخت،وبئس المآل مآلهم »

فينبغي علينا ان لا نجعل الوهم يستولي علينا فيمنعنا من النظر في اقوال الاقدمين بعين نقادة لاختيار الحسن ، ويمنعنا من التفكير في آيات الله واحاديث رسوله،لنعقلها بانفسنا ونتدبرها ونتذكرها.فالله سبحانه قد امرنا بذلك امراً صريحاً ، ومنع التقليد في دينه .

قال سيدي محيي الدين العربي : « لا يجوز ترك آية او خبر صحيح لقول صاحب او امام.ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً وخرج عن دين الله ... وما اوجب الله علينا الاخذ بقول احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم... ولايجوز ان يدان الله بالرأي وهو القول غير حجة ولا برهان لامن كتاب ولاسنة ولا اجماع ... والتقليد في دين الله لايجوز عندنا لا تقليد حي ولا تقليد ميت »

وقال الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه « الاسلام روح المدنية » ان حجر العمل بالكتاب والسنة، ووجوب التقليد، والعمل بقواعد الفقهاء، من اعظم الاسباب التي اودت ببقية الروح التي كانت مختلجة في جسم الاسلام،ومرفرفة فوق عقول المسلمين ».

ويجب ان ندفع عن انفسنا الوهم القائم في ان الاذهان المفكرة في الدين مختصة بالاقدمين ، فان حكمة الخالق ، ومصلحة الامة، لاتجيزان ان نعترف للاولين بعقول صالحة للتفكير،ومعرفة الحسن والقبيح،وادراك

الخير والشر . وننكر على انفسنا العقول السليمة الصالحة لذلك . فالله تعالى جل جلاله العدل كله ، هو الذي خلقنا كما خلق الاقدمين، وهو الذي اعطانا كما اعطاهم عقولاً .

ويجب ان لا نقبل حجر بعض الفقهاء على عقولنا ، مستأثرين بالعقل لانفسهم ، مهددين بالمروق كل من يعمل منا عقله ، فمن يقبل الحجر على عقله ، ينقص من نفسه شرطاً من شروط الاسلام . لان الحجر على العقل يبطل عمله ، واول شرط من شروط الاسلام هو العقل .

ويجب ان لا نقبل الجمود في العقل ، لان الجمود في العقل ، ينتج في ما ينتج ، الجمود في الشرع . والجمود في الشرع، ينتج الجمود فينا. وان الجمود لمظهر من مظاهر الموت . الا ترون ان تجميدهم الشرع بسدّ باب الاجتهاد حمل الخلافة وسائر الدول الاسلامية على ان تقيم مقامه في المعاملات قوانين غير جامدة تتبدل راقيةً مع الزمان ؟ فهل كان سدّ باب الاجتهاد فعلاً رشيداً، ورأياً سديداً ؟ انهم فعلوا ذلك ولم يستشرفوا النتيجة .

نعم ، ان من يجمد ، يحسب ميتاً ، فيقوم مقامه حي . فلنخشَ ان نجمد ، ولنتقِ الله في ما نُجمِّد به الشريعة .

❀❀❀

رحمك الله يا شيخنا محمد عبده ، فانت من ادرك لبّ دين الاسلام ، وقد قلت في رسالتك (التوحيد) : « علا صوت الاسلام على وساوس الطغام ،وجهر بان الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ، وصرف القلوب عن

التعلق بما كان عليه الآباء ، وبما توارثه عنهم الابناء ، وسجل الحمق والسفاهة على الآخذين باقوال السابقين ، ونبّه على ان السبق في الزمان ، ليس آيةً من آيات العرفان ، ولا مسمياً لعقول على عقول ، ولا لاذهان على اذهان . وعاب ارباب الاديان في اقتفائهم اثر آبائهم ، ووقوفهم عند ما اختطته لهم سير اسلافهم ، وانحى على التقليد ، وحمل عليه حملةً لم يردها عنه القدر ، وصاح بالعقل صيحة ازعجته من سباته ، وهبّت به من نومه الى آخر ما قال .

رحم الله ذلك الشيخ الجليل ، وهو الذي قال في فراش موته ، وجوارحه تتألم من الحالة التي وصلنا اليها :

ولستُ أبالي ان يُقالَ محمدٌ أَبَلَّ او اكتظّتْ عليه المآتمُ
ولكنَّ ديناً مثل دينِ محمدٍ أُحاذرُ ان تقضي عليه العمائمُ

❀❀❀

نعم ان الاسلام قد منحنا الحرية في التفكير تامة ، وجعل الكتاب والسنة مرجعنا ، والعقل قائدنا ، ان العصمة لفي الكتاب والسنة . اما اقوال آبائنا واسلافنا ففيها خطأ وفيها صواب ، ولا مميز بينهما الا العقل ، والعقل لا سبيل له الى التمييز الا بالتفكير ، والبحث الحرّ . واذا قلنا بتحريم البحث فيما كان من الصحابة والفقهآء ، وقلنا ان السلف كله سلف صالح ، فلا يُبحثُ في اعماله واقواله انتج ذلك حجراً على العقل ، وجموداً فيه ، يجعله كالميت لا يرجى منه عمل يوصلنا الى الحقائق التي اراد سبحانه

وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم ان يريانا اياها . فكم من حقيقة خفيت على السلف ، فاظهرها الخلف . اجل ان في كتاب الله حقائق كثيرة غفل عنها الاولون . ولم يغفل عنها المتأخرون . انها ترآءت لهم ملموسة لا شبهة فيها وسترون من ذلك امثالاً .

فبعد كل ما تقدم ، وبعد ما سمعنا من العلماء الاعلام الذين ذكرت اقوالهم ، ارى ان تسليمنا بدوام الحجر على العقول ، امر غير معقول .

قد يقول قائل : لم يحصر دفاعك عن حق وحريتها بالمرأة ، بل تناول الدفاع عن حق الرجل وحرية عقله .

نعم ياسادة انه تناوله ، لان للمرأة بعض هذا الحق ، فجمود عقل الرجل والحجر عليه ، يتناول الحجر على عقل المرأة وجموده .

***

سادتي وسيداتي من قضاة الاجتماع .

ذكرت لكم ان اقوال الفقهاء ، في حرية المرأة وحقوقها متعارضة .

ولا يخفى عليكم ان امامنا من الشرع قاعدتين ومن القانون قاعدتين :

فالاولى من الشرع (التيسير أولى من التعسير) لقوله تعالى « يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ » ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم « عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ » او هي (الفرج أولى من الحرج) لقوله تعالى « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »

فاذا كنا لا نرجع الى امر الله وسنة رسوله ، ناظرين الى سنن الفقهاء المبتدعة وحدها . فينبغي لنا على الاقل ان نختار من اقوال الفقهاء ، ما فيه التيسير والفرج ، ونضرب عرض الحائط بما فيه التعسير والحرج . لان الله يريد لنا الاول ، ولا يريد لنا الثاني

وقد قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى « اذا رأيتم في اقوالي ما لا يوافق كتاب الله وسنة رسوله فاضربوا به عرض الحائط » .

القاعدة الثانية : (اذا تعارضت الحجج بلا مرجح تساقطت) فاذا لم يعمل بالقاعدة الاولى للحكم بما يستوجب التيسير والفرج . وبما ان الاقوال للمرأة وعليها قد تعارضت فتساقطت ، لم يبقَ للحق مرجع إلا الكتاب والسنة ، وهما يفيضان للمرأة نوراً .

الحق واحد يا سادتي والهدى واحد ، فالاقوال في ما احدثوه من الاجتهادات والسنن ، لا يمكن — عند اختلافها وتناقضها — ان يكون كل منها على هدى ، وكل منها حقاً . ولا يجوز ترجيح قول على الآخر بلا مرجح . فيقتضي الحال حينئذٍ الرجوع الى الحق عينه ، ان الحق لكتاب الله جل جلاله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

اما القاعده الاولى من القانون . وكأنها مستمدة من الحديث الشريف « إِدْرَأُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » فهي : (انه عند احتمال الامرين ، من اجتهاد وادلة ، يؤخذ بما ينفع المتهم ويعيد له حريته) .

واني أجلّ قضاة الاجتماع الذين يعطون المتهمين هذا الحق ، عن ان

يحرموا امهاتهم ، وبناتهم ، واخواتهم، وزوجاتهم ذلك الحق عينه.

فارجو منكم ايها القضاة ، ان تأخذوا بالقول الحق النافع لنسائكم ، لا بالقول الضارّ ، وإلا فانتم على الأئمة الجناة اعطف منكم عليهنّ .

القاعدة الثانية (في العقوبات يقتصر على النص ولا يجوز التوسع فيه اجتهاداً او قياساً) . وما حجبُ المرأة وحبسها في بيتها مدة حياتها ، إلا تعزيراً وعقوبةً من اشد التعزير والعقوبات بدون معصية منها ، فكل اجتهاد او قياس ارادوا فيه توسعاً في النص لعقوبتها لا يعتدُّ به .

فارجو منكم يا قضاة الاجتماع بعد استماع دفاعي كله ان تتذكروا قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة له : (ايها الناس الا إن اقوا كم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، واضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه) ، وان تفكروا وتدققوا ، والمرجع الكتاب والسنة ، والقائد العقل مجرداً عن العادة والتقليد والهوى ، وبعد ذلك تحكمون ، وامامكم آية الله « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ » .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ٱلْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : إِثْنَانِ فِي ٱلنَّارِ وَوَاحِدٌ فِي ٱلْجَنَّةِ . رَجُلٌ عَرَفَ ٱلْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، فَهُوَ فِي ٱلْجَنَّةِ . وَرَجُلٌ عَرَفَ ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَقْضِ بِهِ وَجَارَ فِي ٱلْحُكْمِ ، فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ ٱلْحَقَّ فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ . » فعسى ان تكونوا من قضاة الجنة .

وقال صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن : « إذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظلِمِ فعليكُمْ بالقرآنِ . فمنْ جعلَهُ أَمامَهُ قادَهُ إلى الْجنّةِ ، وَمَنْ جعلَهُ خلفَهُ ساقَهُ إلى النَّارِ . وَهُوَ الدَّليلُ ، يدلُّ عَلَى خيرِ سبيلٍ . وَهوَ كتابٌ فيهِ تفصيلٌ وَبيانٌ وتحصيلٌ . وَهوَ الفصلُ ليسَ بالهزْلِ . ولَهُ ظاهرٌ وَباطنٌ . فظاهِرُهُ حُكْمٌ ، وَباطنُهُ عِلْمٌ . ظاهِرُهُ أنيقٌ ، وَباطنُهُ عميقٌ . لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نجومٌ . مَصابيحُ الْهُدَى وَمَنارُ الْحكمةِ وَدليلُ الْمعرفةِ . فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَه ، وَلْيَفْتَحْ للضّياءِ نَظَرَه ، يَنْجُ مِنْ عطَبٍ ، وَيتخلَّصُ مِنْ نَشَبٍ ، فإنَّ التفكُّرَ حياةُ قلبِ الْبصيرِ ، كما يَمْشي الْمُسْتَنيرُ فِي الظُّلُماتِ بالنُّورِ . فعليكُمْ بِحسنِ التَّخلُّصِ وقلَّةِ التَّرَبُّصِ . »

ويقول علماء الحقوق : (حسن تطبيق القوانين اضمن للعدل من حسن سنها) فالقوانين الناقصة يكملها القضاة واولو الامر بحسن اجتهادهم واستقامتهم . والقوانين الكاملة تنقص بسوء اجتهادهم واعوجاجهم .

فعسى ان تكونوا ممن يظهرون ما عندنا من الكمال ، لا ممن ينقصون .

وقال البيضاوي : ان النفس قد تكره بسائق العادة ما هو اصلح ديناً واكثر خيراً ، وقد تحب ما هو بخلافه ، فليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى للخير .

ولي ملء الثقة انكم ستحكمون بحرية النساء المسلمات وسفورهن ضمن دائرة الكتاب والسنة ، فإن غير المسلمات لسن أحق منهن بالعقل، والدين ، والحرية ، والنور . ان ذلك من انوار الحق الازلي التي يجب ان تنير كل انسان .

لا انكر عليكم ايها السادة والسيدات ، اني لما باشرت اعداددفاعي استندت فيه الى العقل فحسب ، ولكني ما قرأت ذلك الدفاع على ابي — وعنده احد الشيوخ العلماء المستنيرين — إلا رأيت عيني ذلك الشيخ تلمعان ، ووجهه يفترّ من الاستحسان . غير انه قال : ان دفاعك يا ابنتي غير تام ، لان الادلة الدينية ، لم تشترك مع الادلة العقلية في هذه القضية ، التي يجب ان يُشرك فيها العقل والدين ، فهما متآزران في الحق لا يفترقان. قلت : هل في الدين ادلة منطبقة على ما اراني العقل من الادلة وهو مطلق مجرد ؟ فقال الشيخ الجليل (كل الصيد في جوف الفرا) لا امر في الدين القويم إلا قبله العقل السليم ، اذا افلت من القيود ، وتجرّد عن الاهواء ، وما استحسن مثل هذا العقل امراً إلا كان منطبقاً على اصول الدين ، وان جاء في كتب الفقه ما لا ينطبق على المصلحة والعقل ، فليس ذلك إلا خطأ في الاجتهاد ، لان المجتهد يخطىء ويصيب . والاجتهاد يتغير بحسب المكان والزمان ، ولكن كل شيء مردود الى الكتاب والسنة.

نظرت الى ابي فقال : الحق ما قاله حضرة الشيخ. فأسمعني الشيخ درساً

وجيزاً بدا لي شعاعاً من الهدى ساطعاً . تم شرع ابي يلقي عليّ دروساً تلو دروس، آنست فيها هدًى كثيراً ، ونوراً يلي نوراً . ففتحت كتاب الله وكتب الحديث الشريف ، وكتب الفقه والتفسير ، واطلقت للعقل حريته في تعقلها - فكان لي من كتاب الله وسنن رسوله انوار هدًى في الحرية، وحرية المرأة وحقوقها تستحيي منها الشمس اذا طلعت .

❀❀❀

رجحت يا سادتي وسيداتي تقديم البحث في الادلة العقلية ، على البحث في الادلة الدينية ، فقد جاء في الحديث عن الامام علي رضي الله عنه (ألعقلُ شرعٌ من داخل والشرعُ عقلٌ من خارج) وفي الحديث (حُجَّةُ اللهِ عَلَى العِبادِ النَّبيُّ ، وَالحُجَّةُ فِيما بَيْنَ العِبادِ وَبَيْنَ اللهِ العَقْلُ)

فقلت اذا كانت الحجة بين الله والعباد العقل ، فلا بدع ان يكون العقل ارجح حجة الناس ؟

فقلت اذا كان العقل شرعاً من داخل فكيف لا اتمسك بهذا الشرع وفيه لروح الانسان حياة .

وقلت اذا كان الشرع عقلاً من خارج ، فليس الشرع إلا عقلاً يزيد العقل جوهراً فيتكمل الشرع .

قالوا، وما ادراكم ما قالوا؟ قالوا: النساء ناقصات العقل والدين، ليس لهن ان يبحثن في ادلة هذا، ولا في ادلة ذاك.

قلت، يا سادتي: ليس من مصلحة الامة الاسلامية، ولا من مقتضى شرفها، ان يكون نصفها ناقص العقل والدين. وليس من مصلحة الرجل ان يقال ان امه ناقصة، وابنته ناقصة، واخته ناقصة، وزوجته ناقصة.

وقلت، يا سادتي: (العقلُ نورٌ من الله روحانيٌّ تدرك به النفسُ العلومَ الضروريّةَ والنظريّة،) فلا يستطيع احد ان يحرم المرأة هذا النور الروحاني إلا المنعم به عليها، انه تعالى مصدر الانوار يهدي لنوره من يشاء.

وقلت: اني من عباد الله مؤمنة، (أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). واني مسؤولة عن عملي ومجزيّة به. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إتَّقُوا فِرَاسَةَ ٱلْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ ٱللَّهِ» وان «الحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ ٱلعِبَادِ وَبَيْنَ ٱللَّهِ ٱلعَقْلُ». فكيف تحرمونني ان انظر بنور الله وان أفهمَ حجته تعالى وأفهمَ حجتي؟

يا سيدي الرجل، ينبغي لك ـ وانت القائل بكمال عقلك ودينك ـ ان لا تجعل حجتك على المرأة في اتهامك اياها بنقص الدين والعقل، كحجة الذئب على الحمل. فأيّد، ان استطعت، قولك بالبرهان. كما اني عاهدت نفسي ان لا اقول قولاً إلا أيّدته بالبرهان عقلاً ونقلاً عملاً بقوله تعالى: «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»

ان الثمرة دليل على الشجرة . ودليل الشيء في الامور الباطنة يقوم مقامه . وبما ان الدين في النفس هو من الامور الباطنة ، فلننظر الى اعمال الاثنين ، الرجل والمرأة ، فيما يتعلق بالدين ، لنعلم ايهما الناقص ، او الكامل فيه . ذلك لان العمل الظاهر صورة من النفس ، او هو دليل الحس الباطني .

وقد جاء في الحديث الشريف : (أَلاَ إِنَّ ٱللهَ تعالى لَمْ يَدُلَّ عَلَى ٱلْبَاطِنِ ٱلْخَفِيِّ إِلاَّ بظاهرٍ منهُ ونَاطقٍ عنهُ)

تعلمون يا سادتي وسيداتي ، ان الرجال هم الألى سنُّوا قوانيننا وانظمتنا ، فاعلنتها الخلافة قبل الغائها . اما المرأة فلم يشركوها ولم تشترك هي في وضع حرفٍ منها

اذن ، ان القوانين الموضوعة هي عمل الرجل المادّي الدالّ على درجة تعلقه بدينه ، وحرصه عليه .

فالدين يا سادتي وسيداتي ، حرَّم الربا . اما الرجل فقد حلَّله في قوانينه . واسّس المصارف لتعاطيه ، ومنها ما ينسب الى الدولة كالمصرف السلطاني .

الدين حرَّم المسكر وبيعه وشراءه وتقويمه . اما الرجل فقد اباح في قوانينه شربه ، وبيعه ، وشراءه ، وقوّمه . واسّس لشربه ، وشرائه ،وبيعه ، حانات سنّ لها انظمة مخصوصة ، واخذ عن المسكر ضرائب أدخلها بيت المال .

الدين حرّم الخنزير ولم يجعل له قيمة . اما الرجل فقد قوّمه واستوفى عنه ضرائب ادخلها ايضاً بيت المال .

الدين اوجب التعزير والحدود الشرعيـة على شاربي المسـكرات ومرتكبي المعاصي • اما الرجل فقد ألغى ـفي قوانينه الحدّ والتعزير الشرعيـين .

الدين اوجب قطع يد السارق ، واتلاف العضو بالعضو • اما الرجل فقد حرّم في قوانينه ذلك •

الدين اوجب رجم من يستحق الرجم من الرجال والنساء • امـا الرجل فقد منع الرجم ، وجعل ما يستوجبه حلالاً لا عقاب عليه في قوانينه.

الدين وضع احكاماً زجرية هامة تتعلق بالارتداد • اما الرجل فقد منع تطبيق تلك الاحكام ، وما عدها شيئاً •

الدين اباح ضرب المتهم بالسرقة وتعذيبه مـا لم يظهر المظم حتى يقرّ • اما الرجل فقد حرّم في قوانينه ذلك ، ووضع عـلى ضارب المتهم ومعذبه العقوبة الارهابية •

الدين حرّم الصور والتماثيل • اما الرجل فانشأ متاحف كبيرة واعظمها في دار الخلافة ، ملأها من التماثيل ينافس في جمعها الامم ،وسن لحمايتها نظاماً اعلنته الخلافة قبل الغائها ، وقد الّف لذلك ادارة رسمية • وهذه تماثيل محمد علي ، وابراهيم باشا ، ومصطفى كامل ، منصوبة ـفي ساحات مصر •

الدين وضع الشريعة ليعمل بها . واقام حكام الشرع ليقضوا بين الناس بمقتضاها. اما الرجل فقد سنَّ قوانين وانظمة جديدة، اعلنتها الخلافة قبل الغائها، بدّل فيها معظم الاحكام الشرعية تبديلاً يجيز الممنوع، ويمنع الجائز . وقد اهمل كثيراً من تلك الاحكام اهمالاً . واقام محاكم نظامية متعددة القضاة، مختلفة الاديان والمذاهب، لتحكم بموجب القوانين والانظمة . وحصر المحاكم الشرعية في دائرة من الوظائف ضيقة، لا تتناول من وظائفها القديمة إلا قليلاً قليلاً، اكثره يختص بالنساء . كأن الرجل ابقى ما ابقى من الاحكام الشرعية، قصد الاستمرار في العمل بما قال الرجال القدماء في امر النساء . والله اعلم بما يعملون .

الدين اباح الاسترقاق . اما الرجل فقد حرمه في قوانينه ، ووضع العقاب على بائع الارقاء والاماء وشاريهم .

الدين حلّل ما حلّل ، وحرّم ما حرّم . اما الرجل فحرّم الحلال ، وحلّل الحرام ، حتى انه منذ عهد الخلافة شرع يفتح بيوتاً للفجور سنَّ لها قوانين وانظمة ، وعين لها اطباء ، وموظفين ، حيث اذن للمسلمات ايضاً في التبذل .

يسمح بهذا سيدي الرجل ، ولا تهوله فظاعته الدينية . ولكن لا يسمح للمسلمة الشريفة الرصينة ، لا يسمح لربة النبل والعفاف والكرامة، لا يسمح لربة الخلق الكريم ، والادب الرائع القويم ، لا يسمح لأمه، وابنته، وزوجته، واخته ان يستنشقن الهواء ويرين النور . لا يسمح لهن

باستخدام القوى التي اودعها الله وجوههن ، وهي في الدين قوى حرة طليقـة .

وقد لا يغيظ بعض الرجال ، علـى ما اسمع ، ان يرى مقنعة مـا داخلة بيوت الفجور ، او خارجة منها ، تجلب على الاسلام عاراً ، بقدر ما يغيظه ان يرى سيدةً سافرةً تسعى للكسب الحلال ، او للتكمل العقلي والادبي ، في دور العلم ، والادب ، والفن ، والصناعة ، تُعدُّ نفسها بذلك لضمان نفعها ، ونفع عائلتها ، وامتها .

فيا لتدين الرجل من تدين صحيح ! ويا لغيرته على الدين من غيرة صادقة ! انه كامل الدين ، وحافظ له ! يستخرج من ذلك لنفسه حق السيطرة باسم الدين ، ليس على نسائه فحسب ، بل علـى نساء غيره من المسلمين . فبئس الاستخراج ! وبئست السيطرة ! وبئس المكر ! وبئس الرياء !

يا سيدي الرجل ، تذكر قوله تعالى « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ » « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً »

يا سيدي الرجل .

انك لا ترى ما فعلت ، وفعلت ، مروقاً والحاداً . ولكنك ترى الالحاد ان تتكمل المرأة ادباً ، ونوراً ، وعقلاً ، ورشاداً . اني اطيع الله والرسول ، ووليّ الامر عليّ ابي ، ولن اطيع من يرائي في دين ربي رياءً .

والدين حرَّم التشبيب، والتغزل، وانشاده، واستماعه. اما الرجل فقد اغرق في ذلك اغراقاً. وتلك دواوين الشعر شاهدة.

والدين حرَّم الملاهي واستماع آلاتها. اما الرجل فقد حلَّل ذلك تحليلاً. ولو اردت ان اسرد كل ما حلَّل من الحرام، وحرَّم من الحلال، لاستغرق ذلك زمناً طويلاً. ولكن لا ارى لي غنىً عن ذكر مخالفته الدين بما يفعل بوجهه، كما ساذكر في كل موضع من موضوعي الأدلة البالغة على مخالفته الدين في ستر وجه المرأة.

فالدين، يا سيداتي وسادتي، امر الرجل بارخاء لحيته وجزّ شاربيه جزّاً يلزق بالشفة، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَحْفُوا ٱلشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا ٱللِّحَى» وعلى قولٍ (أَعْفُوا ٱللِّحَى). ولهذا نرى المسلمين في العجم ما زالوا يكفّرون من يحلق لحيته. وقد ورد في الحديث «حَلْقُ ٱلرَّأْسِ مُثْلَةٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَجَمَالٌ لَكُمْ». اما الرجل عندنا فقد اطلق لنفسه حرية التصرف في رأسه ووجهه المقيدين بالنص، وفعل عكس النص. فاحفى اللحية وابقى على شعر رأسه، وارخى الشاربين، او احفى اللحية والشاربين، او ابقاهما معاً. واما وجه المرأة المطلق بموجب النص، فقد قيده خلافاً للنص، بالنقاب المظلم، سادّاً دونها طرق عقلها ومنافذ حياتها.

وبكلمة أبين ان الله جات حكمته، غطّى وجه الرجل بالشعر الطويل والدين امر بابقاء ذلك الغطاء. اما الرجل فقد ازاله.

وكذلك جلت حكمته ، خلق وجه المرأة مكشوفاً نقياً ، والدين امر ببقائه مكشوفاً جلياً . اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعله خفياً .

فاثبت بذلك انه يرى نفسه قوياً كالطائر الكاسر ، ويرى المرأة ضعيفة كالذبابة ، متمشياً على ذلك القول القديم السقيم . «ان القانون مثل حبائل العنكبوت ، تخرقها الطيور الكواسر . ولا يعلق بها الا الذباب.»

او انه تعوَّد كل خطيئة ، حتى امسى لايحسبها شيئاً ، فلا يهوله من الامور الا ما لم يتعوَّد .

ذكرت لك يا سيدي الرجل ما ذكرت من اعمالك المحسوسة التي خرقت فيها احكام الدين وخالفت اصوله . فهل لك ان تذكر للمرأة مخالفة لاصول الدين واحدة ؟

لا اعتقد ان ذلك في استطاعتك . اذن وجب عليك ان تعترف لساعتك بانك لست اكمل من المرأة ديناً ، ولست اكرم منها عند الله . «يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ»

وتذكر ان كنت ناسياً لا متناسياً ، انك أُمرتَ بان تأخذ نصف الدين عن امرأة . وذلك بالحديث الشريف القائل : (خُذُوا نِصْفَ دِينِكُمْ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُمَيْرَا) تلك سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

❀❀❀

يا سيدي الرجل .

بعد كشف اعمالك واضطرارك الى الاعتراف بانك لست اكمل من المرأة ديناً ، استدرك ما يُحتمل ظنّه بقولي : إني ذكرت من اعمالك ما ذكرت . لا لتحسين او تقبيح ، انما لاريك انك عند البحث في امر المرأة ترائي في الدين رياءً ، وتموّه تمويهاً .

فقد كان في اعمالك تلك ما يُستحسَن وما يستقبح . اما التَّبعة في ذلك فتابعة لقصدك . فان كان في قصدك عدم احترام الدين ، فانك آثم لا عذر له . واذا كنت ممن اجتهدوا في التأويل للخير ، وكانت اعمالك تلك ، نتيجة اقصى اجتهادك . فلا يُسأل المرء عن اجتهاده بل يُثاب . سواء كان في خطإ ام في صواب .

قد تكون استندت ، يا سيدي ، في اباحتك ما منع ، ومنعك ما ابيح الى السيادة العلية ، اعتقاداً منك ان ذلك مما يتعلّق بالمعاملات الدنيوية ، وقد اقتضته تطوّراتها بحسب الزمان ، واستوجبته اسباب العمران . قد يكون انك حرّرتَ باجتهادك القاعدة الجليلة القائلة (لا يُنكر تغير الاحكام بتغير الازمان) ، من بعض القيود التي توهن قوّتها ، مضيِّقةً دائرتها ، منقصةً فائدتها ، فاخذت بالحكمة المكنونة في آيات الله ، مأوِّلاً اياها خير تأويل ، تبعاً للقصد الالهيّ في التنزيل ، وليس القصد الالهي في احكام المعاملات الدنيوية ، الا الخير للبشر في الدنيا ، وطرائق الخير في

الدنيا المتقلبة، تختلف بحسب الازمنة المتحولة . فلأهل الازمنة ان يذهبوا ما شاؤا من المذاهب في سبيل خيرهم ونفعهم . وحيث يتم الخير والنفع للناس يتم القصد الالهي، انه ينبوع الخير واليسر والرقي للعباد . أوليس من اجل ذلك كانت آيات الله اثناء تنزيلها تنسخ، وتعمم، وتخصص، بحسب الزمان، تأميناً لنفع الانسان ؟ أوليس من اجل ذلك جعل عندنا اجماع الناس اصلاً من اصول الدين كالكتاب والسنة، وما يحله الناس على الارض محلولاً في السماء عند غيرنا ؟

سادتي : ان التجدد لازم، ولا بد لنا منه . فخير لنا ان يكون تجددنا عن اجتهاد واعتقاد، من ان يكون نتيجة خرق في الدين او إلحاد. وهل يحسن بنا ان نعد الخلفاء، والدول الاسلامية في تجددهم ووضعهم القوانين الجديدة، خارقين احكام الدين او ملحدين، وغير مكترثين لها او مهملين ؟ لا لعمري .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن «اَلْقُرْآنُ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ حَيَاةُ قَلْبِ اَلْبَصِيرِ، كَمَا يَمْشِي اَلْمُسْتَنِيرُ فِي اَلظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ» . فينبغي للعالم الاسلامي ان يشكر لأولي الألباب جليل فضل لهم بتفكرهم في عميق باطن القرآن، مستخرجين بتأويلهم من حكمه لآلئ وجواهر، يصوغونها قلائد لجيد العصر موافقة، ولعله مطابقة .

وقد يكون يا سيدي انك ممن تفكروا في عميق باطن القرآن

فأوَّلوا آياته مما يتعلق بالمعاملات الدنيوية خير تأويل ، لخير الناس الدنيويّ ، تاركاً للسيادة الدينية كل ما يختص بالعبادات ، لأنها علاقة البشر بالخالق ، وهي ثابتة ابداً ، ليس للمخلوق أن يمدّ الى تأويلها يداً . فاذا كان ذلك — وقد يحمد الناس لك تمهيدك السبل للتفكير الحر والتطور ، على مثال ماجرى ويجري في العالم الراقي — فعلامَ ترى ستر وجه المرأة — ولم يكن إلا بدعة ابتدعوها وعادة اتّبعوها — اشدَّ علاقة بالدين من تلك الامور التي غيرتها وبدّلتها ؟ أليس ذلك منك اثر هوى ورياء ، واعوجاجٍ والتواء ؟

وهل يطلب الدين من المرأة — اذا بقي منصرفاً لتمجيد الله ، ولم تداخله البدع — ان تقدّم لخالقها غير قلبها وايمانها ، وصالح اعمالها ؟ فالله جلَّ وتعالى عن ان يستر وجهها ستراً يفسد اكثر مما يصلح ، حارماً اياها ان تستخدم القوى التي اودعها سبحانه فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ يَنظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ لاَ إِلَى وُجُوهِكُمْ »

ان وجه المرأة مطلقٌ حرٌّ . هكذا اراده الله ، وهكذا اراده رسوله ، وهكذا يريده الاجتماع . وسترى الادلة تترى .

سادتي وسيداتي

لقد تبين أن الرجل ليس اكمل من المرأة ديناً، فلنبحث فيما اذا كان اكمل منها في الفطرة عقلاً.

ساذكر هنا ما اذكر في الجولات العامة مثبتةً بالادلة، وبالنظر الى الظاهر، ان المرأة اصلح عقلاً من الرجل في الفطرة. اذ ان كمال العقل لا يقاس الا بصلاحه، ومن لا يكتفي هنا بما اكتفي، فله في قسم الادلة العقلية ما يفي.

سيستكبر الرجال هذا المقال، ولا غرو ان تشترك في استكباره ربات الحجال، اي ربات الخلخال. ولكنه حقيقة.

استكبر الناس ما قاله غاليله من دوران الارض حول الشمس، ولكن قوله كان حقيقة. حقيقة رآها فقالها، ولئن رُدَّت في البداية، فقد سادت في النهاية.

من الامور المعلومة يا سادتي ان الرجل تغلّب على المرأة بقوة جسمه، فاستعبدها وحرمها استعمال قواها من حيوانية وناطقة، فانسدَّت طرق عقلها، فأدّى ذلك الى تفاوتٍ بينه وبينها في اظهار آثار العقل، كما يحصل التفاوت بين كل غالبٍ مُستعبِدٍ ومغلوبٍ مُستعبَد. فظن من كان قصير النظر، ان الحالة الماثلة امامه، مقتضى الفطرة، ولو تحرى الحقائق، لعقل ان هذه الحالة ليست إلا لسبب عارض، ينشأ من تغلب الرجل على المرأة، واتّباعه هواه واستعباده اياها.

اما العاقل فلكي يرى الحقيقة، يجيل نظره في الماضي وفي الحاضر، لا في مكانه فقط، بل في كل ارض من الارضين وفي كل عالم من العالمين.

فالرجل يا سادتي حرٌّ مستعبِدٌ للمرأة منذ عصور الله اعلم بها.

امـا المرأة فلم تنل حريّاتها، إلا في العالم الراقي، ومنـذ سنوات معدودات.

اجيلوا الطرف في ذلك العالم. أفلا ترون ان المرأة، مع ان حرّياتها لم تكمل بعد، تجاري الرجل رقياً في امور الحياة كلها؟. فكم من مكتشفات ومخترِعات، وطبيبات، ومهندسات، وقاضيات، ونائبات، ومحاميات، ومعلمات، وعالمات، واديبات، يسابقن الرجال في ميدان العقول. فمن هنا يمكن ان تستشرفوا المستقبل. فتعلموا ان المرأة اذا قضت الزمـان الكافي في دور تكملها العقلي، نالت دون ريب حرّياتها كاملةً، وجرت في ميدان الحياة تباري الرجل. ولا يبعد ان تسبقه شوطاً في كل ما يعود لخير الانسان. ولا قوة في الكون قاهرة، تستطيع ان تقعدها بعد نهوضها، كما انه ما من حجاب يستطيع ان يقاوم اشعة الحرية الساطعة عليها.

انظروا مثلاً الى الرومانيين، وقد كانوا اعظم أمة في العالم، كيف كانوا وهم متمتعون بالحرية التامة، في اعلى درجات الرقيّ التي وصلت اليها الانسانية في ذلك الزمان، وانظروا اليهم بعد استيلاء البرابرة عليهـم، وسلبهم اياهم حرياتهم، كيف غشيَهُم ظلام الجهل، وانحطوا عقلاً وعلماً انحطاطاً تدريجياً انتهى بزوال اسمهم من سفر الحياة.

وانظروا الى اليونان لما كانت مشرق الحرية، كيف كانت مشرق العقل، والعلم، والفلسفة. وانظروا اليها لما تمكن غيرها من استعبادها فغربت عنها الحرية، ولا سيما في استعباد التُرك، كيف غشيها ظلام من الجهل حالك. ذلك حال كل امة مُستَعبَدَة، ذلك حال كل شعب تسلط عليه الاقطاعيون وسُلبت حرياته، او قُيِّدت بانواع القيود. وذلك كان حال الارقاء في العالم. انهم كانوا يناهزون الاحرار عدداً، ولم يسمع قط عن رقيق انه افلح قبل ان تحرر. لماذا؟ لان ظلم الحرّ اياه كان ينهك قوى عقله، ويمنع آثارها ان تظهر.

وانظروا الى الامة الاسلامية، والى اية درجة من السمو وصلت، لما كانت فيها العقول حرةً طليقةً. وانظروا اليها لما قُيِّد فيها العقل والفكر، وحرما حريتهما في الاجتهاد والتفكير في كتاب الله وسنة رسوله، وفي كل ما يؤدي الى خيرها، كيف جمدت بل كيف تقهقرت.

هكذا المرأة، في استعباد الرجل اياها، وسلبه اياها حريتها، نراها في ظلام من الجهل حالك، ولكن في دور تحرّرها في العالم الراقي، نراها تجاري الرجل في الرقيّ العقلي وتكاد تباريه. ذلك مما يدلنا على ان سبق الرجل المرأةَ في اظهار آثار العقل لم يكن مقتضى الفطرة، بل مسبباً بسبب عارض احدثه الرجل، فقد اجبرها على اهمال خدمة عقلها حتى اصبح كالارض البائرة التي لا يصلح فيها نبات، ولكنها ارض طيبة مستريحة، اذا أصلحت اعطت احسن الرزق، واطيب الثمر، واوفر الخير.

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه عبارات للفيلسوف استوارت فيها لنا عبرة

قال الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه (الاسلام روح المدنية) « ان المرأة المسلمة اليوم متأخرة عن سواها في العلوم والحضارة ، ولكن ذلك من جهل الرجل ، واستبداده ، وعدم اطلاعه على ما سنته لها الشريعة المطهرة من الحقوق . فالذنب في ذلك راجع اليه »

صدق الشيخ الغلاييني . لانك لو نظرت ، يا سيدي الرجل ، الى العالم السافر الراقي ، لرأيت ان تلك المرأة التي كانت مغمورة بالزينة . متسربلةً بالازياء ، منغمسةً في اللهو ، قد حلَّ محلها في ذلك العالم — حيث حلَّ العقل محلَّ القوة ، وحلَّت الحرية محل الاستعباد ، وحلَّ العلم محل الجهل ، وحلَّ الاهتمام بزينة الروح محل الاهتمام بزينة الجسد — امرأة جديدة هي المرأة التي وصفها المصلح الكبير قاسم امين بانها شقيقة الرجل وشريكة الزوج ، ومربية الاولاد ، ومهذبة النوع .

❊❊❊

واسمح لي يا سيدي الرجل . وانت تحسب امرأتك ناقصة العقل والدين ، وقد اهملت روحها ، وجعلت جسمها لعبة بزينة للهوك وهواك ، اسمح لي بان اقرأ لك العبارة التي وضعها الفيلسوف الكبير استوارت ميل في صدر كتابه المسمى (الحرية) ، وقد طبعه بعد وفاة زوجته ، قال :

« اني اهدي هذا الكتاب الى الروح التي الهمتني احسن ما وضعته فيه من الافكار الى صديقتي وزوجتي التي كان غرامها بالحق والعدل اعظم ناصر لي ، والتي كان استحسانها من اكبر المكافآت التي ارجو نيلها على عملي . كان لها في جميع

ما كتبته الى الآن . ولها في هذا الكتاب حصة من العمل لا تنقص عن حصتي فيه . واكبر اسفي ان هذا الكتاب طبع بالحالة التي هو عليها الآن قبل ان تعيد النظر فيه . ولو كان في استطاعة قلمي ان يعبر عن نصف ما دفن معها من الافكار العالية والوجدان السامي . لانتفع العالم به اكثر مما ينتفع بجميع ما اكتبه . صادراً عن فكري ووجداني . بدون مشورة عقلها الفريد »

لله استورات ، ولله زوجته ، واكثر من امثالهما بيننا، كأنهما هما اللذان ادركا ، مع من ادركوا ، لب دين الاسلام فتمشيا عليه . الم يؤثر في قلبك يا سيدي الرجل ما قاله استورات ؟ الم يسرِ منه لقلبك سيال روحيّ يردّك الى الحق ، فتردّ الى زوجتك حقوقها المسلوبة ، اقلها التسليم لها بالعقل والدين ؟

* * *

يا سيدي الرجل رجحتَ عقلك من حيث الفطرة على عقل المرأة ، وذلك ليس من امرك ، وليس في استطاعتك ، لانه اخفى الاشياء عليك . فخالفت بذلك امر ربك (وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً) ألم تعلم ان الله خلق العقل ، وهو اول خلقٍ من الارواح على يمين العرش ، كما علمنا صلى الله عليه وسلم ، وان روحك او عقلك ، ليس إلا نفسك وحقيقتك ، ذلك اخفى الاشياء عليك ، كما قال حجة الاسلام الامام الغزالي ؟

اما انا فأقرّ واعترف بان ترجيح عقل الرجل من حيث الفطرة على عقل المرأة ، او ترجيح عقل هذا على عقل هذا ، ليس من امري ، ولا في استطاعتي ، لانه اخفى الاشياء عليّ . ولكن بما انك ادّعيت ما ادّعيت ،

رأيت انه لا بدّ لي من الدفاع عن نفسي ، وعن بنات جنسي ، ورأيت انه لا ينبغي للانسان ان يهمل البحث العلمي في ما يلوح له من اسرار الطبيعة ، آخذاً بالظواهر . ولا تظنَنّ اثباتي ان المرأة اصلح من الرجل عقلاً ، يسوقني الى طلب ترجيح المرأة على الرجل منزلة .

اني لن افعل كما فعل الرجل ، ولكني اطلب منه ان يعترف بان المرأة مثله عقلاً ومنزلة . بذلك أبتعد عن التفريط والافراط ، لازمة حد العدل والاعتدال والمساواة .

ان الفطرة ، يا سادتي وسيداتي ، هي ما تتصف به روح كل حيّ في اول خلقه ، والروح في الانسان ، من حيث الخاصة ، كما يفهم من قول العلماء والمفسرين ، روحان : روح جسمانية مشتركة بين الانسان والحيوان ، وروح ناطقة يمتاز بها الانسان على الحيوان . اما الروح الناطقة فهي تتغير بالاكتساب ، فترقى او تتدنّى . واما الروح الجسمانية المشتركة ، فهي لا تتغير . فلا ترقى ولا تتدنّى .

ان مباحثة الرجل مباشرة في الروح الناطقة او العقل ، أهو ارجح من حيث الفطرة فيه منه في المرأة ، ام هو ارجح فيها منه فيه ، لا توصل الى نتيجة تجلو الحقيقة . اذ ان هوى الرجل يثنيه عن الاذعان للحق . فوجب لحمله على الاذعان للحق ان اثبت قضية تشبه قضيتي لا هوى له فيها يثنيه ، ثم أتخذُ تلك القضية المسلّمة ، مقدّمة للقياس ، فتظهر النتيجة التي لا مندوحة له عن الاقرار بها . إذن وجب لكي نعرف الفطرة ان

ندرس الروح المشتركة ، وهي لا تظهر منفردة إلا في الحيوان ، ثم نقيس عليها الفطرة في الروح الناطقة .

انظروا الى ذكر وانثى من ايّ نوعٍ كان في الحيوان ، تروا ان الذكر اقوى جسماً من الانثى . وأن الانثى اصلح غريزة من الذكر . كأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يظهر عدله فاعطى الذكر الحظّ الاوفر من قوة الجسم ، واعطى الانثى الحظّ الاوفر من صلاح الغريزة . واراد ايضاً ان يُظهر حكمته باضطراره كلاً من الانثى والذكر للشركة ، فيكمل كل منهما ما نَقَصَ في صِنْوِه . فهذا يستفيد من تلك حكمة ، وتلك تستفيد من هذا قوة .

اجل ان الله تعالى جعل الانثى في الحيوان ، اصلح من الذكر واحكم منه غريزة ، ولولا ذلك لمَا كلّف الله انثى الطير بناء العش . ولا يخفى ما في بناء العش من دقة لا يمكن ان تكون إلا بنت حكمة ، ولمَا كلّف تلك الانثى تربيةَ صغار النسل وحفظه ، وهذا ما يستوجب من الحكمة والعناية قسطاً اوفر من ذاك ، وما ذلك كله إلا من خصائص العقل الحيواني المعروف بالغريزة التي هي قائدة الحركات الجسدية .

اما الذكر من الطير فلم يكلّفه الله ما يستلزم تكليف الانثى ، من دقةٍ وعنايةٍ وحكمة . إنما كلّفه ما يوافق قوة جسمه من جلب قشٍ لبناء العش ، والتقاط قوت لصغار نسله .

تلك حالة ثابتة في روح كل حيوان ، وقاعدة طبيعية عامة لا تتغير ،

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه البنات اصلح من البنين

ولا استثناء فيها. وهي مقدمة صحيحة في القياس نستنتج منها ان الروح الناطقة او العقل يرجحُ فطرةً في المرأة كما ترجح قوة الجسم في الرجل. ولو لا ذلك لما خصَّ الله تعالى الرجل بالجهاد الاصغر وهو يقتضي قوةً من الجسم اكثر مما يقتضي من العقل، ولما خصَّ المرأة بالعناية في تربية الصغار وهي تقتضي قوة من الروح والعقل اكثر مما تقتضي من الجسم، مع انه سبحانه وتعالى كلَّف الاثنين في غير ذلك تكاليف لا فرق بينهما فيها.

وهنا ايضاً نسبّح الله تعالى وقد اظهر عدله في اعطائه الرجل الحظَّ الاوفر من قوى الجسم، والمرأةَ الحظَّ الاوفر من قوى الروح. كما اظهر حكمته في اضطراره كلاً من الرجل والمرأة الى الشركة، فيكمل كلٌّ منهما ما نقص في صنوه. ولا بدع انه تعالى عدل في قسمته نعمهُ بين الذكر والانثى من الانسان، وهو اشرف مخلوقاته. فانه سبحانه قد عدل ايضاً في قسمتها بين الذكر والانثى من الحيوان.

ان النعمة التي اسبغها الله على الرجل من قوة الجسم محسوسة منظورة. فلا ريب انه جل عدله اسبغ على المرأة من قوة الروح والعقل ما يعادل نعمته المنظورة على الرجل.

＊＊＊

قلنا يا سادتي: ان الفطرة هي ما تتصف به روح كل حي في اول خلقه قبل ان تتحوَّل وتتغيَّر، قبل ان ترقى او تتدنَّى بالاكتساب. اذن

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه البنات اصلح من البنين

يستدل على فطرة الانسان من احواله وافعاله في صغره، فانظروا الى البنين والبنات، حتى السن التي يحجر فيها عندنا على هؤلاء . ويطلق اولئك . فماذا ترون على الغالب ؟

انكم ترون على الغالب اولئك يفتقون وهؤلاء يرتقن، اولئك يبعزقون وهؤلاء يرتبن ، اولئك يقسون وهؤلاء يرأفن ، اولئك يكدرون وهؤلاء يسررن ، اولئك يتعبون وهؤلاء يُرِحن ، اولئك يفسدون وهؤلاء يصلحن ، اولئك يتمردون وهؤلاء يطعن ، اولئك يضرّون وهؤلاء ينفعن ، اولئك يلعبون وهؤلاء يجددن ، اولئك يوسخون وهؤلاء ينظفن ، اولئك يقحُون وهؤلاء يستحيين . حتى امسى ويا للاسف من امثال العرب (وقاحة الوجه سلاح الفتى) ومن اقوال الوالدين (نحب البنات لما هنّ عليه الآن ، ونحب الصبيان لما يكونونه في المستقبل)

فتأملوا في اعمال الجنسين واحكموا في ايهما الأدل على الصلاح في الفطرة والعقل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبُّوا أَوْلَادَكُمُ الذُّكور » قالوا والإناثُ يا رَسولَ ٱللهِ قال : « لاَ حاجةَ إلى أنْ يوصيكُمُ ٱللهُ بِالحبِّ لهنَّ فهنَّ يحبِّبْنَ أنفسَهنَّ إليكُمْ بِصلاحِهنَّ وحنانِهنَّ »

❁ ❁ ❁

اذن ليس الرجل اصلح من المرأة عقلاً في الفطرة ، وما العقل الصالح إلا شيمة النفس الناطقة المرضية ، وما كان سبق الرجل المرأة في ميدان

الحياة والعمل ، إلا للسبب العارض الذي احدثه الرجل ، وهو تقييده قواها ، وغلّه حركاتها بما شاء من القيود والاغلال ، ظلماً وعدواناً ، مستنداً في ذلك الى قواه الجسدية ، دون ان يشرك العقل او الروح في افعاله ، فكانت شائنةً يخجل القلم من ان يكتبها ، لولا ان اظهار الحقيقة يحمله على ذلك .

اجل ان الانسان لمخلوق عجيب ! متى غلبت فيه النفس الامّارة بالسوء فليس في الحيوان ابعد منه عن رقة الشعور ، واكثر منه غضباً ، وهوًى ، وشراً ، وظلماً واذًى وضراً . واذا غلبت فيه النفس الناطقة المرضية ، وهي نفخة فيه من الروح الالهية ، اوقعَ الله الملائكة له ساجدين ، وليس فيهم الطف منه شعوراً ، واوفر حكمةً ونزاهةً وعدلاً .

ومَن مِن الجنسين كثرت في افراده انتصارات النفس الناطقة المرضية فهو الاصلح عقلاً

ان العقول الصالحة توزن بقسطاس العدل والحكمة والنزاهة والخير لا بميزان الظلم ، والشر ، والاستبداد ، والضير . وإلا كان اوفر نصيب من العقل للابالسة والشياطين ، وللاشقياء الاقوياء ، والظلمة المستبدين المضرّين .

❀❀❀

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقله المرضية
وفيه كيف عامل الرجال الاقدمون نساءهم

ساذكر لك يا سيدي الرجل ما صنع الرجال الاقدمون بامهاتهم وبناتهم واخواتهم وزوجاتهم من الظلم والاعتساف، شيمة النفس الامارة بالسوء، ذلك قبل ان اشرقت على نفوسهم انوار الهدى وبعث الله تعالى نبينا بمكارم الاخلاق.

قال الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه «الاسلام روح المدنية» مانصه:

«كانت المرأة عند العرب قبل ان تشرق على بصائرهم اشعة الدين الاسلامي، اشبه بحيوان يتخذونه للقنية. فهي ساقطة الاعتبار والمنزلة، بل انهم كانوا يفضلون الحيوانات عليها. فكانت حالتها عند العرب من الصعوبة والشدة بمكان سحيق، لايجاريهم في اضطهادها واحتقارها مجار من الامم. حتى انهم كانوا يجعلون البنات، إن ولدن لهم، علامة على الشر، ويتطيرون منهن. وكانت عادة الوأد شائعة عندهم، فقد كانوا يعدمونها الحياة دساً في التراب، وكانوا يبيعونها بيع السلعة، او يستبدلون بها بعض الحيوانات — كل ذلك خشية العار والشنار على زعمهم — والوأد عندهم على انواع: فكان منهم من يحفر لها حفرة يدفنها فيها الى ان تموت. ومنهم من يرميها من مرتفعات عاليات، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها — وكانت المرأة مع كل هذ الاضطهاد تسلم نفسها لعوامل الهلاك، كانها لم تخلق الا لتموت وكانوا يستترون اذا ولدت زوجاتهم بنتاً، حياء من القوم كانها ذنب عظيم او عار ابدي. فكانت المرأة بهذه الاعمال الوحشية مهضومة الحقوق كانها الحيوان الاعجم حين يساق للذبح. فهي آلة بيد الرجل يديرها كيف شاء: وقد ظلت على هذا الاضطهاد والذل الى ان اشرقت شمس الهداية المحمدية، والتعاليم القرآنية. وكان الرجل اذا مات وترك امرأة التي عليها قريبه ثوبه، فمنعها من الناس. فان كانت جميلة تزوجها، وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها. وكان الرجل اذا اراد ان يتزوج امرأة جديدة بهت الاولى بفاحشة لتفتدي منه بما اعطاها ليصرفه في سبيل التزوج بغيرها. وكان اهل يثرب «المدينة المنورة» اذا مات الرجل وله زوجة ورثها

من يرث ماله . وكان يعضلها اي يحبسها ويضيق عليها ويمنعها من الزواج حتى تفتدي منه بمال »

الى آخر ما وصف وقال . ثم ذكر شيوع تعدد الزوجات شيوعاً هائلاً بلا نظام ولا حدّ حتى ان بعضهم كان له من الزوجات ما يقارب مائة زوجة .

وبعد ان اشار الشيخ المومأ اليه الى ما كانت عليه المرأة من الشقاء والذل عند الامم قال :

انها كانت عند الفرس تحت سلطة الرجل المطلقة يحكم عليها بالموت ان شاء ويتصرف بها طبقاً لما تطيب به نفسه كأنها سلعة .

وذكر السيد جميل بيهم في كتابه (المرأة في التاريخ والشرائع) ما ذكره الغلاييني وزاد عليه قائلاً :

ان السبارطيين كانوا يقتلون سبع بنات من عشر يولدن لهم . وان البراهمين يحرقون الزوجة بالنار او يدفنونها مع زوجها ان مات .

هذه هي صورة عن عقل الرجل في فطرته يا سيدي الرجل . والذي اصلح فيه من الفطرة ما اصلح هو الدين ، فالفضل في اصلاح حالته لدينه لا لفطرته . ان الدين هو الآساس التي قامت عليها صروح الاصلاح والصلاح ، وان تحرير المرأة في العالم الراقي اقام على هذه الآساس بناء من الصلاح عظيماً ، فهل لك ان تريني اعمالاً ظالمة غاشمة وقعت من المرأة مثل الاعمال الظالمة الغاشمة التي وقعت من الرجل لتعزو اليها النقص في عقلها اي في نفسها الناطقة المرضية ، وما هي الا العقل الصالح ؟

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه كيف عامل الرجال الاقدمون نساءهم

اهذاهو العقل الفطري الصالح الذي يفضل به الرجل المرأةَ مفتخراً به عليها . اذا وقع صالح عاقل ضعيف الجسم ، في يد غاشم قوي ، واهانه وظلمه ، فهل يُحسَب ذلك الغاشم الظالم القوي الجسم الضعيف الروح ، افضلَ عقلاً من ذلك الصالح العاقل المظلوم ، الضعيف الجسم ، القويَ الروح ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إمْرَأَةٌ صَالِحَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ غَيْرِ صَالِحٍ » وفي الحديث عن حجة الاسلام الامام الغزالي : « اَلسَّلَامَةُ فِيهِنَّ أَكْثَرُ وَالثَّوَابُ أَجْزَلُ »

هل رأيتم يا سادتي حيواناً في الدنيا يعامل اناثه كما عامل الرجل اناثه ؟ هل رأيتم حيواناً قتل اولاده او وأدها كما قتل الرجل اولاده الاناث ووأدهن . هل رايتم انثى الحيوان تُحرق او تُدفن حيّةً مع صنوها اذا مات ؟ هل تخيَّل المتخيلون ان الغول الوهمي صنع بامه ، وبصنوته ، وبناته واخواته كما فعل الرجل بامه وصنوته وبناته واخواته ؟ أيُتوقَّع ان يقع فعل كهذا من صالح في الفطرة عقلاً . عقلاً يفضل عقل المرأة ؟ هل ترون ان للنفس الناطقة المرضية اثراً في افعاله تلك ؟ أولا ترون الرجل محتاجاً الى استصحاب المرأة ، واحترامها ، وإشراكها في اعماله ، لتنصر بما لها من فضل ربها من قوة الحكمة ، النفسَ الناطقة ، المرضية منه ، على النفس الامّارة بالسوء ؟.

إنّا نستفظع الآن ما صنع آباؤنا الاولون بامهاتهم ، وبناتهم ، وزوجاتهم ،

واخواتهم ، وكانوا يحسبونه بمقتضى العادة الظالمة عدلاً وحقاً . وسيستفظع احفادنا ما يصنع رجال اليوم بامهاتهم ، وبناتهم ، وزوجاتهم ، واخواتهم ، وهم يحسبونه بمقتضى العادة الظالمة ايضاً عدلاً وحقاً . فياليتنا نعجل في اجتناب ماسيستفظعه احفادنا ، ويستفظعه الآن المستنيرون منا ، ومعاصرونا من الامم الراقية . (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) .

❀❀❀

يفتخر الرجل بانه كالنسر الكاسر ، والمرأة بين مخالبه كالحمامة او الدجاجة . ولعمري ان كلاً من الحمامة والدجاجة خير للانسان من النسر . فهما اصلح غريزة منه ، وافضل طبعاً وعملاً ، وحقهما ان يرجحا عليه منزلة وقدراً لدى اولي الالباب ، اذ انهما كلهما خيرٌ ومنافع ، لا ضرر منهما ولا أذى

زرتُ يوماً حديقة لبيت . فرأيت فيها مشهداً ما رأيت أغرب منه ، رأيت في احدى زواياها نسراً ذكراً ، هائل الخلقة ، تطل الشراسة من عينيه ، ويلمع فيهما بريق الكبر والخيلاء . قوائمه كعمد الحديد ، ومخالبه كشفار الفولاذ ، وفي عنقه ورجليه السلاسل الغليظة مخافة ان ينشب مخالبه بمربيه وباولاده وبزائريه . وفي الزاوية الاخرى طائفة من الحمام والدجاج ، تبيض وتفرخ ، فيعمد الرجل مربي النسر ، وفي اخلاقها

نوع من الشبه ، الى فراخها ويقذف بها بلا رأفة ولا حنان ، الى ما بين مخالب الطير الكاسر ، فيمزّقها ويلتهمها التهاماً ، ويحشو بها جوفه . والرجل يختال امامه كأنه يريد ان يتشبه به في اعماله نحو ابناء جنسه ، فيلتهم حقهم التهاماً .

الدجاجة والحمامة ثمران للرجل ، والنسر المؤذي يتمتع بالثمار ، هما الوديعتان يحكم الرجل على فراخهما بالموت ، والنسر المستبد الشرس يتغذى بلحوم هذه الفراخ . ممزّقاً اياها ، الحمام الضعيف يُهضم حقه ، ويكسر قلبه ، وتسلب حشاشته ، والنسر القوي يراعى جانبه ، ويُقدّس ظلمه ، ويُمنح حق غيره

لقد كان لهذا الرجل ثلاث بنات رافقنني في التفرّج على النسر وعلى اطعامه فراخ الدجاج ، وزغاليل الحمام ، ولم يكنّ موسرات . فقالت لي احداهن لما سرنا في الجنينة : نحن احق بفائدة الفراخ والزغاليل المسكينة ، ولكن هكذ قضت مشيئة والدنا . قضت ان تكون طعام النسر ، وليس النسر عندنا إلا بلاء وشراً .

نعم هكذا قضت ارادة ذلك الرجل ، ربّى نسره القوي الضار ، ليطعمه فراخ دجاجه ، وزغاليل حمامه الوديعة المفيدة ، وكانت بناته أحقَ منه فيها . افيكون النسر الوحشي خلقه ، الكثير اذاه ، المفقود خيره ، افضل من الدجاجة الاليفة ، والحمامة الوديعة ، ولنا من بيضها وفراخها

خير غذاء؟ أوهكذا تنتصر العقول المستبدة والنفوس المؤذية في الهيئة الاجتماعية، على العقول الصالحة والنفوس المرضية؟

كان زمان لا سيادة فيه إلا لقوة الاجسام. وكان الضعيف يتحمل اذى القويّ القريب منه، استحياءً به من أذىً اشدّ يوقعه قويٌّ غيره. اما الآن فالسيادة للعقول الصالحة، والارواح المرضية، والقوة للمجتمع لا للفرد، وكل فرد له قوة المجتمع، مُمثَّلةَ بالقانون. ومن يستعمل قوة جسدية فردية، لا يسيغها له القانون، فهو مذموم لا يستحق الكرامة، ذلك يستعبد امرأته، وامه، وابنته، واخته، ولكن غيره يستعبده، هو يظلمهنّ لكنه يُبلى باظلم منه.

لا تخافوا يا سادتي من ان تبدلوا الحكمةَ والنزاهةَ من القوة الفردية. فالحاكم الآن في الدنيا، ليس الافراد الاقوياء جسماً. بل النزهاء الحكماء الراجحون عقلاً. وكل نزيه عادل حكيم، حقه محفوظ ومكرَّم. فلا كرامة اليوم إلا بالتقوى، والخير، والصلاح، والسلام.

قال الله تعالى « إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَيرُ النَّاسِ مَنْ نَفَعَ النَّاسَ » وقال صلى الله عليه وسلم « أَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي »

إن سيدنا عيسى عليه السلام، لم يرد ان يصف نفسه بالسبع القويّ

المختال ، بل وصف نفسه بالحمل الضعيف الوديع ، قائلاً « تعلموا مني فإني وديعٌ ومتواضعُ القلب فتجدوا الراحة لنفوسكم » إذن الحمل خير من السبع . والله سبحانه وتعالى لم يصف نبينا صلى الله عليه وسلم بالبطش والقوة ، بل وصفه بمكارم الاخلاق قائلاً « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . ونصح له بقوله تعالى « لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ »

فلنأخذ من هذا الوصف وذاك الوصف عبرة ولنترك الخيلاء لنغلب النفس الامّارة .

❀❀❀

اتيلا ، تيمورلنك ، جنكيزخان ، وامثالهم من الفاتحين المستبدين ، حكموا اقساماً واسعة من العالم ، وداسوها بخيلهم ورجلهم ، ودمّروها بمجانيقهم ونيرانهم ، ويتّموا بنيها ، ورملوا نساءها ، بسيوفهم وفظائعهم ، واستعبدوها بظلمهم واعتسافهم ، انهم لم يتمكنوا من ذلك كله ، إلا بعقول كبيرة .

وباستور ، ذلك الرجل الصامت الهادئ ، لم يفتتح بلاداً ، ولم يحكم نفساً ، ولم يستعبد نفساً ، ولم يستبدّ بنفس وكل ما فعل ، انه وقف نفسه لخدمة الانسان ، فانزوى في غرفة عمله الجليل ، مع رهط من معاونيه وتلامذته الفتيان والفتيات ، واخذوا ، ومكبراتهم في ايديهم ، يتحرون اسباب الاوبئة القتالة ، التي تفتك بالالوف من البشر ، حتى اكتشف

الميكروب وانواعه، واسباب نمائه، ووسائل افنائه، فوقى البشرية بعقله وجهوده وصبره، شرّ الامراض القتالة، والاوبئة الفتاكة.

فيا سادتي الرجال، ايّ اصلح؟ أعقل الفاتح المضرّ الظالم، مدمّر البلاد، قاتل النفوس، مستعبد العباد، ام عقل باستور النافع المسالم، كاشف الميكروبات، واقي الحياة؟

ما كان مثل اتيلا بعقله وعمله، إلا شيطاناً أثيماً، وما كان مثل باستور بعقله وعمله، إلا ملاكاً كريماً. وما كان قائد الاول إلا النفس الامارة بالسوء، وما كان قائد الثاني إلا النفس العاقلة المرضية.

❀ ❀ ❀

يا سادتي الرجال: ان المرأة تؤثر الحمامة على النسر، والحمل على السبع، وباستور وامثاله على اتيلا وامثاله، وتريد ان تكون نافعة مثل من تؤثر.

فمن آثر منكم النسر على الحمامة، والسبع على الحمل، واتيلا على باستور، مؤثراً الراغب في ظلم المرأة واستعبادها وقتل قواها، على الراغب في انصافها وتحريرها وإحياء قواها، تعتبر المرأة ايثاره صادراً عن النفس الامارة، وتأمل منه ان يعمل اساعته بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيعلن الجهاد الاكبر لتغليب النفس المرضية عليها. انه لجهادٌ قام في

بني الانسان، في كل قطر ومكان، ولا يزال قائماً.

والناظر بعين البصيرة مجردة عن الهوى، يرى ان الظفر كان للنفس الناطقة المرضية في كل جهاد عاونت فيه روح المرأة روح الرجل، وكان الظفر على قدر اشتراك المرأة ومعاونتها، ويرى ان النفس الامارة بالسوء هي الحاكمة المطلقة في الرجل، ما لم يقم فيه الجهاد الاكبر. ولها الظفر على النفس المرضية في كل جهاد لا تعاون فيه روح المرأة روح الرجل، وظفرها بنسبة ابتعاد المرأة عن المعمعة. واذا اجلتم على العالم النظر مجرداً عن الهوى، ترون ما ارى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَكْثَرُ ٱلْخَيْرِ فِي ٱلنِّسَاءِ) ولا يعني ذلك الخير إلا الخير الروحي. وقال صلى الله عليه وسلم (ٱلْعَبْدُ كُلَّمَا أزْدَادَ لِلنِّسَاءِ حُبّاً أزْدَادَ فِي ٱلإِيمَانِ فَضْلاً) وما الحب الذي يعني رسول الله صلى عليه وسلم إلا تقارب روحه من ارواحهن. ذلك ما يؤثر في تغليب النفس المرضية على النفس الامارة بالسوء، فيزيد في الايمان فضلاً. فحيث تقاربت ارواح النساء وارواح الرجال تمَّ للرجال الظفر في الجهاد الاكبر.

وقال صلى الله عليه وسلم (وَهَلْ تُنْصَرُونَ إلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ) اوليس القصد من ذلك، النصر في الجهاد الاكبر، بمعاونة ارواح النساء المستضعفات؟ ان النصر في الحرب الجسمانية اي في الجهاد الاصغر لا يتوقع بمعاونة الضعفاء من النساء بل بمعاونة الاقوياء من الرجال.

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه روح المرأة نصير الرجل في الجهاد الاكبر

قال رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لي زوجةً اذا خرجت شيّعتني، وان رأتني مهموماً قالت لي ماذا يهمّك ؟ فان كان همّك للدنيا فالدنيا فانية ، وان كان للآخرة زادك الله هماً . وان رأتني مسروراً قالت زاد الله في سرورك . فتبسم رسول الله وقال : « إنَّ لِلَّهِ عُمَّالاً فِي أَرْضِهِ وَتِلْكَ ٱلمَرْأَةُ مِنْ عُمَّالِ ٱللهِ » .

اجل ان تلك المرأة من عمّال الله. تعمل لنصرة روح الرجل في الجهاد الاكبر .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ٱبْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلاَّ أَدْخَلَتَاهُ ٱلْجَنَّةَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ لَهُ ٱبْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي ٱلْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ »

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن كان لهُ ابنةٌ فأدّبها فأحسنَ تأديبها وغذاها فأحسنَ غذاءها ، وأسبغ عليها من النعمةِ التي أسبغ الله عليه ، كانت له مَيمنةً وميسرةً من ٱلنَّارِ الى الجنةِ »

صدقت يا رسول الله، صدقت يا حبيب الله، صدقت يا سيد الاولين والآخرين .

الا بارك الله في روح المرأة تلك الميمنة والميسرة في الجهاد الاكبر من النار الى الجنة .

نعم يا رسول الله ينبغي للرجل ان يستصحب المرأة وروحها دائماً فهي الميمنة والميسرة ، وهي التي تنيل الظفر بالاخلاق والعواطف، وتبعد عن الكبرياء والشر .

او ليس من اجل هذا كان (حب النساء من اخلاق الانبياء ، وكانت النساء احب ما في الدنيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المخاطب بقوله تعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ؟

هنا لا يمكن لعقل تقي سليم ان يتصور حباً جسدياً يفاخر الانبياء به ، دون ان ينقص من قدرهم ، جلوا عن ذلك ، وانما ذلك بمعنى التقارب الروحي بين نفوس الانبياء ونفوس النساء . فليس احرى من الانبياء بالنصر في الجهاد الاكبر .

وهنا استعير لسان النبي الحكيم سليمان بن داود عليه السلام، في مدح المرأة وروحها المرضية ، حيث قال عليه السلام في امثاله في التوراة :

« المرأة الفاضلة ثمنها يفوق اللآلىء . تصنع خيراً لا شراً كل ايام حياتها . تبسط كفيها للفقير وتمد يديها الى المسكين . سراجها لا ينطفىء في الليل ، وتشتغل بيدين راضيتين . زوجها معروف في الابواب بين مشايخ الارض . العز والبهاء لباسها ، وتضحك على الزمن الآتي . تفتح فمها بالحكمة ، وفي لسانها سنن المعروف . فلتمدحها اعمالها في الابواب » .

عوا ، يا سادتي الرجال ، ما تقول الانبياء عليهم السلام عن المرأة .

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه كيف تريد المسلمات ان يكون رجالهن

المرأة، يفوق ثمنها اللآلىء. المرأة، تصنع خيراً لا شراً كل ايام حياتها. المرأة، تبسط كفيها للفقير، وتمدُّ يديها الى المسكين. المرأة، تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سنن المعروف. المرأة، زوجها معروف في الابواب بين مشائخ الارض. نعم، المرأة الفاضلة زوجها معروف في الابواب بين مشائخ الارض. لانها تنصر بروحها الحكيمة الهنيئة، نفسه المرضية اذ انَّ الحكمة في فيها، وسنن المعروف في لسانها.

يا ايها الزاعمون التبعية لسنن الانبياء. من اين جلبتم للمرأة نقص العقل ونقص الدين، حتى اضعتم، يا ويحكم ذلك الكنز الثمين.

❊❊❊

ان المسلمات يردنَ ان يكون رجالهن رجالَ خير وخيرَ رجال، يعرفون ان ارواحهم نفخة من روح الله. فيجب ان تكون منبع العدل، والخير، والحكمة. والرحمة. والصلاح. يجب ان يعرفوا انهم خلقوا والنساء من روح واحدة، ويجب ان يخافوا من ان توصم نفوسهم بعيب، كما تخاف النساء من ان توصم نفوسهن بعيب.

يجب ان يكون ما يُعدُّ عيباً للرجل، عيباً للمرأة. وما يعدُّ عيباً للمرأة عيباً للرجل. وما يعدُّ فضيلةً للرجل، فضيلةً للمرأة. وما يعدُّ فضيلةً للمرأة فضيلةً للرجل. انما بهذا ويمثله من العدل يتم الصلاح في العيلة وفي المجتمع الانساني. فمن قبل هذا وعمل به عدَّته المسلمات رجلاً، رجلاً

حقاً يليق بان يكون قواماً على زوجته بمقتضى امر الله تعالى . وإلا فتسلّم نفسها مكرهةً الى عوامل الظلم ، كأنها لم تخلق إلا لذلك . وتخضع كما يخضع كل مظلوم لظالم ، وذلك ليس من مصلحة الرجل .

كان في الاناضول رجل صالح تقيٌّ ذو نفسٍ مرضية ، وكان له ولد شرير ، متكبر ، مؤذٍ ، مستبدٌ ، لئيم ، يمتهن اخواته ووالدته . نصح له والده مراراً فلم ينتصح ، وكلما امتنع عن قبول النصح كان والده يقول له (انك لا تصير ابداً رجلاً) . فلما بلغ الولد اشده دخل في خدمة الأنكشارية وتدرج في سلكهم ومعسكرهم الى ان صار في استانبول « باشا » اي باشا انكشاري ، وقد انقطعت عن والده اخباره . فلما استكبرت نفسه خطر في باله قول والده له (انك لا تصير ابداً رجلاً) فاراد ان يريه منصبه العالي ونفوذه . فبعث بامر الى والي الولاية ،فاحضر ابوه الشيخ في تعب وضنك شديدين الى حضرته ، وكان مجلسه موحشاً مهيباً . فقال له : هل عرفتني ؟ قال : لا . قال : انا ابنك الذي كنت تقول له (انك لا تصير ابداً رجلاً) ، فاحضرتك الى حضرتي لتراني « باشا » فقال له الاب : (صرتَ يا ولدي باشا ولكن لم تصر رجلاً) . اني لن اعترف بانك صرت رجلاً ، ما لم أرَ النفس الناطقة العادلة المرضية فيك ، غالبةً النفس المؤذية الظالمة الأمارة بالسوء .

الى الامام يا سادتي ، الى الامام في الجهاد الاكبر ، حتى لا يبقى في

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه ترجيح الرجل في الارث والشهادة وتعدد الزوجات
واستبداده بالطلاق حجج عليه لا له

النفوس من تلك العادات القديمة الظالمة المضرة اثر ، فيعقد للنفس المرضية والعقل الصالح لواء الظفر . فتكون ارواح الملائكة سائرة بينكم تبث الخير والصلاح في البشر .

❋ ❋ ❋

رأيت في بعض الرسائل المنشورة ضد المرأة وتحريرها وسفورها ان اصحابها يفاخرون بان الله تعالى فضل في كتابه العزيز الرجل على المرأة ديناً وعقلاً في امور ثلاثة :

الاول — في ان الله جعل ارثها نصف ارثه .

الثاني — في انه تعالى جعل شهادتها نصف شهادته .

الثالث — في انه تعالى اذن للرجل في تعدد الزوجات حتى اربع ، وبطلاقهن متى شاء دون رضائهن . ويستنتجون من ذلك نقص المرأة عقلاً وديناً . ذلك ما يزعمون انه حمل الله عز وجل على ان يفضل الرجل على المرأة في هذة الامور الثلاثة .

اما انا فاستنتج غير ما استنتجوا . وارى ان الحجة في ذلك على الرجل لا له .

اجل اني أطلّ على الاسلام من اعالي آيات الله واحاديث رسوله، فاراه مستوياً على عرش العظمة ، والحرية ، والمساواة ، والعدل ، والخير ، والكمال ، فينتعش قلبي ، وتكبر روحي ، حتى تكاد تخرج فرحاً

من صدري . فعسى ان يُطلّ من يدعون انهم حماة الاسلام ، وحملة لوائه الشريف من حيث أطللت ، فيرون ما قد رأيت . ولا يطلوا عليه من خروق تفاسير . وثقوب تآويل تريهم الاسلام في المكان الذي وضعته فيه تفاسيرهم وتآويلهم ، وهو يُجلّ عن مثل ذلك المكان اجلالاً عظيماً .

ان هذا الجواز الالهي لم يُبن إلا على قساوة قلب الرجل ، وصعوبة اذعانه الى الحق والعدل ، وعلى فساد خلقه بما اعتاد من سيء عادات الجاهليه وهي كما لا يخفى تخالف طبيعة النفس الناطقة المرضية .

انه اتخذ مستضعفات النساء اماء ، ومن استضعف من الرجال أرقاء ، يتصرف بهم تصرفه بالسلعة والبهيمة كيفما شاء . ولو لا فساد في عقله ، وغواية في نفسه ، وقساوة في قلبه ، لما كان منه ما كان ، ولما اجاز له الحكيم العليم ما اجاز له في ذلك الآن جوازاً يكرهه ويزول مع الزمان .

انكم رأيتم كيف كان حال المرأة في الدنيا عامة ، وفي الجاهلية خاصة ، تحت نير الرجل ، لما انزل الله تعالى كتابه على نبينا صلى الله عليه وسلم .

ان الله يكره استرقاق الارقاء ، وتعدد الزوجات ، وكل اجحاف بحقوق النساء ، ويبغض ذلك ، كما يبغض الطلاق ويكرهه ، ويهتز عند لفظه على الارض عرشه ، وسيأتي البيان تفصيلاً في بحث الطلاق .

ان الله انزل آياته كلها مشبعة بروح الحرية ، والعدل ، والمساواة

بين الناس . ولم يجعل فرقاً بينهم في الكرامة عنده تعالى إلا بالتقوى .

كيف يرضى الله سبحانه عن استعباد من نفخ فيه من روحه ، وامر الملائكة ان يقعوا له ساجدين ؟ هل نفخ الله من روحه في القوي المستعبد غيره ، ولم ينفخ منها في الرقيق الضعيف الذي استعبده غيره . كلا انه نفخ من روحه في الاثنين . ولكن الرجل القوي منذ عهد آدم عليه السلام « عَصَى رَبَّهُ فَغَوَى »

فاذا كان آدم عليه السلام ، وقد كان نبياً « عَصَى رَبَّهُ فَغَوَى » فكيف حال الاقوياء من اولاده الرجال الذين وجدوا في انفسهم قوة غووا بها ، فتكبروا ، وتجبروا ، على كل من استضعفوه فاستعبدوه .

ان الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في ذلك المحيط الفاسد الغاوي مبشراً ، وقد نصح له بقوله سبحانه « لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » ومن احاديثه الشريفه صلى الله عليه وسلم « عَلِّمُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا » .

قال الشيخ الغلاييني في كتابه (الاسلام روح المدنية) :

« ان الاسلام رأى من الحكمة ان لا يبطل بتاتاً بعض العادات المكروهة مثل تعدد الزوجات لان امام ابطالها عقبات كثيرة تحول دون ذلك » .

وقال :

« ان دين الاسلام يكره الاستعباد والرق ويجفو الاسر ، وكأنه ينادي بان

عادة الاسترقاق من بقايا الهمجية . ولكن السياسة لم تكن في ذلك الوقت تقضي بمنعه بتاتاً»

اجل ، انه كان ثمت عقبات كثيرة اقلها انه لو امر الله سبحانه وتعالى بتاً بابطال تلك العادات السيئة دفعة واحدة لنفر الرجال من دين الله ، ولانفضوا من حول نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولما عمل بامره تعالى إلا القليل.

انّ النساء والعبيد كانوا في يد الرجال الاقوياء في الجاهلية مالاً ومتاعاً لهم يتصرفون بهم ويتمتعون كيف شاؤوا . والرجل المادي يتعلق بمال الدنيا ومتاعها كما يتعلق بروحه . وقد كان الرجل يملك احياناً ما يقرب من مائة امرأة ، ويملك من الارقاء بقدر ما تطول يده . وكان هؤلاء يودّثون ويودَثون كالامتعة والبهائم . فكيف يُسلّم بتحريرهم وخروجهم من حوزته ومساواتهم اياه في كل امر بلا استثناء ما دفعة واحدة بلا تدرج؟

قال الله تعالى في كتابه العزيز « وَلَو أَنَّا كَتَبنَا عَلَيهِم أَنِ اقتُلُوا أَنفُسَكُم أَوِ اخرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنهُم » فكان من حكمته تعالى ان يزيل تلك العادات المكروهة تاركاً منها اثراً قليلاً تلهو به قلوب الرجال وتسكن اليه ، لئلا ينفروا من دينه ، بانقلاب فجائي تام ، يضر بمصالحهم الشخصية فينفضوا من حول نبيه .

وهل يمكن ان يتخذ من عدّ شهادتها نصف شهادته دليلاً على نقص عقلها ؟

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه ترجيح الرجل في الارث والشهادة وتمدد الزوجات
واستبداده بالطلاق حجج عليه لا له

اذا كان الامر كذلك ، فغير المسلم لم تكن شهادته على المسلم مقبولة . فهل يعد ذلك دليلاً على نقص عقله ، ام ناشئاً عن احوال استثنائية اقتضاها ذلك الزمان ؟

وهل كان عدُّ شهادتها نصف شهادته ، بالنظر الى النتيجة ، إلا لطفاً من الله بها اعتقده الرجل انه امتياز له فسكن اليه قلبه ؟ ان الشهادة ليست إلا تكليفاً يتعب صاحبه ويحرجه . فكأن الله اراد ان يطمئن قلب الرجل ويُخفف على المرأة من ذلك التكليف في وقت واحد . فكأن مرمى هذا الامر الفرقاني حمل الناس على استشهاد الرجال ما لم تكن امور مختصة بالنساء فتكون حينئذٍ شهادتهن تامة .

ولا سبيل الى الظن ان الله اختار ذلك لنقص في عقل المرأة او دينها فان اكثر الخير او الصلاح الروحي فيها . وإن امرأة صالحةً خيرٌ من الف رجل غير صالح . ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذن ، شهادتها في الحقيقة اصلح من شهادته ، واوثق في كثير من الاحيان .

ان حكمته تعالى اقتضت ان تترك اثراً من العادات السيئة طمأنينة لقلوب اصحابها ، ولكنه سبحانه انزل في كتابه من الحكمة آيات ، ورسوله صلى الله عليه وسلم اتانا في احاديثه بينات ازالت المحاذير من بقاء ذلك الاثر ، مخففه وطأة شره ، ومحولة حالته المملولة ، الى حالة مقبولة ،

وكان الله تعالى عليماً بان أولي الالباب يمحونه مع الزمان محواً تبعاً للحكمة المكنونة في تلكم الآيات والاحاديث، تلك الحكمة التي يعلم الله انها لن تخفى عليهم. فكان تعالى بذلك مبيحاً استرقاق العبيد متشوّقاً الى حريتهم، وهكذا كان متشوّقاً الى منع تعدد الزوجات، والى ازالة كل فرق في الحقوق بين المرأة والرجل، وهذا من الامور التي قال بها ذلك المحقق الكبير الشيخ محمد عبدو.

وقال السيد جميل بيهم صاحب كتاب (المرأة في التاريخ والشرائع) ما نصه:

« وقد استنتج بعضهم من هذه الاحكام عدم جواز تعدد الزوجات لتعليق الاباحة على العدالة مع عدم امكان العدل. ولا غرابة في ذلك فطالما فسرت اقوال الشرائع حسب روح المدنيات. فكما ان المسيحيين قدروا ان يجدوا في دينهم ما يحظر تعدد الزوجات وهو لم يتعرض لذلك فالمسلمون يسهل عليهم ايجاد حكم يمنع التعدد مراعاةً لروح العالم العامة وتطور الحياة وترقي النساء ».

اجل ان ذلك اهون على المسلمين من ايجاد تلك الاحكام التي اباحوا فيها ما حرّم الله مثل الفواحش، والمسكر، والربا، ونصب التماثيل، وتلك الاحكام التي منعوا فيها ما امر الله به مثل الحدود والرجم والقصاص وسائر العقوبات الشرعية. اجل انهم على ايجاد تلك الاحكام سائرون.

الا ترون ان الرق زال من بين الاسلام كما زال عند غيرهم ، ووضع العقاب لكل من يسترق رقيقاً ؟

الا ترون ان تعدد الزوجات اضحى عند المتنورين منا امراً إدّاً ، وان دولة تركيا التي هي اعظم كتلة حرة مسلمة ، منعت تعدد الزوجات ، مرتبةً على ذلك عقاباً شديداً ؟

الا ترون ان المسلمين ، بما سنته خلفاؤهم وحكوماتهم من الشرائع ، جعل بعضهم شهادة المرأة في العقوبات وفي كثير من المعاملات كشهادة الرجل ، وجعل ارثها في الاراضي كإرثه ، وجعل الاتراك المسلمون شهادتها كشهادته في المعاملات كلها ، وارثها كإرثه في الاموال والاملاك كلها ؟

ان الحكومات الاسلامية لم تخالف امر الله وسنّة رسوله بما سنته من الشرائع ما حيةً بذلك من بقية سيء العادات ذلك الاثر . انها ادركت الحكمة المكنونة في آيات الله واحاديث رسوله فازالت الرقّ وكل فرق بين المرأة والرجل . انها اتبعت الروح من الآيات والاحاديث لا ظاهرها . وعلى الاسلام ، وكل ذوي الافهام ان يعتنوا بالروح لا بالظاهر ان هذا الموضوع لواسع جليل ، يقتضي الشرح الطويل ، للاقناع التام

بالدليل . بيد أن دائرة محاضراتي تضيق عن استيعابه . فسأضع ان شاء الله تعالى محاضرة مخصوصة به .

ومع ذلك ارى ان علينا ان نفطن منذ الآن للسبب الذي ابقى من تلك العادات السيئة أثراً أثر في المساواة المطلقة بين المرأة والرجل، وبين الرجال انفسهم من حرّ ورقيق . ألا ان السبب، هو ظلم الرجل، وقساوته، وغوايته ، واستبداده ، وتغلب نفسه الامّارة بالسوء ، على نفسه الناطقة المرضية . وذلك ما حمل الحكمة الالهية ، على اباحة امر مكروه ، ما كان تعالى ليعده عدلا وحقاً .

ومن الآن يجب ايضاً ان نفطن الى ان السبب لا علاقة له بعقل المرأة ودينها . أو كان عدم مساواة الرقيق الضعيف ، بالحرّ القوي ، ناشئاً عن نقص في عقله ودينه ، ليكون عدم مساواة المرأة بالرجل في الامور المذكورة ناشئاً عن نقص عقلها ودينها ؟ لو اراد الله تعالى الرق ، وتعدد الزوجات ، وعدم المساواة بين المرأة والرجل ، لما وضع الله تعالى على الرجل تكاليف لها مثل مهرها ، ونفقتها ، ونفقة اولادها ، تعادل ما نقص من ارثها وتزيد ، ولما وضع احكاماً تنتج زوال الرق ، واحكاماً تنتج اجتناب تعدد الزوجات ، ولما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناث على الذكور ، في كثير من الامور . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ساوُوا بينَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُ مفضِّلاً أحداً لفضَّلْتُ النِّسَاءَ »

وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ خَرَجَ إِلَى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَرَى شَيْئًا فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ . وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ ، لَمْ يُعَذِّبْهُ . »

وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ . وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ ، فَإِنَّ مَنْ فَرَّحَ أُنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ . وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَرَّمَ اللهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ . »

فلو كانت الاناث ناقصات العقل والدين ، لما استحققن تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهنَّ على الذكور . جلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يفضّل قلة العقل ، على العقل ، وقلة الدين ، على الدين .

وقال صلى الله عليه وسلم « إِتَّقُوا اللهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ الْمَرْأَةِ وَالرَّقِيقِ »

ويجب ان نقف بخضوع خشوع ، موجهين وجوهنا الى القبلة ، لنسمع آخر وصية منه صلى الله عليه وسلم في فراش موته ، قالها وفي قلبه النبويّ حسرة ، لانه لم يكمل ازالة الفروق بين الحرّ والرقيق ، والرجل والمرأة ، اكمالاً تاماً . قالها حتى تلجلج لسانه ، وانقطع كلامه . قال « الصَّلَاةَ . الصَّلَاةَ . وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . . لَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ . . . اللهَ .

اللهُ . فِي النِّسَاءِ ... إِنَّهُنَّ عَوَانٍ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ . أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ . »
قال هذا وفاضت روحه الطاهرة .

السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا حبيب الله . السلام عليك يا سيد الاولين والآخرين . سلام عليك ، يوم ولدتَ ، ويوم متّ ، ويوم تبعث حياً .

⊛⊛⊛

هذا ما اذكر من جهة العقل وفيه كثير من النقل . واما من جهة النقل فلا معرف لعقل المرأة اصدق من كتاب الله جل جلاله ، العالم السرمدي ، الذي خلقها والرجل من روح واحدة ، وساوى بينهما في العقل ليعقلا آياته ويتدبراها ، ويتذكراها ، ويعرفا محللاته ومحرماته .

قال الله في كتابه العزيز ، الآية الاولى من سورة النساء « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » .

فيا سيدي الرجل ، خلقت والمرأة من نفس واحدة ، اي من روح واحدة ، فكيف تدعي انك تفضلها عقلاً ؟

ان الله سبحانه وتعالى كلّف المرأة كما كلّف الرجل . وهل يُكلّف إلا العاقل ؟

انه تعالى خاطب اولي الالباب ومن يعقلون . فلو كان قصده من

اولي الالباب وممن يعقلون ، الرجل دون المرأة ، لسقطت حجته تعالى عليها ، وقامت حجتها عليه ، عز وجل ، ولا نحصر التكليف والثواب والعقاب في الرجل وحده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ ٱلعَقْلَ ٱسْتَنْطَقَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ . ثُمَّ قَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ . وَلَا أُكْمِلُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ . أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ : ٱلنِّسَاءُ ، وَٱلطِّيبُ ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلَاةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم « مِنْ أَخْلَاقِ ٱلأَنْبِيَاءِ حُبُّ ٱلنِّسَاءِ »

وقال صلى الله عليه وسلم « ٱلعَبْدُ كُلَّمَا ٱزْدَادَ لِلنِّسَاءِ حُبًّا ٱزْدَادَ فِي ٱلإِيمَانِ فَضْلًا . »

فكيف يجوز للرجل ان يتصور الله يحرِمُ النساء كمال العقل، والعقل موضع امر الله ، ونهيه ، وثوابه ، وعقابه .

بل كيف يجوز له ان يتصور ان الله لم يعطهن اصلح العقل واكمله ،

وهن احبُّ ما في الدنيا الى رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم ، وحبهن من اخلاق انبيائه . ويزيد في الايمان فضلاً .

انه لا يوافق عدل الله وهو العدل كله ان يعاقب المرأة ويثيبها ، مثلما يعاقب الرجل ويثيبه ، ما لم يكن مكملاً عقلها اكمالاً

وقد قال سبحانه وتعالى « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وقال « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . »

وقال عز وجل « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ . . . لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »

وقال سبحانهُ وتعالى (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

وقال تبارك وتعالى (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

فهل أراد الله ان لا يعقل آياته إلا الرجال ؟

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه بقية آيات الله واحاديث رسوله في كمال عقل المرأة

وقال جل وعلا (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

فهل ترك الله، جلت حكمته، هذه الآية البينة بانزال الرجز من السماء على من فسق، ليعقلها الرجال دون النساء؟ ألا يجب على النساء ان يعقلنها؟ وكيف يعقلنها ما لم يكنَّ كاملات العقول؟

وقال تبارك وتعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

فهل حرّم اللهُ جل جلاله المرأة ان تتدبّر آياته وتتذكر؟ وكيف تتدبّر او تتذكر إن لم تكن من أولي الالباب؟

وقال تقدس اسمه (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۝ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

فهل خاطب اللهُ سبحانه وتعالى بهذه الآية الرجلَ وحده؟ أوَلا يجب على المرأة ان تعقل ان الدار الاخرة خير لها فتتقي؟

وقال تبارك وتعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۝ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

أفلم يرد الله جل جلاله ان تعقل المرأة ما حرّم عليها؟

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه بقية آيات الله واحاديث رسوله في كمال عقل المرأة

وقال عز وتمجد وتعالى (وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ . كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو ٱلأَلْبَابِ)

وقال سبحانه (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ؟ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ٱلأَلْبَابِ)

أوَ لم يرد جل جلاله ان تتذكر المرأة كما يتذكر الرجل آياته لتثبتَ ايمانها وتحذر الآخرة وترجو رحمة ربها ؟

وقال جل جلاله (بَشِّرْ عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو ٱلأَلْبَابِ)

أفلم يجعل الله المرأة من أولي الالباب لتهدى . وتتبع احسن الاقوال ؟

إنها لو لم يجعلها الله من أولي الالباب لسقطت حجته عليها إن لم تستمع القولَ وتتبع احسنه فتهدى .

وقال جل علاه (مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)

فهل يظن الرجل ان الله تنزه وتعالى جعل المرأة المسلمة ممن كفروا حتى ألقى النقاب على وجهها لتعمى ، ومنعها من الكلام لتبكم وأسند الى الى عقلها النقص ليصمَّ ؟

هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية
وفيه بقية آيات الله واحاديث رسوله في كمال عقل المرأة

ساء ظن الرجل . فإن الله لم يفرق المرأة بالعقل عنه ، كما انه لم يفرقها عنه بالثواب والعقاب . بل ربما رجحها بالعقل والحكمة بقوله تعالى : (مَنْ يُؤْتَى الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم (أَكْثَرُ الخَيْرِ فِي النِّسَاء)

يا سيدي الرجل . قال الله تعالى في كتابه العزيز « وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

وجاء في الحديث القدسي « إِذَا أَحْبَبْتُ عَبْدِي كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَكُنْتُ بَصَرَهُ الَّذِي يَرَى بِهِ ، وَكُنْتُ عَقْلَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ . فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا يُحِبُّهُ ، وَلاَ يَسْمَعُ إِلاَّ مَا يُحِبُّهُ ، وَلاَ يَعْقِلُ إِلاَّ مَا يُحِبُّهُ . وَيَكُونُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ لَهُ يَداً مُؤَيِّداً ، وَعَوناً وَوَكِيلاً ، يَحْمِي سَمْعَهُ ، وَبَصَرَهُ ، وَيَدَهُ ، وَرِجْلَهُ ، مِمَّا لاَ يَرْضَاهُ »

فاذا قالت المرأة لربها يوم حشرها ، انك جلت قدرتك ، جعلت لي قوى السمع ، والبصر ، والفؤاد ، وانا لك ممن يشكرون . ثم وعدت في الحديث القدسي ، بحماية سمعي ، وبصري ، ويدي ، ورجلي مما لا ارضاه . اما الرجل فقد اعتدى عليَّ وسلبني تلك القوى . فيا سيدي الرجل ، ماذا يكون يوم حشرك وحسابك ، جوابك لالهك ؟

وقال جل علمه وتعالت حكمته « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ »

افلم يحسب الله سبحانه وتعالى النساء عاقـلات كالرجال ليتّبعنَ ما انزل الله ، ولا يتبعن ما الفين عليه آباءهنّ ، اذا كانوا لا يعقلون ؟

جلت حكمتك يا الهي ! الا فليفقـه كل من يعارض التجدد في الاسلام هذه الآية . وليرجع الى كتاب الله . فكل ما لا يمكن رده اليه فهو زخرف . ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يا سيدي الرجل ، ترى انك خلقت والمرأة من روح واحـدة . فعلام تدعي انك اكمل منها في الفطرة عقلاً ؟

الا تعلم يا سيدي الرجل ان الله تعالى يكلف المرأة التكاليف الشرعية في السنة التاسعة من عمرها ، مع انه تعالى لا يكلف الرجل تلك التكاليف إلا في السنة الثانية عشرة هذا اذا بلغ ؟ . افـا يدل ذلك على ان المرأة يكمل عقلها قبل ان يكمل عقل الرجل ؟

هذه هي براهيني على كمال عقل المرأة ودينها . فهاتوا براهينكم على نقصها .

اما الآن فأذنوا لي في ان ابحث في ادلة العقل ، وفي ادلة الدين ، لأثبت قضيتي .

ايها السادة والسيدات .

ومما قال سادتي الرجال : النساءُ عيات ، عليهن ان يسترن عيهن بسكوتهن .

قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ يرى الحقَّ ويسكتُ عنهُ فهوَ شيطانٌ أخرَس » أفلا تسمحون لي بان اتبع سنن الرسول وان لا اسكت عن حق اراه؟ وهل يضيركم ان تراعيَ بناتكم يزول بالحرية، وان تسمعوهن ناطقات بالحق ، والخير ، لهن ، وللامة ؟

وقالوا (الرِّجَالُ قوّامونَ عَلَى النساء) وليس عليهن إلا خدمتهم ، والصلاة في بيوتهم ، واما ما عدا ذلك من امور الدين اللازمة لهن ، مثل الحجاب ، والقرّ في البيوت ، وستر الوجوه ، واسباب ذلك ، وحكمته فنحن نفهم ونخبرهن .

قلت اشكر لكم فضلاً اكتسب منه علماً ، ولن اقصر في تأدية فروضي وخدمة اهلي واسعادهم ، ولكن الفقهاء عرّفوا الدين انه وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات .

وقالوا لا يجوز شرعاً للانسان ان يقلد غيره في المعتقدات ، بل يجب عليه نفسه ان يعمل النظر والفكر لمعرفة الحقيقة . ولا بد للانسان في كفاية الايمان من الدليل .

وقال الشيخ جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى (وان معتقداً

لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة ، قد لا يكون موقناً ، فلا يكون مؤمناً) .

وقال سيدي محيي الدين العربي (والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا وما اوجب الله علينا الاخذ بقول احد ، غير رسول اللهصلى اللهعليهوسلم) .

وقال الله تعالى في كتابه العزيز (وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسَانِ إلاّ مَا سَعَى) .

فبناءً عليه ، ارجو منكم ان لا تمنعوا المرأة المسلمة كفاية الايمان ، وان تختار المحمود ، وسائقها الوضع الالهي الى ما هو خير لها . ولا تمنعوها ان تعقل آيات الله واحاديث رسوله وتتفكر فيها . وان تسعى لنور الآخرة ، كما تمنعوها ان تسعى لنور الدنيا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبَادَةِ سبعينَ سَنَةٍ » .

يا سيدي الرجل ، ان الله سبحانه وتعالى ، امر المرأة كما امرك ، بتعقل آياته والتفكر فيها . وقد حصرت فيك ذلك عصوراً طوالاً ، حارماً اياها ، سامحك الله ، التعقُّل والتفكُّر . اما اليوم فترى ان دورها قد جاء ، بعد ما انبثق من عليها فجرُ حريةٍ وضاء ، وستصدع بما أُمِرَت متعقلة آيات الله ، واحاديث رسوله ، متفكرة فيها وسيحكم اولو الالباب في ايهما (خيرٌ وأحسنُ تأويلاً) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القسم الثاني

في

الادلة العقلية

ويتخللها ادلة دينية لان العقل والدين متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان

ايها السادة والسيدات.

قابلت في اول الامر، بين عدد انصار الحجاب وعدد انصار السفور، فرأيت ان اهل الحجاب لايجاوزون عدة ملايين من الاسلام يسكنون المدن، وان العالم الاسلامي في القرى. واكثر من الف وسبعمائة مليون من الامم الاخرى، كلهم من اهل السفور، وقد نبذوا الحجاب الذي كانوا انصاره من قبل. ورأيت ان الامم التي نبذت الحجاب، امم راقية في العقل والمادة، رقياً ليس للامم المتحجبة مثله. فالامم السافرة هي التي اكتشفت بالبحث والتنقيب اسرار الطبيعة، وسخرت لارادتها العناصر، كما تعلمون وتشهدون. اما الامم المتحجبة فلم تكتشف سراً، ولم تسخر لارادتها عنصراً، وانما هي تتغنى بمجد مضى، وتقليد لها قديم، مستنيمة بذلك الغناء على الجمود.

ورأيت كثيراً من مفكري الامم التي لا تزال نساؤها محجبات، يطالبون بالسفور، ولم ارَ واحداً من الامم السافرة نساؤها، يطالب بالحجاب او يؤثره، عنيت اني لم ارَ احداً جرَّب السفور، ثم آثر الحجاب، حتى اذا زيّنه لنا غربي بكلامه الريائي، فهو انما يريد ان يُسرَّ بمنظر النقاب الشرقي الخلاب، وانا نراه يرفض في الوقت نفسه ان تحجب امه وزوجته واخواته وبناته لما في الحجاب من الضرر الذي قد يريده لغيره.

تأملت، فلم استطع التصور ان هذه الامم الراقية التي كشفت اسرار الطبيعة، وسخرت قواها، والتي لم تترك امراً يمر إلا قتلته بحثاً وتنقيباً، والتي استمر الجهاد فيها بين الحق والباطل، وبين الحقائق والاوهام، حتى كانت الغلبة عندها للحق، تلك الامم التي نرى آثارها المكتوبة، وموضوعاتها الاجتماعية، آية في الادب والاجتماع. تأملت وتأملت، فلم استطع التصور، ان تلك الامم اغفلت درس هذه العادة، واهملت البحث عنها، لمعرفة منافعها ومضارها، بل لم استطع التصور ان الجهل عندنا، ادعى الى معرفة اسباب الشرف من العلم عندهم، وان آدابنا اسمى من آدابهم، وان خروج نسائهم سوافر متمتعات بالحرية دليلٌ على انحطاط آدابهم وفساد اخلاقهم.

اجل، تأملت في كل هذا، فلم يسعني إلا ان اعدَّه دليلاً على علو تربيتهم، وسمو آدابهم. يثبت ذلك، ان فضليات نسائنا اللواتي يحجبن بيننا، لا تنزل احداهن بلاد الغرب، إلا اماطت النقاب، واطرحت الحجاب، لا تمنعها محارمها من ذلك، كما منعتها وهي بيننا، وكما تمنعها بعد

ان تعود الينا . وليس هذا إلالان ثقتنا بآداب الغربيين اثبت من ثقتنا بآدابنا. اولئك ادّبهم اختلاطهم بالنساء ، وهم يبنون عاداتهم واخلاقهم على المنطق والعقل ، ناظرين الى النفع وحسن النتائج . ونحن نبني آدابنا واخلاقنا على عاداتنا ، كيف كانت مقدماتها ونتائجها .

لا انسى ابداً ما جرى بين شرقي يدعو الى الحجاب وغربية سافرة تملك حريتها واستقلالها . اذ قال الشرقي للغربية : « ان طبيعتنا لا تستطيع ان تقبل عاداتكم ، فعاداتنا اشرف من عاداتكم ، وان الرّجالَ عندنا (قوّامونَ على النساء) فالرجل يمشي بالطبع وبمقتضى هذا الحق امام زوجته ، اما عندكم فالمرأة تمشي قبل الرجل كأنها قوّامة عليه . »

فقالت الغربية : « اذا اردت ان تكون حقاً قوّاماً على زوجتك ، فارجو منك ان تجعلها امامك ، لتراها عينك ، كما يجعل رجالنا نساءهم امامهم ، وان لا تضعها وراء ظهرك ، لئلا تسيء هي حريتها او يساء اليها » .

فسكت الشرقي وقال : الحق ان الغربيين يبنون عاداتهم على العقل ويجب ان يكون العقل وحده قائد العادة .

بناءً عليه ، وحرصاً على آدابنا ، وحفظاً لكرامتنا ، لا يجوز ان نسند التبذل الى اكثر من مليار ونصف من الناس اكثرهم ارقى منا ، ونحصر الشرف فينا ، ونحتكره لنفوسنا ، وما نحن إلا عدة ملايين اكثرنا قاصر متأخر في رقيه .

عار علينا ان ننكر نقائصنا ونظن في انفسنا الكمال ، وندعي ان عاداتنا احسن العادات في كل زمان ومكان ، فقد يقوم هذا الغرور والظن

الباطل حاجزاً بيننا وبين الاصلاح الذي نريد . فان شعور الامة بنقصها ، يُعدَ اول خطوة في سبيل رقيها .

لا يجوز لنا ان ندعي ، اننا نحن حماة الشرف ، وان غطاء الوجه حرزه المنيع . بل يجب ان نعرف مثلما عرف الناس ، ان الشرف متأصل في القلب ، وان العفة ادب في النفس ، لا في قطعة نسيج شفاف تسدل على الوجه .

يجب ان نعلم كما يعلم العالم السافر الراقي ان الادب الصحيح ، والشرف المصون ، هما في التربية الصالحة المؤسسة على المبادىء السامية ، ومناهج الفضيلة . وانا لقاصرون اذا حسبنا ان غطاء الوجه يُبعد الشر عن النسآء ، وان تلك الملايين المنتشرة في العالم ، وتزيد على الف وخمسمائة مليون ، كلها في ضلال ، ونحن على هدى .

ذكرت ماذكرت ، يا سيداتي وسادتي ، وانا اخشى ان اصادف مناظراً لا يعتمد العقل والمنطق للاقناع ، ولكنه يجعل حجته اخباراً ملفقة عن تلك الامم الراقية السافرة . انه قد يرى هناك مواطن الرذيلة ولكنه لا يريد ان يعلو الى مواطن الفضيلة ليراها ، قد يكون انه رأى السافلات منهن ، فحاول ان يجعل العيب منهن شاملاً النبيلات الشريفات ، فيرشقهن بسهام من الافك والمطاعن ، مع انه لا يليق بالانسان ان يكون كالذباب ، يترك الرؤوس ، ويقع على الاذناب .

هو لايجرؤ ان يفاخر الامم السافرة في المعارف العلمية والصناعية اذ ان آثارها محسوسة ، فيرميهم بنقص الاخلاق والاداب ، لان ذلك معنوي وخفيّ غير محسوس تمكن المكابرة فيه مهما كان الادعاء باطلاً

ايها السادة ، تعلمون ان الامم كالاشجار يسقط من ثمارها ما كان خبيثاً فاسداً ، فتتناوله الحشرات من الانسان والحيوان ، وان العاقل الراقي لا ينظر من الثمار إلا الى ما طاب وصلح . تلك هي الثمار التي منها تعرف الشجرة .

اما مناظري فكأني به يجهل او يتجاهل ذلك . يريد ان يعرف الشجرة مما يرى تحتها من ثمرات ساقطة . وبوجه من البيان آخر ، لا يريد ان يعرف ان في كل امة ، مهما علا شأنها ، طبقة منحطة استولى عليها الفساد ، فسفلت آدابها واخلاقها ، اذ لم يتيسر لها العلم والتكمل ، لتثبت في مستوى الامة

فارى من الواجب علينا ايها السادة ان نسعى خير مسعى لنجعل الاكثرية في امتنا ممن تيسر لهم العلم والتكمل ، فيجوز لنا حينئذ ان نفاخر غيرنا من الامم .

لا يمكن يا سادتي احصاء ما يحدث في الخفاء ، وانه لعارٌ على من يعمل مثل هذا الاحصاء ، وعارٌ على من ينقله ، وانما يحصى ما يظهر من الجرائم والمنكرات ، فهي ميزان الاخلاق ، ومقياس انحطاطها . هذه السجون في بلدان الامم المحجبة غاصة بالمجرمين ، وهذه سجون سويسرا

السافرة فكأنها خالية ، هذه احصاآتنا ، وهذه احصاآتهم ، فلننظر الى هذه الاحصاآت الفعلية لا الى الروايات المزورة .

ألم يكتب المؤرخون اخبار زور في تواريخهم ؟ أوَلم يخترع بعض المسلمين احاديث كثيرة وضعوها لغاياتهم الخاصة كما هو ثابت ومعلوم . حتى ان حجة الاسلام الامام الغزالي . اري ابنه على ما يروى سبعين الف حديث وقال له . يا بنيّ ان هذه الاحاديث كلها موضوعة زورها بعض الناس على النبيّ وهو براء منها .

وقد رأيت في كتاب القضاء من كتاب الوسائل حديثاً للامام علي رضي الله عنه ، أُلخِصُه بما يأتي :

سأل سليم بن قيس الهلالي امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قائلاً : رأيت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ، واحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انتم تخالفونهم فيها ، افترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ فاجابه رضي الله عنه ان في ايدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وحفظاً ووهماً ، وناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً . وقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده ، حتى قام خطيباً وقال « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ٱلكَذَّابَةُ ، فَمَنْ كَذِبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » ثم كُذِبَ عليه من بعده . الى نهاية الحديث وما فيه من التفصيل .

فحتى مَ نصدق كل خبر ، فنتخذ من الباطل دليلاً وحجة ، ولا سيما

حجة يعود على الامة منها شرٌ عظيم ، هو القعود عن الاصلاح والبقاء في انحطاط دائم .

ألا يجب علينا ان ننبذ فروع الاقناع بالافك والكذب والتزوير ، والافتراء ، وهي امور تدمى لها مهجة الادب . ولا تعود على قائلها إلا بالخيبة والخسران ، وهي شاذة عن اصول المناظرة ؟ بلى ، وليقم مقامها الاقناع الحق ، عن طريق الصدق ، والعقل السليم ، والعلم المنزّه ، والادب الصحيح ، وفقاً لارادته تعالى ، وارادة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى « إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَحَرَّوْا الصِّدْقَ : وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ . وَتَجَنَّبُوا الْكَذِبَ : وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ النَّجَاةَ ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ »

وقال صلى الله عليه وسلم « كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ »

وقال صلى الله عليه وسلم « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ »

لقد سمعتم يا سادتي جواب الغربية للشرقي عندما افتخر بأنه قوام على زوجته يمشي امامها — اجل ، ليكن الرجال قوامين على النساء في الروح ، و كل منهم قواماً ولكن على زوجته التي يُنفِقُ عليها ، ولا يدَ له على غيرها فان الآية انما نزلت في سعد بن الربيع من النقباء وفي زوجته حبيبة . وعباراتها مختصة بالزوج والزوجة . وعلى كل حال فليعلم الرجال ان الولاية مقيدةٌ بالمصلحة فيستكملوا اسباب تكملهنَّ تكملاً اخلاقياً سامياً ، كما يريد الله وكما تقتضي سُنَّةُ الاجتماع ، تكملاً يجعلهنَّ قويات ، يعتمدن على انفسهنَّ . فإن النفوس اذا أُشربت مبادئ الفضيلة ، والعزّة ، والشرف ، ابتعدت عن الشر ، لا رهبةً من عقاب ، ولا رغبةً في ثواب ، ولا لمانعٍ لا تستطاع إزالته ، بل لأن الشرَّ قبيحٌ ولأن النفس الكبيرة تأبى الدنيئة ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ » . فهل كانت مكارم الاخلاق إلا من شيم الروح ؟ ان قطع النسيج على الوجوه لن تكون للاخلاق ميزاناً .

وليس ينفع الرجال والنساء ، ان يكون الرجال قوامين جسماً ومادةً فقط ، وان يعمم الرجال ولايتهن على من لم يعطهم الشرع حق الولاية عليهن ، بل يضرُّ الجنسين اي ضرر ، ان يحقر كل رجل امه ، وابنته ، وزوجته ، واخته ، بسوء ظنه المستمر ، يسند اليهن فساد الاخلاق ، ويحبسهن كما قال المصلح الكبير قاسم امين في قفص مقصوصات الجناح ، مطأطآت الرؤوس ، مغمضات العيون ، له الحرية ولهن الرق ، له العلم ولهن الجهل ، له العقل ولهن النقص فيه ، له الضياء والفضاء ولهن الظلمة والسجن ، له الامر والنهي ، ولهن الطاعة والصبر ، له كل شيء في الوجود ، وهن بعض ذلك الكل الذي استولى عليه .

رحم الله قاسماً . وبارك الله في قلبه الذي قال فيه شاعر القطرين :

يدك القبيح ويبني المليح رجوعاً الى سنة الراسم
يشعشع نوراً اذا ما انبرى يسيل بماء الدجى الفاحمِ

اذا كان في الحجاب ويا للاسف اشارة الى عجز المرأة عن صون نفسها بدونه ، ففيه اشارة اخرى الى ان الرجل ، مهما علا ادبه ، ومع انه قوّام ، خائن ، سارق للاعراض ، لايجوز ان يؤمن شره ، بل يجدر بالمرأة ان تهرب منه هرباً .

يا سيدي الرجل القوّام .

اذا كان بعض النساء لجهلهن الذي ألقيتهنَّ فيه ، لم يدركن ما في الحجاب من مهانةٍ لهن وللرجال ، أفيهون عليك ، وانت الرجل الذي

ترك نفسه حراً يتمشى في سبيل الكمال والادب ، ان تحمل هذه المهانة التي تنالك من جهة ، وتنال امك ، وابنتك ، وزوجتك ، واختك من جهة اخرى ؟

أصحيحٌ ان هرب المرأة منك ، او مجابهتها اياك بسدل النقاب على وجهها ، وتحويلها ظهرها اليك ، عملٌ مثبت علو قدرك ، كما تظن هي وتقول ، وترعم انت وتقول ، ام ان ذلك مهانة فاضحة ؟ اهذا هو ادب النفس وحشمتها وحياؤها ؟ . اذا كان هذا حقاً ، فينبغي لأنفس الرجال ان لا تتجرد عن هذه الصفات النفسية . فليلبسوا النقب ، وليجابهوا بعضهم بعضاً ، وليجابهوا النساء بسدلها كما تفعل النساء.

كيف يستطيع الرجل ان يكون قوّاماً على المرأة ، وهو يحجب وجهها بحجاب يمنعه هو نفسه من معرفتها خارج بيتها ، ولا سيما اذا لبست ملاءةً غير التي يعرفها رجلها؟

كيف يكون قوّاماً عليها ، وقد حرّم عليه الدخول الى كل مكان تكون فيه اذا قيل له ان معها نساء محجبات ، وقد تكون اولئك النساء المحجبات رجالاً ، وقد تكون اولئك النساء المحجبات حيات وافاعي تنفث سماً في قلب المرأة التي يفتخر الرجل انه قوّام عليها ، فيميت فيها عفتها وكبر نفسها وفضيلتها ؟

كيف يكون الرجل قواماً على المرأة ، وهو سافر الوجه معروفٌ

كيفما سار ، تسهل عليها مراقبته . واما هي فمنقبة بنقاب لا تخترقه نظره فيصعب عليه ان يراقبها ، بل لا يستطيع الى ذلك سبيلاً ، اذ ان الملاءة تتغير فليست بصفة ثابتة للمرأة حتى يعرفها بها ؟

وعلى هذه الصورة ، لا يكون قواماً عليها ، بل هي قوّامة عليه.

وان لنا مثلاً ما يحدث في المرافع والالعاب والمراقص المقنعة، حيث يتقنع الرجال والنساء ، ويخلع بعضهم عذار الحياء . فقد تمثل فصول يندى لها جبين الابيّ خجلاً ، وترتجف النفوس الشريفة تأثراً ، هناك الرجال مقنعون ، والنساءُ مقنعات ، والقناع يسمى ذئباً ، فقد يختل عامل الحياء الى حد ان تبدر حتى من الاب او من الاخ بادرة خفة نحو ابنته ، او نحو اخته ، او من هاتين نحو هذين ، ثم ينكشف الغطاء ، وتعرف الوجوه !!! اقول هذا ولا أزيد !!!

ان المدققين في احوال الاجتماع ، ذكروا لنا منشأ الالعاب المقنعة وسبب تسميتهم القناع فيها بالذئب ، هو انه منذ اكثر من الف سنة دعا احد الامراء في بلاد الغرب ، رهطاً من اكابر الرجال والنساء ، واخترع لهم لعبة الذئاب مشخصة بالرجال ، والنعاج مشخصة بالنساء ، يلعبها الفريقان في غابات حدائقه الغضة — فتنكر الذئاب بالقناع لئلا تعرفهم النعاج انهم ذئاب ، وتنكرت النعاج بالقناع لئلا تعرفها الذئاب انهن نعاج ، وكان الامير بين الذئاب ذئباً ، ولكن لم يمنعه القناع من معرفة النعاج — ثم انتقلت تلك اللعبة المقنعة في الغابة الى لعبات مقنعة في المراسح والمراقص ، وسمي القناع بالذئب اشارةً ورمزاً .

اني اراكم ، يا سيداتي وسادتي ، تنفرون من هذه اللعبة المقنعة نفوراً . نعم يا سيداتي وسادتي ، يجب ان تنفروا من اللعبة المقنعة ، يجب ان تنفروا من القناع .

قال امير الشعراء :

ان السفور كرامةٌ ويسارةٌ لولا وحوشٌ في الرجال ضواري

نعم ايها الأمير ، ان السفور كرامة ويسارة ، ولكن القناع لم يمنع ان يكون في الرجال وحوشٌ ضوارٍ ، بل ان القناع كان عوناً لذاك الوحش الضاري ، او لذاك الذئب ، ولولاه لكان حال النعجة ابعد منه عن الشر ، واقرب لسلامة الشرف من الأذى .

ولكن يا سادتي وسيداتي ، ويا اخواني شباب المسلمين ، اما حان لنا ان نحاو هذه الوصمة السوداء التي لم يكتبها علينا غيرنا فحسبُ ، بل سجلها ايضاً علمٌ من اعلامنا هو امير الشعراء .

ان الغرب في عصر النور هذا ، روّض الاسود والفهود ، والذئاب والضباع ، وكل نوع من الوحوش الضواري ، وقد رأينا بأم العين فتيات يرضنها ويدسن رؤوسها دوساً ، وهي تنظر اليهن صاغرةً ذليلة نظرة الدنيء للشريف . افليس لنا من ذلك عبرة ؟

ايها الامير ، اشكر لك دفاعك عن النساء ، وإلقاءك التبعة كل التبعة على الرجال ، ولكن ايها الامير ألا ترى ألوفاً من الفتيات والسيدات السافرات اللواتي يشبهن البدور يمرحن في الطرقات والمتنزهات امام رجالنا ، ساعيات الى عملهن او كسب رزقهن الحلال او لتنزيه قلوبهن ، وفيهن

متبرجات كاشفات الرؤوس واعالي الصدور والاعضاد ؟ فهل رأيت مع ذلك بين رجالنا وحشاً ضارياً حسب احداهن فريسةً له فانقضَّ عليها ؟ فلماذا تخاف منهم على المسلمات اذا كشفن وجوههن ، واجتنبن كشف غيرها ، محافظات على الرصانة ، وهن غير متبرجات ؟ انت ترى ان غير المسلمات مصونات من كل تعدٍ ، مصونات بالقانون ، بانفسهن ، وبرجالهنَّ وبما في رجالنا عامةً من المرؤة والادب . أفلا تصان المسلمات اذا سفرن صون غيرهن ؟ هل يحتاج المسلم في صون محارمه الى قطعة من نسيج يلعب بها الهواء ؟ وهل تحتاج المسلمة في صون نفسها الى تلك القطعة من النسيج ؟ ألم تلحظ ايها الامير ان كل رجل فينا ، لا اقول فقط في الطبقة العليا ، بل في العامة ايضاً — كل رجل فينا ، يحني رأسه ، ويخفض جبينه ، لاولئك الفتيات والسيدات السافرات ، ولا يخاطبهن إلا بكل لطف وادب ووقار على ما رأيت في حكيم شعرك :

واخفض جبينك هيبةً للخرَّد المتحضرات ؟

ألا ترى انه يعني في كلمة « مدام » او كلمة « مدموازيل » حين يخاطبهن كل معاني الاحترام اللائق بالحرائر ، ثم ألا ترى الرجل منا ، إن لم يكن قد تجدد ، يعني في كلمة « ولِيَّ » التي يخاطب بها ابنته ، واخته ، وزوجته المحجبات ، كل معاني الامتهان التي لا ترضى عنه الاماء ؟ ولهن نعمة كبرى انه ترك في الايام الاخيرة القابهن المعهودة «اجلك مرتي ، اجلك بنتي ، اجلك اختي »

ثم ألا ترى انه لم يرَ نقاباً على وجه محجبة ، ولا سيما اذا كان مرفوعاً

فسدل ، او كان ناعماً شفافاً ، إلا حدّقت عيناه اليهن بجبين لم يخفض؟..
ولا ازيد بياناً ، فيما يحسن بي السكوت عنه .

إذن ايها الامير ، ليس الرجل فينا الوحش الضاري ، ليس هو الذئب ، انما الذئب كما ذكرتُ في حكايتي لعبة الذئاب والنعاج ، انما هو النقاب المسمى ذئباً ، هو الذي افترس كرامة الرجل ، وكرامة المرأة ، بما يعني من الحقارة . وهو الذي قد يفترس العرضين عرض الرجل وعرض المرأة . وهو الذي قد يجعل المرأة تحسب نفسها كالنعجة رهينة افتراس الذئب حين يلتقيان ، فتصغر له نفسها ، وتهن ارادتها فتهون . اما تلك السافرة ، فقد راضت الذئاب والسباع ، وداست رؤوسهم دوساً ، واثبتت لنا ان اقوى الفتيات على السباع اكثرهن رؤيةً لها .

فهل تظنون يا سادتي ان في رجالنا وحوشاً ضواري امتنع ترويضها اكثر من تلك ؟

جرّبوا يا سادة جرّبوا . ادخلوا سيدةً سافرةً جليلةً على السكارى يصحوا ، ادخلوها على غوغاء الناس يصلحوا . ادخلوها على مجلس في فوضى ينتظم ، ادخلوها على لسان بذيء ينصرم ، اشركوها في اعمالكم ومجالسكم وانديتكم يسد فيها الصلاح ، والنظام ، والادب ، والوقار . راجعوا يا سادتي البحث الذي بينت فيه ان النصر في الجهاد الاكبر لا يتم إلا بمعاونة روح المرأة . واليكم ما قاله جهبذان في علمي الاجتماع

والسياسة، مستندين فيهما الى التجاريب الفعلية، اذكر ذلك لاثبات مزايا المرأة، وفوائدها في اصلاح الهيئة الاجتماعية، لا في معرض المطالبة الآن باشراكها في الوظائف العامة.

نشر القاضي الاميركاني جون لينجمن مقالة ضافية في اهم جرائد اوروبا، يحث الامم فيها على إشراك النساء في الوظائف العمومية. ومما جاء فيها: ان انتشار الفسق في المدن الكبيرة لا يضيق نطاقه، وفساد الاخلاق السياسي لا يصلح، إلا اذا اشتركت النساء في الوظائف العمومية. الى ان قال: كان المحلفون يحكمون في الغالب ببراءة الجناة، فلما اشترك النساء والرجال في الوظائف القضائية، نتج عن ذلك معاقبة المذنبين، وكذلك كان المحلفون لا يهتمون بالعقوبة على السكر والقمار والفجور، فتغيرت الحال الآن، وقد نشأ عن حضور النساء في الجلسات، اننا نرى الآن قاعاتها متحلية من النظام، والادب، والوقار، باكثر مما كان يعرف فيها من قبل.

وبعد اشتراك النساء في الوظائف العامة في جمهورية يومنج الاميركية باربع عشرة سنة، قام رئيس الحكومة جون هويت في ١٢ ايار سنة ١٨٨٢ خطيباً فقال:

ان جمهورية يومنج هي المكان الوحيد الذي تتمتع فيه النساء بجميع الحقوق السياسية الممنوحة للرجال بلا فرق بين الصنفين، وهذا الاقدام من امتنا التي ارشدها حب الحق والعدل الى اصلاح خطأ طال عليه الزمن، قد وجه انظار العالم الينا. ولئن زعم خصومنا اننا لا نزال

في دور التجربة ، فكلنا يعلم ان هذا الدور قد انقضى بالنسبة الينا ، واني أصرّح هنا بان اشتراك النساء والرجال في اعمال الحكومة نتج عنه ان القوانين عندنا اصبحت احسن مما كانت عليه . وان عدد الموظفين الاكفاء ، وصل الى درجة لم نعهد لها مثلاً من قبل ، وان حالتنا الاجتماعية ارتقت كثيراً ، وهي الآن تفوق في رقيها سائر البلدان ، وان جميع المصائب التي كنا نهدد بحلولها مثل فقد النساء رقة الطبع ، واضطراب النظام في معيشتنا المنزلية ، لم نرَ لها اثراً إلا في مخيلات خصومنا .

ان السواد الاعظم من نسائنا قدرن حقوقهن الجديدة حق قدرها ، واعتبرن القيام بها واجباً وطنياً ، وبالجملة فأني اقول ، ان تجربة اربع عشرة سنة مع النجاح الباهر ، قد مكّنت في عقولنا ونفوسنا ان معادلة النساء للرجال مما لا يرتاب فيه .

كل هذه المقدمات تسير بنا الى طلب الكمال في حالتنا الاجتماعية حتى نجعل جمهورية يومنج نجماً يهتدي به العالم في الحركة العظيمة التي تصعد بالانسان الى ذروة الحرية .

قلت ، ان نجم حرية المرأة وحقها ، ظهر مع ظهور الاسلام ليهتدي به العالم وتصلح احوال الامم ، ولكنهم ، يا للاسف ، حجبوه فيما بعد عنا حتى ظهر في يومنج .

كيف يدعي الرجل انه قوّام على المرأة، راغب في ابعادها عن الشر؟ حتى مَ لا يعرف ان القناع يبعث في النفس جرأة على ارتكاب المنكر، أفلا يرى الرجال ان اللصوص والقتلة العامدين يتلثمون اكتساباً للجرأة على ارتكاب ما يرتكبون؟

وتلك الفصول التي يمثلها المقنعون والمقنعات في المرافع والمراقص، هل يجرؤون على تمثيلها وهم سافرو الوجوه؟.

اي امرأة لها شرفها ترتكب الدنيئة، وهي معروفة بشخصها، واشخاص ابيها، وامها، وزوجها، واخيها، واسرتها؟ إذن لماذا نمهد لها سبيل التلبُّس والتنكر، ونفتح امامها للشر باباً من التحجب والتستر؟

انتم تعلمون ان خوف العار والفضيحة، سبب من الاسباب التي تعصم من السقوط في الرذيلة، فلماذا يحرم الرجل المرأة هذا العاصم؟ ولماذا لا يرسلها سافرة تصون شرفها خجلاً من الناس، إن لم تكن قوة شرف النفس التي هي خير وسائل الدفاع، متمكّنة من نفسها.

ان النقاب يبعد الزوجة عن زوجها، والزوج عن زوجته، خارج بيتها، فلولا شرف النفس وهو الضامن الاقوى، لما كان في الدنيا اضمن لحفظ ادب الزوجة من هيبة حضور زوجها. ولا اضمن لحفظ ادب الزوج من هيبة حضور زوجته. فعلام يخسر الاثنان بذاك النقاب هذا الضامن؟

سمعنا في السنة الماضية ان زوجةً محجبة رمت بنفسها من صخور الروشة الي البحر مرتين متتابعتين، وقد خلصها الناس من الغرق فيها. وبيان الحال، ان تلك المرأة ركبت في سيارة مع شابين غريبين عنها من

سوق الافرنج الى تلك الصخور للتنزه . وبينما هي معها حدثت هناك جناية اقتضت ان تؤخذ فيها شهادتها . فلما ادركت ان لا بد للقضاء من تعرف هوية الشاهد ، استولى عليها خوف الفضيحة ، فآثرت الموت على الحياة ، ورمت بنفسها الى اللجة . وما نشلها الناس من مخالب الموت حتى ألقت بنفسها ثانية تريد الموت ولكنَّ اجلها ابقى عليها . فوُفِّق الناس لانقاذها مرة اخرى

فيا سادتي الرجال ، هل تتصورون ان تلك المرأة ترتكب ما ارتكبت من النكر بذهابها مع الشابين لو كانت سافرة الوجه معروفة ؟ كلا ، انها انما آثرت الموت على الحياة لئلا تُعرف .

هل يجوز يا سيدي الرجل ان تسهل الامر لامرأتك حتى تكون مجهولةَ بين الناس فلا تدري هل يبدر منها او إليها بادرة سوء ؟

واي نفع يرجى من غطائها إزاء هذا الضرر ؟ أولا تُعرف انها امرأة اذا تنكرت بالحجاب فتنصرف عنها العيون ؟ تنكرت النعجة في تلك اللعبة المقنعة ، افما عرفها الذئب انها نعجة ؟

يا سيدي الرجل ، ألا تخشى من التباس احدى محارمك بالسافلات من المحجبات ، فيداخل الفساد قلوب ناظريها ، في حين انهم لو رأوا وجهها وعرفوا اية امرأة هي ، واي شريفة ينظرون ، لانقلب فاسد نظرهم الى نظر وقار واحترام .

ألا تعتقدون ان سفورها اصدق انطباقاً على مدلول الآية الكريمة التي تأمر الحرائر بأن يُعرفن فلا يُؤذين ؟

يا سيدي الرجل ، انا نرى محارمك المتحجبات يعتنين ايّ اعتناء بالتحجب والتستر امام قضاة الشرع والمفتين ، والاساقفة والحاخامين ، والكهنة والمشائخ ، والعلماء ، والاشراف ، والادباء ، ولكن لا تستطيع ان تنكر انهنّ يظهرن عادةً للخدمة ، وساقة المركبات والسيارات ، والباعة ، والجزّارين ، والخبازين وامثالهم سافرات الوجوه ، فلينصف الرجل القوّام على محارمه ، وليفتكر في ايّ الجماعتين يكمن الخطر ، ويسهل وقوعه ، أفي الجماعة الاولى وهم نبراس الاخلاق والآداب ، ام في الجماعة الثانية ؟

انّ من الناس كثيرين يمنعون صغارهم من التعرّض لحرارة الشمس ومرّ الهواء ، يريدون بذلك حفظ صحتهم وقواهم ، فيتسرب الهزال على مهل الى اجسامهم ، ثم تلبح الشمس احدهم ، وليس لاحدٍ غنىً عن الشمس ، او يلمسه الهواء لمساً من خلال النوافذ ، فينطرح المسكين مريضاً ، ويهي جسمه الندي لأنه لم يتعوّد المقاومة . فاطلق يا سيدي الرجل ، ولدك من وراء الجُدُر ، وعرّضه لهواء السماء النقي ، وحرارة الشمس المُنشِّطة ، فينشأ في حضن الطبيعة وعين ابيه ترعاه ، ثم يصبح رجلاً صلب العود ، لا يؤثر فيه حرُّ الشمس وعاصف الهواء .

هكذا عوّد ابنتك يا سيدي الرجل منذ الصغر ، وعينك وعين امها ترعيانها ، ان ترى الرجال ، ولا بدّ لها في حياتها ان تراهم ويروها ، مثلما ترى الشمس والهواء .

عوّدها رؤية نيّرات الاخلاق والادب، لا رؤية الصنف المنحط الآخر، وإلا فنظرة فسقطة.

كذلك هي الحرية ايها السادة، انها منبع الخير للانسان، واساس رقيّ الاخلاق وكماله الادبي اذا هي بنيت على التربية الصحيحة، هي التي ترفع عقل المرأة وتزيده نماءً وتثقيفاً، وتُفهم المرأة معنى الشرف وطرق حفظه، وتحيي فيها عاطفة الثقة بنفسها، وتحمل الرجال على احترامها

يجب ان نعلم كما يعلم سائر الناس، ان استقلال النساء كاستقلال الرجال، يحلّق بالنفوس الى ما فوق، ويبعدها عن مواطن الزلل.

يجب ان نعلم، ان استقلال الارادة اهمّ عامل في نهوض الرجل، فلا يكون له في نفوس النساء إلا مثل ذلك الأثر الطيب.

يجب اطلاق المرأة وتحريرها، وإيقاظ ضميرها الذي خدّره الخدر، وأنامه ذلُّ النقاب والحجاب، وجعل ذلك الضمير المستيقظ الحيّ متولّيًا بنفسه محاسبة صاحبته على جميع اعمالها، ومراقبة حركاتها وسكناتها، فهو اعظم سلطاناً واقوى يداً من سيدي الرجل.

يجب ان يعرف سيدي الرجل، انّ ابعد الناس عن الزلّات والسقطات، انما هو من يحترم نفسه، فعليه اذاً ان يحترم المرأة لتتعود احترام نفسها.

يجب ان يعرف سيدي الرجل، ان عفة النفس والضمير، اشرف من عفة الخدر والخباء، واوثق سلطاناً.

يجب ان يعرف سيدي الرجل، ان العبودية، وهي مصدر الذل

والخمول والجمود، لن تكون ابداً كما قال بعض الحكماء مصدراً للفضيلة، ومدرسةً لتربية النفوس على الكبر الا اذا صح ان يكون الظلام مصدراً للنور، والموت علة للحياة والعدم سلباً للوجود.

سادتي وسيداتي.

لا نستطيع اردنا ام لم نرد ان نقف حاجزاً في سبيل تيار النهضة الحديثة وما تحفنا به من آراء جديدة في العلم والاجتماع.

قال الزهاوي، الشاعر الفيلسوف الشرقي:

وليس من قوة في الكون قاهرة تستطيع ان تقعد الاقوام ان نهضوا

فالدين قد تحرر، والعلم تحرر، والعقل تحرر، والفكر تحرر، والفرد تحرر، والمجتمع تحرر، وكل شيء في هذا العالم افلت من يد الاستعباد والرق، اقتضى القضاء ان يستثني التحرير هذه البقية الباقية من النساء في بعض بقاع الشرق؟ وهل كتب الله لوجه المرأة، وهو مجتمع حواسها، ان يظل مقيداً؟ وهل يجوز ان يحرم الرجل المرأة استعمال قواها، اي قوى النظر، والسمع، والذوق، والشم، والتنفس؟ أفتجدون لو تأملتم، ظلماً افظع من هذا الظلم؟

يدلنا التاريخ، ان قوى الكون القاهرة، ما استطاعت ايقاف شمس الحرية عن الشروق، متى حانت ساعته، انه ليس من قوة في الارض تمنع الحرية ان تشمل هذا الكون بنورها الساطع كما يشمل نور الشمس هذا العالم. ولكن، كما ان الشمس، لا تشرق دفعةً واحدة على العالمين، بل تتناول الجبال اولاً

ولا تهبط اشعتها الى الاودية الا بعد ان تصل الى اعلى العرش ، كذلك شمس الحرية ، تشرق في اول الامر على النوابغ والمفكرين والفريق الراقي من البشر ، ثم يضيء نورها الفريق الآخر الجاهل متى بلغت قمة العرش ، وانه لسعيد ذلك النابغ المفكر ، الذي يستنير قبل غيره بنور الحرية الساطع ، هذا النور الذي ينعش العقل والفكر والاجتماع ، بما يحدثه من تجدد ، وهو من مظاهر الحياة ، خلافاً للجمود ، وهو من مظاهر الموت.

يدلنا التاريخ ، ان الشرق والغرب كانا يسيران على طريقين متشابهين ، قُيّد فيهما العقل ولم يعط حرية التفكير المطلق ، وكان الشرق سبّاقاً وله التقدم على الغرب . ثم اختلف طريقاهما فنام الشرق على جموده ، وقام الغرب يمشي الى العلياء براياته وبنوده ، ولم نرَ عند اصطدام الاثنين غير فرار الشرق الجامد ، من وجه الغرب الناهض المجاهد ، فاستولى الغرب على كل ما في الشرق ، حتى انه لا يكاد يبقى في الشرق امة مستقلة حقاً ، اللهم الا اليابان والاتراك ، الذين عرفوا ان يتلمسوا لهم طريقاً غير الطريق الذي جربوه يقودهم الى ذروة المجد .

كفى الشرق جموده ، وموت روح الحرية والاستقلال فيه ، وكفى الشرقيين حرمانهم حرية التفكير التي هي اساس كل نهضة ، بل كفاهم انهم يمشون على منهاج آبائهم لا يتطورون ولا يتجددون، ما دامت الارض ارضاً والسماء سماء . انهم هم الخاسرون .

قرأت في الصحف ، ان نور حرية المرأة ، اشرق حتى على سمرقند

وطاشقند وهما في اقصى الشرق ، وان عـدة الوف من النساء المسلمات ثرن على البراقع التي حسبنها علامـة استبداد بهنّ ، وقد مشى منهنّ خمسة عشر الف امرأة في اسواق سمرقند كاشفات الوجوه دون براقع ، وجرى مثل ذلك في طاشقند حيث مشى موكب من النساء المسلمات امام خمسة وعشرين الفاً من الرجال الى الساحة العمومية ، وهناك نزعت النساء براقعهنّ عن وجوههنّ واحرقتها كومة واحدة على مرأى من الجمهور ، وقد كان يهتف لهنّ . وخرجن بهذه الصورة ، الى الحياة والى النور .

فيا اخواني ، يا شباب المسلمين في الاقطار العربية ، ان شمس الحرية لم تطلع من انحاء الغرب ، ولا من اقصاء الشرق ، انما فينا طلعت وعلينا بزغت ، وهذا كتابنا وقد قال الله تعالى لنا فيه « إِنا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون » يرسل كالشمس في ما يرسل من انوار الهـدى ، اشعة الحرية ساطعة تملأ العالمين نوراً ، وهذه سنة الرسول العربي صلى الله عليه وسلم المخاطب في قوله تعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » انها لم تكن إلا اشعة من ذلك النور الالهي نالت منها المرأة المسلمة حظاً موفوراً ، وهذه احاديثه الشريفة تدل على فرط عطفه صلى الله عليه وسلم على النساء . ومن احاديثه صلى الله عليه وسلم ان اكثر الخير فيهنّ ، ولما كانت المرأة في الامم الاخرى ، تورِّث وتورَّث ، وتباع وتشرى ، ولما كان الناس يتساءلون عما اذا كان لها نفس ناطقة خالدة ، كان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم يأمرنا بان نأخذ

نصف الدين عن امرأة رضي الله عنها ، وكان للمرأة حق الاجتهاد في الشريعة ، وحق القضاء والافتاء ، وحق الوصاية على الرجل ، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يولي اسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة ، وكانت حقوق المرأة وحقوق الرجل في جميع المعاملات والتصرفات سواء ، ولم يكن حجب الحرية عنا الا كما تحجب قطعة غيم نور الشمس ، وهو امر عارض نشأ فينا عن تمويه عقول على عقول ، واجماد عقول لعقول ، حتى اثَّر ذلك في العقول المموِّهة والمُجمِدة نفسها ، كما اثَّر في العقول المموَّه عليها والمُجمَدة ، وانما التمويه والاجماد ، وكابوس الرمي بالالحاد ، ذلك ما ألقى على البصائر والابصار ، حجباً من الظلمات تحجب الانوار ، فكان فجر الحرية عندنا ، ورأد ضحاها عند غيرنا ، غير اننا لا نكاد نرفع الحجب عن ابصارنا ، وبصائرنا ، حتى نرى الحرية في سمائنا ساطعة ، ومن كتابنا طالعة ، وما كانت هذه السماء للكتب المنزلة إلا مهبطاً ، وما كانت لها هذه الأرض إلا مسقطاً ، وما من كتاب منزل بخس الحرية حقاً ، وسام الحرَّة رقاً ، فاتقوا الله في ان تجعلوا مطلع الهدى مظلماً ، ونصف الامة فيه مظلوماً .

قال الشيخ محمد بدر الدين النعساني :

« الا ان محاربة البدع والاحداث وعلاج هذه الادواء الفتاكة يجب ان تكون من جهة النابتة الحديثة لا من جهة الشيوخ علماء او عامة . فان هذا الصنف من الناس قد استحكمت فيهم الامراض فليس الى شفائهم من سبيل

ان النابتة الحديثة لم تعرف قلوبهم هذه المفاسد ، ولا وضعوا زمام امرهم في يد احد يقودهم حيث شاء ، فهم أحرار . فهؤلاء اذا ظهر هم الحق لم يلبثوا ان يطيروا اليه »

الى الامام يا اخواني، الى الامام، مزّقوا حجب البصائر، تمزّق حجب الابصار. لا خير يا اخواني في القشور والظواهر، انما الخير في اللباب والسرائر، لا خير للامة في اغماض احدى عينيها، وغلّ احدى يديها. كونوا قدوة الاسلام في العالم، ولئن ينتقدكم الجهلة في الابتداء، فانهم سيقدسونكم في الانتهاء. ايقظوا الهاجعين فقد كفاهم غطيطاً، وانفخوا في الجامدين روحاً نشيطاً.

انشدكم الحق ان لاتجعلونا، وتكونوا انتم، آخر مَن تمتع بشمس الحرية، ان فجرها، وقمة عرشها في سمائنا، وان الحجب بيننا وبينها ليست كالغيوم التي تحجب الشمس، ولا تنالها ايدينا، انما هي حجب تماط بالعقل الحر المطلق، وبرد اقوال الفقهاء الى الكتاب الحق، فنقبل ما يوافقه، ونهمل ما لا يوافقه.

الى الامام يا اخواني الى الامام. مواكب الامم المتدافعة تمرُّ في طرق التطور والرقيّ سراعاً لا تنتظر.

اذا كانت اخواتكم لم يجاهدن معكم بالسيف ايام كان السيف الجهاد الاصغر، فاحرِ بهنّ ان يجاهدن معكم بالعلم، والادب، والعفاف، والشرف، الجهاد الاكبر.

اطلقوهنّ معكم، انهنّ في هذه الحلبات، لسبّاقات. اطلقوهنّ معكم انهنّ ليمثلن المثل الاعلى في هذا السباق بجياد العواطف، وكرائم الاخلاق، بالعلم والادب والعفاف والشرف.

يا سيدي الرجل القوّام على النساء، ان كل حكومة هي قوّامة على الشعب، وقد طالما ادعت الحكومة في الادوار المظلمة، ان سلطانها مستمد من قوتها او من الله، ولكن، ما هي إلاحقبة من الزمان حتى سقطت دعواها، وانهارت صروح مجدها، وتدحرجت تيجان اصحابها، وأكرهت على التسليم بأن الشعب قوام عليها، كما هي قوامة عليه، فحفظت الموازنة، وبطل الاستبداد، وسادت الحرية والعلم، وتكمل الأدب، وسعدت العيلة، والمجتمع البشري.

يا سيدي الرجل،

ان الرقيّ والاخلاق في الحكومات المستبدة الغاشمة المستعبِدة شعوبَها احط منها جداً في الحكومة الحرة العاقلة، كان يقال، انما العاجز من لا يستبد، فاصبحنا اليوم، وكلٌ يخجل من ان يوصم بالاستبداد، لأنه ينافي العدل والمروءة، ينافي العقل والمصلحة، والادب والاجتماع.

يهمُّ الحكومة المستبدَّة، ان تقبض على رقاب الناس، فتقيد حرياتهم، وتخفت اصواتهم، وتكسر اقلامهم، لتأمن شرهم.

ويهمُّ الحكومة العاقلة ان تمتلك قلوب الناس بالرفق والحلم فتكسر قيودهم وتطلق افكارهم وتعمل على انماء قواهم، وتضمن النفع لها ولهم.

يهمُّ الحكومة الغاشمة ان يجهل الشعب، وتسلب قواه، تريد من ذلك ان تستقوي من ضعفه، وتستغني من فقره، ويهمها ان تأخذ بخناقه فتريه صنوف المظالم ليكون عبداً ذليلاً، وآلة صماء، ويعتاد الطاعة العمياء، لما تحفه به من حسن وقبيح، فتقتل باستبدادها معنويات الشعب

وادياته ، وتقع الخسارة عليها لا على الشعب وحده ، فيكون مثلها حينئذٍ مثل الذي يقتل ثم ينتحر .

ويهمّ الحكومة العاقلة ان يتعلم شعبها ، وترتقي اخلاقه ، وتكثر موارده ، وتحسن ادارته ، فيسعد الشعب وتسعد الحكومة ، وعندما تعجز الحكومة عن ادارة الشعب بحزمٍ وتعقّل ، او عندما يكثر الفساد في الشعب حتى يفقد ثقة الحكومة به فيختلّ النظام وتكثر الاجرام ، تعمد الحكومة حينئذٍ الى الحكم العرفي ، فتحبس الناس سواء اكانوا مجرمين ام ابرياء ، مخلصين ام خائنين ، تحبسهم في بيوتهم ، وتقيّد ألسنتهم واقلامهم وحركاتهم ، غير انه لايجوز الظنّ ان ذلك الشعب المقيّد وهو تحت ذلك الحكم ، اخلص للحكومة واصلح لنفسه ، من الشعب الموثوق به ، ولايجوز الركون الى الاول المرهق ، كما يجوز الركون الى الثاني المطلق ، وكيف ينتظر السجان وفاءً من سجينٍ مظلوم أثقله بالقيود في ظلمات سجنه ، او كيف يجوز الركون لمن كان جسمه في صيانة ، وقلبه في خيانة .

يا سيدي الرجل القوّام — ما هذه الحياة حياتك ، وفي بيتك ادارة عرفية دائمة ، أعلنتها ضد امك ، وابنتك ، وزوجتك ، واختك خائفاً من خيانةٍ منهنّ ؟

❀❀❀❀

كيف يكافئ الرجل امه ويبر بها

أمن اجل هـذا حملتك امك وولدتك يا سيدي ؟ أهـذا هو البرُّ بالام الذي اوصاك به الله ؟ اهذا ما يقتضيـه الدين والمروءة والوفاء ؟ أنسيت قوله تعالى «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » ؟

انسيت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه رجل قائلا : من احق الناس ببرّي وصحابتي ؟ قال (أُمُّك) قال ثم من ؟ قال (أُمُّك) قال ثم من ؟ قال (أُمُّك) قال ثم من ؟ قال (أبوك)

وقال صلى الله عليه وسلم . (الا انبؤكم باكبر الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين .)

وقال صلى الله عليه وسلم « بِرَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ ، وَإِذَا دَعَاكَ أَبَوَاكَ فَأَجِبْ أُمَّكَ . إِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ » .

هي امك التي ارتك النور ، وانت تحرمها اياه .

هي التي حفظت قواك ، وأمنت اسباب حياتك،بالتضحية والمتاعب التي تعلم ، وانت تنهك قواها ، وتمنعها من استعمال اسباب حياتها كما تستعمل انت اسباب حياتك .

هي التي علمتك الكلام وانت تمنعها منه

هي التي ولدتك حرّاً تتمتع بالشمس والهواء ، وانت تلقيها في أسر الحجاب فتمنعها منها .

هي التي تفانت في الاخلاص لك ، وعلقت كل آمالها بـك ، وانت تعاملها معاملة التهيم المريب .

هي امك التي هزت سريرك ، وغذت عقلك ، وانت تتهمها بنقص العقل ، وتحرم عليها اسباب تـكمله .

هي التي غرست في قلبك الدين ، ودين الانسان فعلاً دينُ امـه ، وانت تتهمها بنقصه ؟!

الم تقرأ قول النبي موسى عليه السلام « ملعونٌ من يستخفّ بامهِ » .

الم تسمع قول امير الشعراء في تحيته للسيدات :

هذا مقام الامها ت فهل قدرتَ الامهاتِ
لا تلغُ فيه ولا تقل غيرَ الفواصل محكماتِ

ألم تسمع قول غيره من ذوي المروءة والبر والوفـاء ، كالشاعر ذي الشعور الشريف حليم دموس القائل :

انا لولا التقى لقلت لقومي قابلوا الام ركعاً وسجودا

يا سادتي الرجال .

هل يجوز ان تحقروا جميع النساء وفيهن امهاتكم وشقيقاتكم ، وبناتكم ، وزوجاتكم ، اذا وجدت بينهن من لا تستحق الاحترام .

اليس اولى ان تـكرموهن بمقتضى الحديث الشريف القائل : « مَا أَكْرَمَ ٱلنِّسَاءَ إِلاَّ كَرِيمٌ ، وَمَا أَهَانَهُنَّ إِلاَّ لَئِيمٌ » .

اليس اقرب الى العدل ، ان تدرس يا سيدي الرجل ، اخلاق من

كان تحت ولايتك من نسائك ، حتى اذا انست ريبةً من احداهن عاقبت ومنعت وحرمت .

يا سيدي الرجل ، ضع العدل والمرؤة نصب عينيك ، وتأنَّ في حكمك ، ولا تنزل قصاصك بمن يستحق ثناءك ، واصغ الى نفسك فلا بدّ لها من ان تناجيك مع ذلك المصلح الكبير قاسم امين بقوله : « اليس من العار ان نتصوَّر ان امهاتنا ، وبناتنا ، وزوجاتنا ، واخواتنا ، لا يعرفن صيانة انفسهن ؟ ايليق ان لا نثق بهؤلاء العزيزات ، المحترمات ، المحبوبات ، الطاهرات ، وان نسيء الظن بهنَّ الى هذا الحد ؟ »

قال الله في كتابه العزيز « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ . وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً » الآية .

وتذكر يا سيدي الحديث الشريف القائل « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ غَيْرَةً يُبْغِضُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ » .

وقال علي رضي الله عنه « لَا تُكْثِرِ الْغَيْرَةَ عَلَى أَهْلِكَ . فَتُرْمَى بِالسُّوءِ مِنْ أَجْلِكَ » .

فلا تفعل ياسيدي ما يبغضه الله ، وما يرمي اهلكَ بالسوء من اجلك .

قال الله في كتابه العزيز (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) وما فرق سبحانه وتعالى في آياته بين الرجل والمرأة بما يتعلق بادب النفس وحفظ العرض .

اهذا هو عدلك في حكومتك الصغيرة . في بيتك ، بين اولادك ، البنين والبنات ؟

يا سيدي ، اذا خفت فساداً وعيباً من سفور بنـاتك ، وحسبت من الجائز ان تقيدهنّ بالحجاب ، دفعاً لذلك الفساد ، ومنعاً من العيب ، فلماذا لاتحجب البنين وتقيدهم للحكمة نفسها ؟ وكلّ يعلم ان البنات ، امتن ادباً واقل فساداً من البنين وابعد منهم عن العيب ، يشهد بـذلك احصاء الجرائم من الجنسين في بلدان الدنيا قاطبة ، فاذا كان متبعاً قول القائلين : « عيب الرجل على زرّ مداسه » فلا شأن لنا معك في البحث ياسيدي ، واذا كان الرجل قد ترك حراً ليسير في طريق الكمال ، أفلا يصح ان تترك المرأة حرّة تسير في هذا الطريق معه ، وتأخذ نصيبها منه ، كما هي الحال في الشعوب الراقية ؟ وهل يجوز لك ان تعوق نماء التكمل العقلي والادبي في جنس النساء كله لأنك آنست فساداً في بعضهن ؟ او لم تأنس مثله في بعض الرجال ؟ فعلامَ لا تعامل الجنسين معاملة واحدة ؟

اذا قيل ان الحجاب للمرأة المسلمـة مبنيٌّ على اصول الدين ، فهـذا مردود في الدين كما سأبين وافصل في القسم الديني .

واذا قيل ان الحجاب للمرأة بدعة او سنة فقهية ، فهذا قول لا يُعبـأ به لان سنن الفقهاء في هذا الشأن متعارضة ، والاغلبية الساحقة في جانب السفور كما سترون ، ولان بدعة الحجاب مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

واذا قيل ان الحجاب للمسلمـة مبنيٌّ على نقص عقلهـا ودينها ، فهذا مردود ، لاني اثبتُ ان المرأة اكمل ديناً واصلح في الفطرة عقلاً من الرجل . وهل يكون الرجال جميعاً اكمل عقلاً وديناً من النساء جميعاً ، وقد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (امرأةٌ صالحةٌ خيرٌ من الف رجل غير صالح) ؟ وهل يستوي كل صنف من الرجال والنساء في العقل والدين؟ اذن لماذا لا يحجب من الرجال من هم انقص عقلاً وديناً من بعض النساء، وعلى مَ لا تطاق الحرية للنساء اللواتي هن اصلح ديناً وعقلاً من بعض الرجال ؟

ما هذا القانون الجائر الذي يتغلغل فيه روح الاستبداد والظلم، المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ انه لمن وضع الغالب، وضع الرجل الذي غلب المرأة بقوة جسمه، وضعه متلاعباً بكتاب الله مفتخراً بظلمه واستبداده ولو اضرّ به، وضعه وحده مستقلاً لم يُشركها في وضع حرف منه، فجاء على هواه مخالفاً لارادة الله .

هذه هي حالة هذا الكون، القوي يستبدّ بالضعيف . هكذا وضع الاحرار قوانينهم على العبيد . هكذا وضع الرومان قانونهم الجائر على من لم يكن رومانياً . هكذا وضعت الامم الغالبة قوانينها على الامم المغلوبة . تلك شيمة الغالبين في ما يشرعون .

سيطروا وضيقوا يا سادتي، سيطروا وضيقوا ما شئتم على النساء وعلى الحرية، وعلى العقل، وعلى الحق، وعلى الافكار . فقوة الدفع تزداد بقدر التضييق .

اشتدّي ازمةُ تنفرجي فالشدّةُ أولى بالفرجِ

يا سيدي الرجل

ان القول بوجوب بقاء المرأة عندنا على حالها من الجمود ، وحجبها وحبسها دون تبديل ولا تغيير ، خروج عن سنة النشوء والارتقاء ، ولا يصح القول ان حق الارتقاء من حال الى اصلح منها ، مختص بالرجل وحده فقد قال احد الفلاسفة : اما ان لا يكون حق لاحد الناس ، او ان يكون لكل فرد حق مساو لحق الآخر ، ومن جرّد غيره عن حقه ، فقد داس بقدمه حق نفسه .

وقد قال روسو : يكون الرجال كما تكون النساء ، فإذا اردت ان تجعل الرجال من ذوي الادب والفضيلة ، فعلم النساء الادب والفضيلة.

وانا اقول : تكون النساء كما يكون الرجال ، فاذا اردت ان تجعل النساء من اهل الادب والفضيلة ، فعلم الرجال الادب والفضيلة .

لله انت يا اديب اسحق ، فقد نثرت من ادبك درراً حيث قلت :

انما المرأة مرآةٌ بها كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

يا سيدي الرجل .

الا تظن ان وقوفك في سبيل نماء التكمل العقلي والادبي في النساء هو حكم عليهن باستمرار الفساد ؟ وهل يتم التكمل العقلي والادبي داخل جدران المدرسة التي ادخلت اليها الفتاة في الزمن الاخير ، لتتلقى فيها القراءة والكتابة ؟

افلا تعلم ان الانسان لا يبني في المدرسة من عليه وتكمله العقلي والادبي الا اساسه ، وان صرحه الظاهر النافع لا تبنيه الا الحرية في مدرسة العالم ، والا كان علماً ناقصاً ضاراً ، اذ يكون ارباب العلم الناقص عادةً ممن لا يدرون وهم لا يدرون انهم لا يدرون ؟

قابلوا بين الفتيان والفتيات في البيوت والمدارس حتى السن التي يحجر فيها عندنا على هؤلاء ، ويطلق اولئك ، هل ترون الفتيان ارجح عقلاً واصلح ادباً من البنات ؟ لا لعمري . فقد قابلنا في القسم الاول بين الجنسين فكنّ الراجحات . اذن من اين يحصل هذا الفرق في ما بعد بين الرجال والنساء ؟

أفليس السبب في ذلك اطلاق هذا الفريق في مدرسة العالم ، وتقييد الفريق الآخر ؟

ان الرجال حرموا النساء ان يتعلمن ، ثم اتهموهنّ بنقص العقل والدين ، وتركوهن ، بعضهن مع البعض الآخر ، لا يرين الرجال ولا يسمعن اقوالهم فيتفقهن باحاديثهم ونتائج اختباراتهم في العالم . فأنّى لناقص

العقل والدين، كما يزعمون، ان يتكمل من ناقص مثله عقلاً ودينا، ان كانوا في تكمل نسائهم راغبين ؟

فعوّدوا النساء منذ الصغر، يا سادتي الرجال، ان ينظرن اليكم، نظرهن الى منبع عقلٍ وادب. عودوهنّ ان ينظرن اليكم من حيث الروح لا من حيث الجسد. وعودوا انفسكم الشرف والاباء والنبل عند مقابلتهن.

انكم تعودتم مقابلة السيدات الشريفات غير المسلمات سافرات، وتعودتم احترامهنّ، وتعودت اولئك السيدات مقابلتكم واحترامكم احتراماً روحياً نزيهاً شريفاً، فيمكن والحالة هذه، ان يكون امركم كذلك مع السيدات المسلمات الشريفات اذا تعودتم ان تروهنّ سافرات فالسافرات اليوم لسنَ اشرف فطرةً منهن.

ألا ترون ان مقابلاتكم المسلمات من القرويات وهن سوافر ويزدن على المدنيات اضعافاً، لا تؤذيكم ولا تؤذيهن ادباً ونبلاً، فلماذا تتوقعون الاذى في مقابلة المسلمات المدنيات ؟

واذا كانت مقابلاتكم المدنيات مفسدة للقلوب، ولا فرق بينهن وبين القرويات الا بالنقاب، فازيلوا النقاب تزل المفسدة وتسلموا من الاذى.

يا سيدي الرجل.

لقد طالما حرمك تحجب الزائرات ، لذة الاجتماع بعيالك في السهرات وسائر الاوقات ، فالى اين تذهب حينئذ ؟ قد تذهب لقتل الوقت بحكم الضرورة الى اماكن لا خير لك فيها ، وتبقى النساء وحدهن ، وقد لا يزيد بعضهن بعضاً ادباً ، أليس اصلح يا سادتي ان يُرفع هذا النقاب الذي بلوتمونا وبلوتم انفسكم به خلافاً لما تستوجبه مصلحتنا ومصلحتكم ، ولما يقتضيه ادب الاجتماع ، وان تسهل الاجتماعات الشريفة العيلية ، حيث يحصل التعارف بين الناس ويتكمل ادب الجنسين ؟

قال الله تعالى « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا لِتَعَارَفُوا » الآية .

فكيف يتمُّ التعارف بين الناس والمرأة منهم مع هذا الحجاب والنقاب ؟ وقال جل جلاله « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ » .

فلماذا يحرم الاسلام بالتباعد الحاصل امر المؤمنات بالمعروف ونهيهنَّ عن المنكر ؟ وقد قال تعالى « كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ . لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » .

يجب ان نخجل من قول بعضهم « بارود ونار لا يجتمعان » او « هوى الجنسين في المجتمعات لا يضبط » فالاجتماع العيلي الذي يتخلله الاباء والمروَّة والادب والحياء ، لا ينتج عنه الا الشرف والوقار والرصانة والتكمل

العقلي والنفسي ، وان من في قلبه ذرة من الشرف يدرك ان ماء الحياء والادب ، وندى العرض والمروءة اذا جريا في العروق ، وامتزجا في القلوب ، لا يبقيان فيها الا عناصر الخير والطهر والعفاف . هكذا الامر في العيلات الشريفة من العالم السافر ، فكيف لا ننتظر ان يحصل في قلوبنا التأثير عينه، فلا يرى سيدي الرجل في قلبه باروداً ولا ناراً ولا دخاناً ، بل نرى منه باذن الله تعالى نوراً وبرداً وسلاما ؟

واني اصارح سادتي الرجال ، انه لو عرض لي مناظر لا يراعي آداب المناظرة ولا يدفع صدمة البرهان الا بالسباب والشتائم ، لما ترددت في القول ان ذلك انما هو نتيجة جفاء خلق لا يدمثه الا الادب المكتسب من اجتماع الجنسين ، ولا تلطفه الا شواعر المرأة الحساسة المؤثرة ، بل هو نتيجة فساد قلب لا يطهره الا اشعة نفسها المطهرة ، ولما ترددت في اعتقادي ان العامل في جفاء خلقه وفساد قلبه وبذاءة لسانه هو النقاب الحائل بينه وبين اسباب صلاحه .

وليت شعري، هل يخطر في البال ان في العالم سافلاً ينظر الى محارم غيره نظرة سوء ومحارمه الى جانبه ؟ أولا يخطر ببال الرجل حينئذٍ مهما كان دنيئاً ان نظرته السيئة الى محارم غيره ، اذنٌ ضمنيٌ منه لغيره في ان ينظر الى محارمه مثل نظرته تلك ؟ وهل تخافون يا سادتي خوراً في نفوسكم ، ومروءتكم ، وإبائكم ، وادابكم ، الى هذا الحد ، فنجتنب مثل هذه الاجتماعات الشريفة ونحن ندّعي اننا اشرف الناس ؟

وعلى هذا الافتراض الا يحسن بكم ان تعلنوا وفقاً لامر رسول

الله صلى الله عليه وسلم الجهاد الاكبر ضد النفس الامارة بالسؤ لنصرة النفس المرضية عليها ؟ واني ارجو منكم ان تراجعوا البحث الذي اثبت فيه ان اقوى نصير للرجل في الجهاد الاكبر ارواح النساء وتقربها منه.

واذا كنا على هذه الحالة التعسة من انفس امّارة بالسؤ ، واحجام عن اعلان الجهاد الاكبر ، أفلا يكون ذلك ناجماً عن عدم تكمل آدابنا ؟ أولا يجب ان نجتهد في تكميلها بالصورة التي عرضتها على بصائركم النيّرة ؟ ولو أبعدنا مدى التصور لحسبنا اننا في حالة تبذّل من الخلق لا نتصوّن معه في مجتمعاتنا المشتركة ، وكلٌ منّا مع محارمه ، فكيف حال المتبذل منا منفرداً ، لا رادع له ولا رقيب ؟

(خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري ونقّري ما شئت أن تنقّري)

وأيُّ نفع من هذا الحجاب الفاصل ، في الظاهر، الرجالَ عن النساء ، وكثيراً ما سمع كثيرٌ منكم اشخاصاً يسأل الواحد منهم عن ابيه فيقول : « فلانٌ ان صدقت الوالدة »؟ يا له من قول ترتعد له الفرائص ، ويا لها من نقيصة تحتوي كل النقائص . تبّاً لذلك الحجاب الذي جعل الام تهان هذه الاهانة ، وتبّاً لتلك النفس الدنيئة التي ترضى بهذه المهانة .

سادتي ، غيروا من عاداتكم وكونوا في الجماعة مع نسائكم لتخلص ثقتكم وتخلصوا من سؤ الظنون او من شر قد يكون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . فاخشَ ايها الراعي ان يعيث الذئب في قطيعك اذا انقطعت

عنه. وهل تعتقد ان ذلك النقاب المسمى ذئباً كافٍ لحماية النعاج من الذئاب؟ أوَلاَ ترى ان ذلك النقاب او الذئب يعيث ايضاً في الخراف اذا كانت بلا راع؟ وهل يعرف الراعي اين، او كيف، او متى يتصادف الذئب والقطيع؟ أفليس خيراً لكل راع، رجلاً كان او امرأة، ان يرافق قطيعه ويكون مع الجماعة فلا يؤذى؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ).

ان ذلك مثل النفس التي ليس لها من نفسها راع، يروع الذئاب والسباع ويجعلهم خرافاً.

سادتي وسيداتي.

تأملوا في الاجتماع المختلط لاستماع المحاضرات. وقابلوا بين منافعه ومضارّه ان كان فيه مضارّ، وقيسوا المجتمعات الادبية العيلية عليه، اناشدكم الشرف يا سادتي ان تطلقوا نفوسكم من اسر العادة معمية البصائر وتحكموا العقل، وتحكموا في اي الطريقين اصلح للجنسين.

قلت ان تطلقوا نفوسكم من اسر العادة لانه لا مانع من الاجتماعات العيلية كما بينت الا العادة.

* * *

وصوت للرصافي

ولله در الرصافي شاعر العراق القائل :

واني لأشكو عادةً في بلادنا رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع
فذلك انّا لا تزال نساؤنا تعيش بجهلٍ وانفصالٍ عن الجمع
واكبر ما اشكو من القوم انهم يعدُّون تشديد الحجاب من الشرع
أفي الشرع اعدام الحمامة ريشها واسكاتها فوق الغصون عن السجع
وقد اطلق الخلاّق منها جناحها وعلّمها كيف الوقوع على الزرع

لا بدع يا شاعر العراق الكبير ، انك شاعر بمصيبتنا من جهل النساء لانفصالهن عن الجمع بتشديد الحجاب ، وانك لم تكنِّ عن المرأة بالحمامة التي خلقها الله تمثال الطهر والوداعة ، وعلمها السجع ، والوقوع على الزرع واطلق جناحها ، الا لتلقي على الامة من منبر الشعر العالي درساً مفيداً خالداً . وكأني بك تقول فيه ، ايها المسلمون كافة اذا كانت الحمامة قد تعلمت واطلقت حريتها ، فعلموا انتم بالاحرى المرأة ، واطلقوا حريتها التي لها من الله ، ولا تسكتوها فتحرموا نغم روحها اللطيف امتكم التي لم يتصل بها الجهل الا لانفصال نسائها عن جمع رجالها . فيجب ان تسمع في هذه الامة نغمة الام الحنون كما تسمع نغمة الاب القوي ، ليتألف منهما النغمة التي لها التأثير الكامل في النفوس .

اجل . يجب ان يكتسب الاب من حنان الام ، وتكتسب الام من قوة الاب ، ليعتدلا ويأتلفا ويوفيا وظيفتهما المثلى . وان مثلهما في ذلك

مثل المقص الذي لا يحسن وظيفته ما لم تأتلف شفرتاه متوافقتين . هكذا يأمر العقل وبهذا يأمر الدين .

اجل يا سيداتي وسادتي ، وانا سأبين لكم في البحث الديني ان الدين لا يمنع اجتماع الجنسين في المجالس ، كما انه لا يمنعه في الاسواق ولا في الجوامع والمساجد ، وانما يمنع الخلوة ، ويمنع دخول الرجال على النساء بغير اذن اوليائهن . قال ابو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه « نهى رسول الله ان لا يدخل الرجال على النساء الا باذن اوليائهن »

اناشدكم يا سادتي وسيداتي ان لا تفتحوا للمغالطة باباً فتخلطوا معنى الخلوة بمعنى الاجتماعات العلنية الحرة باذن الاولياء وفي حضورهم ، بل اذا قيل لكم : ان الشيطان ثالث بين المرأة والرجل اذا خلوا . فقولوا بصوت عالٍ ان الاجتماعات الشريفة الحرة حيث يتكمل ادب الجنسين وعقلها لمحضر الملائكة .

❀ ❀ ❀

يشبّه بعض السادة والسيدات الاجتماعات العيلية بالورود الجميلة يفوح طيبها ، ولكنهم ينفرون مما قد يشوبها ، الا وهو الرقص بالمخاصرة الذي يرى اشبه شيء بالشوك للورود .

انهم اصحاب حق في نفورهم من ذلك الرقص الذي اسمع به ولم أره . فهو لا يوافق اخلاقنا بل يخالف آدابنا . واذا كان المصلح الاعظم مصطفى كمال الذي اطرئ مبادئه الاجتماعية الحرة ونهوضه ، قد اباح

ذلك الرقص ، فما خرجت هذه الاباحة عن كونها هفوة . وهي المانع الذي جعل قومنا يترددون في قبول المبادئ الاخرى الحرة . خائفين ان يكون هذا الشوك ملازماً ذلك الورد .

ولكن يا سيدي الرجل . هب ذلك المصلح مصطفى كمال . جاوز الحد وغالى في الحرّية . وادخل الرقص الى المجتمعات . أفليس لنا حق الاختيار . فننبذ الحرّيات الشاذة مثل هذه ومثل كشف العورات من صدور واعضاد ، وتقصير اثواب بدرجة عائبة ، والتبرج المنافي الرصانة . والخلوة بالرجال ، وما شاكل ، ونتخذ ما يوافق تربيتنا واخلاقنا ؟

هل تخشى يا سيدي ان تستعمل محارمك اذا سفرنّ . هذه الحريات الشاذة ان نهيتهنّ عنها ؟ انهن اذا فعلن ذلك في محل العلانية ، ولم تتمكن من منعهن وهن في حضرتك ، ان يحضرن مجتمعات الرقص ، فاعلم انهن قد يكن فاعلات في محل الخفاء وانت غائب ، اموراً لا ترضى عنها . اذن فالغطاء ما كان الا ستاراً لا خير فيه .

ان نساء اوربا واميركا ، اكثر نساء الارض اختلاطاً بالرجال واسبقهن تمتعاً بالحرية . يتلقين علومهن العالية مع الفتيان على مقاعد واحدة . هكذا يختلط الجنسان في المعابد . وهكذا يختلطان في المتنزهات والمجتمعات وفي الاندية العلمية حيث تلقى المحاضرات . وهن

يعلمن ان العلم العالي يرفع المرأة من منازل الضعة والصغار · الى مراقي الشرف والكرامة والفخار .

وقد اخذت الاديبات والمعلمات الغربيات يأتين بلادنا ويقمن فيها منذ زمن بعيد · فلا يجوز ان ندّعي ان نساءنا اشرف منهن واعز نفوساً .

بل لا يجوز لنا ان ندّعي ان نساءنا المحجبات بزيهن الحاضر الخلاب اكثر شرفاً ، واكمل ادباً ، واعفّ نفوساً ، وابعد زياً عن التبرج والفتنة من الراهبات السوافر اللواتي انقطعن عن الرجال ولا قوّام عليهن في هذه الحياة ، كأنما هن اللواتي عملن بكتاب الله وسنة رسوله في العلم والتعليم وفي الزيّ اذا خرجن من بيوتهن . وكأنما نحن الألى خالفوا .

ان كل من تأمل منصفاً بعقل مجرد عن الهوى يرى ما رأيت .

وهل بيننا من لا يثق بهن كل الثقة وقد اعترف لهن العالم بحسن السجايا فضلاً عن شديد عنايتهن بتهذيب الصغار وتثقيف اخلاقهم وانارة عقولهم .

وهل ينكر احد انهن مرجع الفقير ، وملجأ العاجز والمريض ، وغوث المعوز واليتيم ؟ أكان سهلاً عليهن ان يفعلن ما يفعلن في سبيل خير البشر لو كنّ في اسر الحجاب يرسفن بقيوده كما يريد سيدي الرجل ان نكون نحن ؟

وهل يرضى الله عز وجل ، وهو العدل كله عن ضعفنا وخمولنا ونحن محجبات ، ولا يرضى عن جليل عمل اولئك وهن سوافر ، وقد ملأن البشرية منافع واحساناً ؟

انظروا الى معاهد العلم التي اسسنها ، وهي تنير ارضنا كما تنير النجوم السماء . انظروا اليها وقد صيرنها بقوة الحرية والارادة وسمو المدارك وصدق العزيمة ، جنات باسقة الاغصان ناضجة الثمار . واسمعوا من وراء جدران الملاجىء دعاء الايتام والمعوزين الذين رمتهم يد القضاء الى وهدة البلاء والشقاء ، فتلقتهم ايدي ملائكة البر والعطف البشري تشبع جوعهم ، وتكسو عريهم ، ناشلةً اياهم من تلك الوهدة .

انظروا الى كل هذا يا سادتي الرجال ، وقابلوا بين الفئتين الراهبات السوافر ، والنساء المحجبات اللواتي حرمن القوّامين عليهن ، تروا هؤلاء وقد عجزن عن كسب قوتهن يتزاحمن على ابواب المحاكم الشرعية ودوائر التنفيذ منكسرات القلوب ذليلات النفوس يسألن نفقةً تقيهن غائلة الجوع ، وبعضهن يشتهي الرغيف ، واولئك يطعمن الفقراء واليتامى . افلا يخشى الرجل ان تتبذّل المرأة التي لا معين لها . اذا عجزت ، وقد منعها الحجاب ، عن كسب رزقها الحلال ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَفضَلُ الأَعمالِ الكَسبُ الحلالُ) وقال صلى الله عليه وسلم (العِبادَةُ عَشَرَةُ أَجزاءٍ تِسعَةٌ مِنها في الكَسبِ الحلالِ)

وقال الله تعالى في كتابه العزيز « لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا اكتَسَبوا وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمّا اكتَسَبنَ » فهيئوا النساء للكسب الحلال ليستغنين به ولا يحتجنَ الى غيره .

***

وقل قدوة العلماء المحققين المرحوم الشيخ محمد عبدو في رسالة التوحيد: طالبَ الاسلامُ بالعمل كلَّ قادر عليه، وقرر ان لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره، ولم يحظر الاسلام على الانسان الا ما كان ضاراً بنفسه، او بمن يدخل في ولايته، او ما تعدّى ضرورةً الى غيره، وحدّد له في ذلك الحدود العامة بما ينطبق على مصالح البشر كافةً، فكفل الاستقلال لكل شخصٍ في عمله واتسع المجال لتسابق الهمم في السعي حتى لم يعد لها عقبة تعثر بها اللهم الا حقاً محترماً تصطدم به.

رحمك الله يا شيخنا المصلح، وطيب ثراك، نعم ان دين الاسلام لم يترك في سبيل تسابق الهمم عقبة يعثر بها المسلمون، ولكن بعض علمائنا وفقهائنا — ارادوا التسابق في وضع العقبات في سبيلنا فلم يتركوا لنا حركة ما في الدنيا، جسمانية وعقلية، دينية ودنيوية، الا قيدوها بقيدٍ كما شاؤا، ولا اثر لذلك القيد في الكتاب ولا في السنة، سباق جرى بينهم لوضع القيود، وقد ندر من ظهر مثلك يفكّ قيداً او يزيل عقبة، وكثر جداً من يضع القيود فوق القيود، ويحدث العقبات بعد العقبات حتى وصلنا الى ما وصلنا ونفوسنا وعقولنا وجسومنا وحركاتنا كلها ترسف بقيدٍ فوق قيد، وامست طريقنا عقبات تلي بعضها بعضاً، ذلك ما دعا اصحاب العقول فضربوا بتلك القيود عُرض الحائط راجعين الى

الكتاب والسنة منبع الخير والصلاح والهدى. ومصدر اليسر والفلاح والنور.

❊❊❊

أفلا يجب عليكم ان تهيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر او لمقاومتها اذا نزلت بهن من بعدكم والدهر ذو غير؟ وهل تستطيع الاسيرة المحجبة ان تجاري الحرة السافرة في كسب عيشها المشروع، وحفظ كونها والوقوف في وجه الفقر المروّع، ومن منا يأمن الكوارث ويطمئن الى الدهر؟ وهل نعتقد انه يتسنى لكل فتاة ان تقضي حياتها زوجة يُنفق عليها او مستغنية لا تحتاج الى ذلك؟ وان لم يتسن للفتاة ان تقضي حياتها زوجة او مستغنية وهي غير معدة ومستعدة للكسب الحلال، افلا يُخشى عليها ان تقع في شر حال لا ترضى بها نفوس الرجال؟

وهل يرضى عدل الله جل جلاله ان نجعل نعمة الاسلام على المسلمات ويلاً فنحرمهن الهواء والنور، والحرية والعلم، وما اودع الله عقولهن ووجوههن وايديهن من القوى، حتى نرى هذا القدر من التفاوت بينهن وبين اخواتهن في الانسانية؟

انا حكّمناكم يا قضاة الاجتماع فاحكموا بالعدل.

أنصفوا يا سادتي الرجال، انكم تتهموننا بنقص العقل والدين، لماذا؟ لانكم سددتم طرق عقلنا اي حواسنا، وجعلتمونا في محيط يكتنفه الذل والجهل. فنقصت عقولنا بسبب نقص العلم، وحرماننا رؤية الحقائق، ونقص

بالطبع ديننا، اذ لا دين حيث الجهل، فالجاهل لا يستطيع ان يتناول من الدين الا قشوره، واي نفع للقشور دون اللباب ؟

رأيتم اني قابلت بين الراهبات وبين المنقطعات من النساء، فهل تسمحون لي بان اقابل بينهن ايضاً، وعددهن لا يزيد في سوريا ولبنان عن الالف، وبين سادتي الرجال القوامين اعني غير المتجددين منهم، الذين لم تصل عقولهم الى لباب الامور فبقيت عند قشورها، وهم يبلغون مئات من الالوف ؟

لا اعتقد ان المقابلة مما لا يستغنى عنه، فآثار كل من الفريقين تدل على نماء عقله ونتاج فضله — وقد جاء في الحديث « أَلاَ إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَدِلَّ عَلَى ٱلْبَاطِنِ ٱلْخَفِيِّ مِنَ ٱلْعَقْلِ إِلاَّ بِظَاهِرٍ مِنْهُ أَوْ نَاطِقٍ عَنْهُ ».

واني اتذكر هنا، حين ارى ما ارى من آثار الراهبات، ما تجازا العلامة الايطالي الشهير — وكأني اسمعه وهو صارخ بصوت العلم والحق « ما اكفر الرجل الجاه كبره وحب استبداده بالمرأة ان يزوّر حتى في علم التشريح قائلاً ان نخاعها احطّ من نخاعه »

ان شاعركم يا سادتي الرجال قد عين واجب الرجل، وواجب المرأة بشعره المشهور القائل :

(كُتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول)

اما الراهبات السافرات فمع تجردهن عن القوّامين، ومع انهن من جنسنا المتهم بنقص العقل والدين، لم يقبلن ان يكون هذا واجب المرأة

وذاك واجب الرجل ، بل سابقن افاضل الرجال وفضليات النساء ، من العالم السافر الراقي ، في سبيل خير الانسان ونشر المحبة والصلاح في العالم ، وتعويد النفوس البر والفضيلة كما ترون وتعلمون .

❊❊❊

انتم تنادون بعيّ المرأة ونقص عقلها ودينها ووجوب الحجر عليها واستعبادها ، وانتم تجعلونها عبئاً ثقيلاً ينؤ به ابوها وابنها واخوها . وهن بافعالهن وبتعليمهن تلميذاتهن يثبتنَ ما قاله الزهاوي يوم زار بيروت .

للمرأة الفضل في العمران نشهده — لولا تقدمها ما تمَّ عمرانُ
فانما هي للابناء مدرسةٌ — وانما هي للآباء معوان
وانما هي للمفجوع تعزيةٌ — وانما هي للمحزون سلوان
وانها الروض مطلولاً له ارجٌ — وانها لجنى الاثمار بستان
وانها تارةً نار قد اتقدت — وانها تارةً روح وريحان
وان اصلاحها اصلاح مملكةٍ — وان اهمالها موت وخسران
يأبى تأخرها قوم له شممٌ — وبالرقي لهم دين وايمان
لا يرفع الشعب من اعماق وهدته — الاّ رجال اولو عزمٍ ونسوان
الخير في ان يعزَّ المرء صنوتهُ — والشرُّ أن يهضم الانسانَ انسان

❊❊❊

يا سادتي الرجال

هل تقدرون بعد كل ما ذكر ، ان تتهموا الراهبات السوافر بنقص العقل والدين ، كما تتهموننا ، وهـذه اعمالهن النبيلة وآثارهن الخالدة ملء العيون ؟

اذا كان الجواب لا ، فلماذا لا ؟ ألسن مثلنا من جنس النساء ؟

بلى ، هن من جنس النساء ولكنهن مع انقطاعهن عن الرجال ، قـد تمتعن بالحرية واعتمدن على انفسهن فطلعن بـدوراً في سماء العلم والرقي والكمال .

اما نحن . نحن الشقيات . فلا يصلح لنا غير العمى . وقطع النفس ، والحبس تحت غطاء كالكفن او في قفص . لا يليق بنا ان نخرج من خدرنا الا الى قبرنا .

قال الله تعـالى « مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى » فلماذا تكتبون علينا الشقاء باسم القرآن وقد جل عن مثل ذلك ؟

اما حان لنا ان نعتبر فنصحو من غرورنا، فنرفع هذه الغشاوة المظلمة عن عيوننا، ونرمي بالغرور الاعمى من قلوبنا، ونستيقظ من سباتنا القاتل فنسابق في نفع البشرية وخير الانسان . اولئك السيدات وامثـالهن من العالم السافر الراقي ؟

اراني للتخلص من عبودية الحجاب ، اخاطب سيدي الرجل اكثر مما اخاطب رفيقتي المرأة . فاطلب التداوي بالذي كان هو الداء . ان لذلك اسباباً عديدة اذكر منها :

ان الرجل اعتاد استضعاف المرأة ، والمعونة تطلب من القوي لا من الضعيف .

ثانياً : ان الرجل استطاع بنيله حرياته في العصور الاخيرة ، ان يقطع مراحل واسعة نحو الرقي والكمال ما استطاعت المرأة المحجبة ان تجاريه فيها ، فاصبح واثقاً بان قضيتها هي قضيته ، وانهما ، كما قال الفيلسوف الانكليزي تنسن ، عمودا العيلة ، اذا مال احدهما وقصر واختل وضعه ، تداعى سقف العيلة وانهار صرح الاجتماع القائم على دعائمها ، او كما قال فيلسوفنا الزهاوي ، هما جناحا الشعب ولا يمكن ان يعلو شعب ويطير الا بجناحيه مستويين ، فإن لم يستوِ جناحاه ، علت الشعوب المستوية الجناحين الى مراتب العز ، وظل هو مستلقياً يتغنى بمجد اجداده السابقين ، كما تتغنى العجوز بجمالها المنقضي ، وقد يسليه ان يرمي بالكفر والالحاد ، كل من علا وتسامى وتحرر وتجدد ، وقد يتغنى ببساط الريح هازئاً بالطيارات المحلقة ، يكفر مخترعيها والطائرين فيها . قال الشاعر الفيلسوف :

كم غافلٍ ظن الخيال حقيقة ورأى الحقيقة في الحياة خيالا
من قد اضاع صوابه في جهله عد الهدى للسالكين ضلالا

ثالثاً : ثبت بالاختبار ان الحر اعرف بقدر الحرية من العبد ، وان

العبيد لولا جهاد الاحرار المفكرين لما نالوا حريتهم ، وان العبيد تعودوا الخمول والانعتاق من الفروض الواجبة على الاحرار . فقد يخافون الحرية تخلصاً من تعبهم في ايفاء واجبهم، اذا هم اصبحوا احراراً ، واضحت نفوسهم كباراً .

قال المتنبي :

واذا كانت النفوسُ كباراً   تعبت في مرادها الاجسام

وبوجه من البيان آخر، ان العبيد يجدون انفسهم احراراً في حركاتهم اكثر منهم فيما لو تحرروا ، فالحر مقيد بقيود من الواجبات وما اكثرها ، والعبد مطلق من امثال هذه القيود .

ومن الغرابة ان بعض البشر يعد الخمول والانزواء في الخدور من مميزات الاكابر والاشراف ، على ان المرأة الشريفة يجب ان تمتاز، كما هو الامر في العالم السافر الراقي، باعمال مميزة شريفة تنفعها وتنفع البشر، بخلاف الستر والخدر اللذين تستطيع كل واحدة مهما كانت خاملةً او وضيعةً سافلة ان تلازمها ، وهل بقي من فرق وامتياز بيننا الآن في التحجيب ؟ اليس السافلات متحجبات كغيرهن فلا نُعرف نحن في الظاهر ولا يُعرفن .

رابعاً : ان الحرية عادة تستدعي الصراحة والوضوح في القول والعمل، والعبودية تملي عادةً على المستعبد ، المكرَ والرياء فيهما . إذن فانا اتوقع

المعونة من الرجال، اكثر مما اتوقعها من النساء.

قرأت مرةً حكايةً رمزية نفعتني في تأملاتي، ولعلها تنفع سيدي الرجل اذا خلا الى نفسه:

قال الراوي: ان رجلاً ظالماً كان يستبد بزوجته مشدّداً في تحجيبها على اعتقاد ان يجعلها باستبداده شريفة وهي ليست شريفة، فدعاها مرة الى قضاء ساعة في حديقة منزله، وفي الحديقة حوض ماء فيه سمك، فلما جلسا على حافة الحوض ارسلت المرأة حجابها، وقالت لزوجها ماكرةً مخادعة: الدين قبل كل شيء، فأخشى يا سيدي ان يكون بين الاسماك ذكرٌ فيرى، اعوذ بالله، وجهي! قال الراوي، فضحك احد الاسماك وانطقه الله بما كذب ادعاء الزوجة الشرفَ والتدين رياءً ومكراً!

يا سيدي الرجل، انا لا اعرف طبعك، ولكني اخشى جداً، اخشى جداً المرائين المتظاهرين بالتدين والورع البارد، هؤلاء يعرفون ان في انفسهم نقصاً فيحسبون انهم يكملون ذلك النقص بالمكر والرياء، اما الشريف الصريح في قوله وعمله فهو بعيدٌ عن الرياء والمكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ». قالوا ما الشرك الاصغر يا رسول الله؟ قال « الرِّيَاءُ. » وقال صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ حَرَّمَ الجَنَّةَ عَلَى كُلِّ

مُرَاهُ . » وقال صلى الله عليه وسلم « أَشَدُّ ٱلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ يُرِي ٱلنَّاسَ فِيهِ خَيْرًا وَلَا خَيْرَ فِيهِ . »

خامساً : اني اخشى ان يستهوي بعض النساء ، شكل الحجاب الحديث فلا يُجزن لانفسهن تركه ، ليس لحسبانه ساتراً وحافظاً للشرف ، بل لانه خلاَّب فتّان ، خلافاً للوجه السافر في الزيّ الرصين ، فبذلك يكنّ قد ثرنَ الرغبة في الفتنة على الرغبة في الرصانة .

سادساً : لا نستطيع بالطبع ان ننكر على كثير من الرجال انهم عاشوا احراراً فتعلموا وسمت افكارهم ، وعلى كثير من النساء المحجبات انهن عشن في جهلهن مستعبدات ، والجاهل من عادته ان يميل الى ما يضره ويبتعد عما ينفعه .

وعلى كل حال ، اسأل رفيقاتي الشريفات المتنورات ، واني معتقدة ان عددهن غير قليل ، ان يعضدن كل فكر حرّ يظهر في سبيل خدمتهن وتحريرهن ، وان يترفعنَ امام رجالهن وفيما بينهن عن قبول كل رياء ترّجح فيه العبودية على الحرّية ، وامتهان المرأة وتحقيرها وسوء الظن بها على احترامها والثقة بها والاعتماد عليها .

رأيت في بعض الصحف ان احد مناصري الحجاب يتخوّف من السفور ان يسوق الامهات الى اهمال تربية اولادهن ، غير اننا حين نرى ، في عصر العلم والنور هذا ، ان عدد نفوس الملل الاسلامية المحجبة في تأخر او توقف ، ونفوس الملل السافرة تتضاعف عدداً في عشرات السنوات

حين نرى ان مدينتي لندن ونيويورك تبلغ نفوس كل منهما عدداً سبعة ملايين ونيفاً ، وذلك اضعاف اضعاف ما كانتا عليه قبل مئة سنة ، واضعاف ما بقي في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق من نفوس.

حين نرى المدن الاخرى في العالم السافر تتضاعف مثلها نفوساً حتى ضاقت ارض السفور باهلها على رحبها فانتشروا في الارض مستولين بما خلقت عقولهم من قوة ، وبما اعدُّوه من عدة ، على بلدان الامم المحجبة ، او بلدان الامم المتأخرة ، وهي التي امست الارض فيها واسعة على سكانها الجامدين في مقدار نفوسهم ، كما جمدوا على العادات في عقولهم او تأخروا.

حين نرى الحقائق فنعرف ، دون اعتراض على حكمة الباري ، ودون انكار لحكم الاجل ، ان نصف الاطفال عندنا يموتون من جهل امهاتهم ، وقلّما يموت عندهم طفل إلا بقدر .

حين نرى ما انجبت تلك الامهات في هذا العصر ، عصر العلم والنور ، من مخترعي طيارات وسيارات وغواصات وتلغرافات وتلفونات سلكيات ولاسلكيات ، وميكروسكوبات وتلسكوبات . ومن كاشفي ميكروبات ، وايونات ، وراديوم وانوار واشعات ، وغير ذلك من المدهشات المذهلات .

حين نرى كيف انجبت اولئك الامهات السوافر، اولئك المخترعين والمخترعات، والمكتشفين والمكتشفات، والمعلمين والمعلمات، والاطباء والطبيبات. ثم نلقي نظرة الى انفسنا والى ما انجبت امهاتنا

حين نتأمل فنرى ونعرف، ان لا فرق بيننا وبين ذلك العالم، إلا نقاب النساء، يجب ان نعترف بان الام هناك لم تهمل تربية اولادها، بل أحسنتها وان السر في زيادة عدد النفوس هناك، ونقصانها هنا، انما هو حسن تربية الام عندهم وسوء تربيتها عندنا.

ويجب ان نعرف ان ذاك الذئب يعيث ايضاً بارواح اطفالنا.

ويجب ان نعرف الداء الذي ينهك قوانا ويسبب ضعفنا.

ويجب ان نعرف ذاك الورع البارد الذي يجمد عقولنا، والبلاء القاتل الذي يحيط بنا.

ويجب ان نعرف ان روح الامة وروح الرقي هو الام، وهي لا تنجب ولا تنشئ اولاداً حبسوها وقيدوها وضيقوا عليها وحرموها الحرية والنور، وكيف تنجب او كيف تحسن تنشئة اولادها ولم تكن ابنة ام منجبة؟ ان امها كانت مثلها خاملة، متنقبة، مخدرة، مستعبدة. اما نجابة من نجب فينا فهي اثر الطبيعة وخلق الله وندر ان يكون للأم فيها يد.

ان الاشجار تعرف من ثمارها، فلا يليق بنا ان ننكر الثمار الطيبة من امهات الغربيين، وإلا فقد أمسينا في بحر من الغرور غارقين.

سادتي وسيداتي

لا يخفى على احد في كل بلد، ما طبع عليه فقيد الشرق والاسلام سعد باشا زغلول من الحكمة البالغة والروح السامية والغيرة المتقدة لخير المسلمين ونفعهم واعلائهم ورفعهم. فلا بدع ان تصغوا الى بعض كلمات بليغة من مقال نشر في الاهرام للكاتبة النابغة ميّ، وهي مما يثبت رأي سعد الصائب بوجوب سفور المرأة. قالت:

« فباسم سعد اجترأت المرأة المصرية على رفع صوتها، وتحت لوائه سارت مواكب النساء في الشوارع وهتفت بحياة الوطن والحرية والاستقلال. وفي ظل سطوته تلقى الجمهور اسم المرأة وهتافها وتعود ان يستمع لمطالبها في تهيب واحترام، وهل من عامل اقدر على تقدير المرأة من ان الزعيم العائد من المنفى، تلك العودة الفخمة، يستهل خطابه في فندق سميراميس شكراً على احتفاء عظماء قومه به فيقول: سادتي وارجو ان ابدأ خطابي في محفل قريب بقولي (سيداتي وسادتي) لان للمرأة المصرية قسطاً من الفخر في جهاد الامة فيقابل هذا الكلام بالتصفيق الحاد المتواصل- وهل من عامل اقدر على السفور من ان يدخل الزعيم محفل السيدات بعد عودته من المنفى فيأبى البقاء فيه الا اذا سفرت السيدات المجتمعات لاستقباله وسابقت يده لسانه فيما اراد فمد يده ضاحكا ورفع الحجاب عن وجه اقرب السيدات اليه فكان ضحك وكان تصفيق وكان تهليل وسفرت الحاضرات بعد ذلك التحجب فكان ذلك اليوم عنوان تحرير المرأة »

ما رأيت ولا سمعت ، من جميع من رأيت وسمعت ، وبينهم العلماء والفقهاء والادباء والفضلاء ، واحداً آثر الحجاب على السفور، بل لم ارَ احدا الا رجح السفور على الحجاب، واعترف بانه ادعى الى تقوية الملكات الادبية وانماء المواهب العقلية وسعادة العيلة والمجتمع البشري ورقيّها

ولكني رأيت ، واخجل ان اقول ، ان بعضهم يخيفه نقد العامة التي تجهل مصلحتها وهي عدوة لما تجهل ، تستمد حكمها من احساسها لا من عقلها ، ويمكن القول ان عقولها في عيونها لا في ادمغتها، فهي لا تستحسن الشيء لأنه مطابق للحق، وانما تعتقد الشيء مطابقاً للحق لانها تستحسنه فلذلك نرى من يخيفه نقد العامة، يضحّي بسعادته وسعادة محارمه،وسعادة امته ارضاء لهذا الصنف من الناس . والويل لامة تنقاد لجهالها ، والويل لامة لايجرؤ العاقل فيها ان يصدع بالحق الذي يراه بعين عقله

يجب على الانسان ان يجاهد بعزيمة لا يشوبها ضعف في سبيل الحق . ولئن يُلصق بالمجاهد باطل في البداية . فلا بد له من الفوز في النهاية . وان رجوع الانسان عن الجهاد في سبيل الحق ، ليس الا جبناً واحتقاراً لمبدإ الصدق الذي يجب ان يتأصل في القلوب ويحكم الشعوب . ينبغي للانسان عندما يرى تنازعاً بين الحق والباطل،ان يحمله كبر نفسه على تأييد الحق ونشله . وازهاق الباطل وخذله. ويهتف في مثل هذا الموقف كما علمه القرآن ان يهتف « قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً »

لا يكفي الانسان ان يعرف الباطل ويسكت عنه بل يجب عليه ان

يجاهر بالحق اذا رأى قومه معرضين عنه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رأى الحقَّ وَسَكَتَ عَنْهُ فهوَ شيطَانٌ أخرسُ » . واذا سكت ولم ينصح لهم واخذ اخذهم واعانهم على غيهم ، كان مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم « مَثَلُ ٱلَّذي يعينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ مَثَلُ بَعيرٍ تَرَدَّى وَهُوَ يُجَرُّ بِذَنَبِه » وقد فسر هذا الحديث الشريف الشيخ عبدالقادر المغربي بقوله: اي ان شأن من يتمسك بما كان عليه قومه من الاباطيل ، وهو يعلم انها اباطيل ، شأن من يتمسك بذنب بعير قد وقع في حفرة عميقه . لا جرم ان البعير اذ ذاك يجره معه الى الهاوية فيهلك . وهذا شأن ذلك المساير لقومه على الاباطيل، سوف يهلك معهم ولا ينفعه علمه بباطلهم

وقال صلى الله عليه وسلم « إذَا رَأَيْتَ أُمتي تهَابُ ٱلظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهَا »

وايّ ظالم في الدنيا، اظلم من جاهل سالك على سبيل الباطل، يجبرك على ترك طريق الحق واتباعه في ذلك السبيل.

وسمعت من الناس من يقول ان السفور عدلٌ واضحٌ ورأيٌ صالح وفكر حسن ، ثم يعتذر انه لايجرؤ ان يعلق هو ، الجرس ، ذلك الجرس الذي رأت الفيران ان تعلقه في عنق الهر تخلصاً من شره ، متنزلاً بذلك الى الخوف في سبيل الحق ، كما يخاف الفار من الهر ، او كأنه منتظر ان فتاة مثلي تعلقه ! فكان بذلك منقصاً من نفسه الناطقة احدى قوتيها ، اي قوة الارادة وهي القوة التنفيذية لقوة الادراك والتعقل والحكم

ورأيت بعضهم يؤثر المكر والخداع ، يرى المستنيرين المتجددين من الامة ، فيؤثر في محادثته اياهم السفور باحسن العبارات ، مردداً الاحاديث المثبتة فضلاً عن الآيات ، وينحي باللائمة على الجامدين المتقهقرين الذين لم تستنر عقولهم بعد برؤية الحقائق ، عاداً اياهم عثرة في سبيل رقيّ هذه الامة والعدل فيها بين المرأة والرجل ، ثم اسمع انه حينما يرى المتقهقرين ويباحثهم ، يدور كمعلم الهواء دوراً فيحدثهم رياءً ومكراً بكل ما يرضيهم متناسياً انه حينئذ في الشرك الاصغر ، وانه لاصغر من ان يكون من القائلين مع الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

(فسرّي كاعلاني وهذي حقيقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري)

يا ايها المستنيرون ، يا مصابيح الامة وقادتها ، اي خير للامة من ترؤسكم وقيادتكم في الظاهر ، اذا كان زمام قيادتكم في يد من يرون ما لا ترون ؟ اي فائدة لنا من نور عقولكم اذا غشيه الرياء ، وكدره ضعف الارادة ؟ اي فائدة من عقولكم ان لم تحترموا نفوسكم فتصدع بما تأمرها به تلك العقول ؟

واي نفع من تلك العقول اذا تدنأت تلك النفوس زاحفةً الى الرياء؟

اني — يا ايها المتجدد المرائي — لأجلُ الجاهل الصريح اكثر مما اجلك ، لأنه يعمل بما يعتقد انه صواب ، اما انت فانك تعمل على عكس ما تعلم .

قال الله تعالى (وَلاَ تَلْبِسُوا الحقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

وقال صلى الله عليه وسلم (يُغفَرُ لِلجَاهِلِ سَبعُونَ ذَنباً قَبلَ أَنْ يُغفَرَ لِلعَالِمِ ذَنبٌ وَاحِدٌ)

وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ أشدّ النّاسِ حَشْراً يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ وَصفَ عَدْلاً وَعَمِلَ بِغَيْرِهِ)

وقال الشيخ محمد عبدو رحمه الله تعالى : اكبر بدعة عرضت على نفوس المسلمين في اعتقادهم ، هي بدعة اليأس من انفسهم ودينهم ، وظنهم أن فساد العامة لا دواء له ، وان ما نزل بهم من الضر لا كاشف له ، وانه لا يمر عليهم يوم الا والثاني شرٌ منه . مرض سرى في نفوسهم ، وعلة تمكنت من قلوبهم .لتركهم المقطوع به في كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وتعلقهم بما لم يصح من الاخبار ، او خطإهم في فهم ما صح منها ، وتلك علة من اشد العلل فتكاً بالارواح والعقول ، وكفى شناعتها قوله جل شأنه « إنهُ لاَ يَيأَسُ مِنْ رُوحِ اللهِ إلاّ القَوْمُ الكَافِرُونَ »

ورأيت آخرين لا يجرؤون ان يكونوا البادئين في خلع القديم البالي ، فهم يريدون ان يتقدمهم الناس ليقتفوا اثرهم ، انهم لأصغر من ان يكونوا في طليعة الناهضين .

وهنا ارى مسافة الفرق بيننا وبين الغربيين الذين بلغوا ما بلغوا من الرقيّ ، فيلتهب قلبي حسرة ، ويكاد يذوب .

انظروا الى احجام رجالنا عن الصدع بالحق الذي يرونه ، وانظروا للمقابلة الى « غاليله » لما رأى الحق : أحضر امام النار وقالوا له « ان لم

ترجع عن كلامك قائلاً ان الارض ثابتة فهذا مأواك» قال غاليله « ولكنها تدور فخير عندي ان تطفأ حياتي من ان يطفأ نور الحق ». واقتحم النارَ فمات ، اما ذكره فحيّ ، ورأيه خالد الى الأبد .

ومنهم من يسند الى نسائه الجهل معترفاً بانه ناشئ من تعودهنَّ الحجاب، فيخشى ان يصيبهنَّ بانتقالهنَّ الفجائي من الظلام الحالك الى النور الساطع، ما يصيب الخفاش اذا أبصر النور ، ولكنه عقد النية على سفور بناته اللواتي يستطعن مع علمهنَّ وتربيتهنَّ ان يتّبعنَهُ اذا تعودنه منذ الصغر، يقول هذا ولا يؤثر في قلبه تشبيه امه وابنته وزوجته واخته بالخفافيش ، ولا يعبأ ببقائهنَّ على هذه الحالة المحزنة التي يراها ، فاسألك يا سيدي ان تلازمهنَّ في النور زمناً ، وعينك ترعاهن، فتعلم ان اعتياد النور ، اهون من اعتياد الظلام ، وتتلافى بذلك احتمال الضرر .

انه يقول ما قال، ولا يفتكر انه لا يجوز تشبيه النساء المحجبات جميعهنَّ بالخفافيش ، فانَّ منهن مع حجابهن ، من بقين ، لخلوص جوهرهن ، درراً ولآلئ مكنونات، اذا حرمت عيونهن النور ، فقلوبهن طافحة به ، فعلامَ يحرم اليوم مثل تلكم السيدات، تلكم النعمة التي ستعطاها البنات

يا سيدي الرجل

اذا جاز تقييد حريّة المرء دفعاً للضرر المحتمل وقوعه ، افيجوز ان تمنع الاطفال من المشي خوفاً عليهم من السقوط فيبقوا مقعدين في ارجلهم شلل

أفيجوز ان نمنع الطيارات والسيارات والسفن من الطيران والسير خوفاً من الخطر المحتمل وقوعه ؟ ناسين ما هنالك من النفع واسباب الرقي والعمران ؟

أعلى الناس ، يا خيار الناس ، ان يستغنوا عن النحل والعسل خوف ان تلسب احدهم نحلة ؟

أعليهم ان يستغنوا عن الورد خوف ان تشوك احدهم من الورد شوكة؟

كثيراً ما كان الرجال في الجاهلية يئدون بناتهم خوف املاق ،يفضي بهن الى التبذل في الاخلاق ، وكان ذلك عندهم ، ويا للاسف ،عملاً نبيلاً ، وسيدنا عمر رضي الله عنه ممن وأدوا اخواتهم في تلك الايام قبل الاسلام

فهل تجيز لنفسك يا سيدي الرجل، ان تدفن في هذه الايام ابنتك حية، خوفاً من فقر واملاق وتبذل في الاخلاق ؟ وهل يبيح لك دينك وعدلك وعقلك،ان تأتي ضرراً حقيقياً لتتقي ضرراً وهمياً ؟ وهل تحسب استبدالك وأد ابنتك بحبسها داخل منزلها،وحرمانها النور والهواء واسباب الحياة، نعمة منك عليها؟

ان المنصفين يلومونك جداً يا سيدي ، فاسمع صوت الرصافي من العراق ، داوياً في الافاق . آسفاً مبكتاً.

« لئن وأدوا البنات فقد وأدنا   جميع نسائنا قبل الممات »

وسمعت غيره يقول ان الكون في كل مكان يتمخض بالحريات تباعاً

ولا تستطيع قوة ان تمنع الحرية من الظهور متى حانت ساعتها ، وقد ظهرت في اوانها وترعرعت في سائر البلدان ، فلا داعي لاستعجالها عندنا مهما احتاج اليها المسلمون ، انها ستلدها لهم السنون

يقول هـذا وقد فاته ان الحريـة هي وليدة العزم والحزم والارادة فينبغي لنا ان لا نترك اسبابها غير مهتمين، وهي انفع ما ينفع المسلمين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ لاَ يَهْتَمْ بِالمسلِمِينَ فلَيْسَ مِنْهُمْ)

***

وسمعت آخرين يقولون : يجب اولاً تعميم تعليم البنات، وتهـذيب الشباب، تعليماً وتهذيباً صحيحين، وبعدئذ يحسن تعميم السفور .

يقولون هذا، ولا يفكرون انهم داخلون في الدور والتسلسل الباطلين، اذ لا يتعمم تعليم البنات وتهذيب الشباب تعليماً وتهذيباً صحيحين — اذا افترض امكان ذلك — إلا بالسفور كما هو ظاهر لكل ذي عين .

واي امة في الدنيا تعلمت بناتها كلهن وتهذب شبانهـا كلهم تعليماً وتهذيباً صحيحين ولم يبق فيها مجرمون ناقصون تهذيباً ، اوجبوا تأليف الحكومات ، لاجل زجرهم؟ وماهو حد التعليم والتهذيب، وحدُّ تعميمهما الذي ينتظرون، فننتظر معهم وصولنا اليه ؟ اذ اننا كلما وصلنا الى حدّ يقولون ليس هو الحدّ بل ما بعده ، وهكذا من حدّ الى حدّ ، الى يوم القيامة، حيث نلقى الحق ويا للخجل بوجوه مسترة وعيون مغمضة ، وقلوب مفطرة .

ومع هذا فلِمَ نؤخَذُ من أقدمت واخذت قسطها من العلم ، بذنب من جمدت وحفظت قسطها من الجهل ؟

لماذا تتبع المتعلمةُ الجاهلةَ الى الوراء ، والى الظلام ، ولا تتّبع الجاهلةُ المتعلمةَ الى الامام والى النور ؟

لماذا لا تأخذ المتعلمة بيد اختها الجاهلة لتنقذها من وهدة الجهل الى مستواها ، بل تأخذ الجاهلة بيد المتعلمة لتنزلها معها الى وهدة الجهل ؟

لماذا لا تنقذ المتعلمة اختها الغارقة في بحر الغباوة ، ولكن تُغرق هذه تلك في ذلك البحر ؟

لماذا يؤخذ الرجل الاديب المهذب بجريرة الرجل المجرم ، فيعد الرجال كلهم مجرمين ؟!

واذا قلنا بالسفور ، فهل من عاقلٍ عارف سنن التدرج ، يظن ان هذه الامة تسفر كلها دفعةً واحدة ؟

هل يشرق نور الحرية على جميع الناس في آنٍ واحد ؟!

اذا قلنا بالسفور ، فنحن نعلم ان اللائقات بالسفور ومستحقاته يسفرن ، اما غيرهنَّ ، فعليهن ان ينتظرن يوم استحقاقهن ، وهكذا رويداً رويداً حتى تصل شمس الحرية الى اعلى العرش ، فيعمّ نورها الامّة جمعاء .

لله ما اسعد تلك الساعة ! ان فيها سعادة الامّة كاملة .

❁❁❁

كثيراً ما رأينا بأم العين في الجرائد والرسائل والمجلات المصورة السيدتين الجليلتين حرم المرحوم فقيد مصر وفقيد الاسلام العظيم سعد باشا زغلول ، وهدى هانم شمراوي وامثالها الكثيرات من فضليات السيدات المسلمات الساعيات لاصلاح المجتمع في مصر ، لابسات قبعات بلا ملاءة ولا خمار ولا جلباب ، وسافرات تمام السفور ، فهل اخل هذا بشرفهنّ وقدرهنّ ؟ ام انهنّ في الاسلام كالنجوم والبدور في الظلام وهنّ برسلات الى رفيقاتهنّ من علمهنّ وفضلهنّ انواراً ؟ «إنّ خَيْرَ ٱلإِسْلَامِ مَنْ نَفَعَ ٱلإِسْلَامَ»

وهل يرجو الاسلام من بعض الخاملات الجامدات الموسومات بنقص العقل والدين ،خيراً ونفعاً وصلاحاً، اكثر مما يرجو من مثل هؤلاء السيدات الفاضلات الجليلات المتجددات ؟

دونكم بضعة ابيات من تحية امير الشعراء لهنّ . قال :

قم حيّ هذي النيراتِ حيّ الحسانَ الخيراتِ
واخفض جبينك هيبةً للخرّد المتحضراتِ
مصرُ تجدد مجدها بنسائها المتجدداتِ
النافراتِ من الجمود كأنّه شبح المماتِ
هل بينهنّ ، جوامداً فرقٌ ، وبين المومياتِ

هذه هي مكانة المتجددات ، وهذه هي منزلة الجامدات ، يا سادتي وسيداتي ، الأوّل قابلهن امير الشعراء بخفض الجبين هيبةً لهنّ ، ووصفهنّ

بانهن مجددات مجد مصر ، والأخر وصفهن بالموميات وهي الجثث القديمة المحنطة التي وجدت في القبور . فماذا تخترن ياسيداتي النساء ان تكنّ؟

وماذا تريدون يا سادتي الرجال ان تكون نساؤكم ؟ أمن الموميات ام من المتجددات ؟ وماذا تقولون في تلكم السيدات السافرات ؟ أهنّ يا مسلمين غير مسلمات ؟

ويحسن بي الآن ان اذكر ابياتاً من قصيدة انشدها الشاعر الاجتماعي احمد الكاشف في استقبال حافل للسيدات هدى هانم شعراوي المشار اليها ورفيقاتها الجليلات، لما عدن من المؤتمر الذي عقدته جمعية اتحاد النساء الدولي في روما . قال :

هدى سرت لا عيناً منعت ولا اذنا ... احاديثك الحسنى ومطلعك الاسنى
ذكرت بك الزهراء وهي ظعينة ... تحف قريش ركبها الطهر والظعنا
وما كنت في المدن التي بك رحبت ... اقل من الغازي الذي فتح المدنا
سلاسل تقليد واغلال عادة ... كسرت ولا حرباً شهدت ولا طعنا
واطيب وادٍ ما تركت نساؤه ... وافضل ملك ما على خلق يبنى
يزهد في الحسن السفور منزهاً ... ويغري بذات الحسن اخفاؤها الحسنا
وليس الحجاب الصائن الخدر محكماً ... وليس النقاب الحافظ الخز والقطنا
ورب أب القى الى الزوج بنته ... كما ساق بيعاً ما تملك او رهنا
فان صانها حرصاً عليها وغيرة ... اعد — ولم تذنب — لها بيته سجنا
اذا طلبت حقاً من المرء مرأة ... فمن حقها ان لا يسيء بها الظنا

اذا كان انسياً فانسيةٌ له وان كان جناً اصبحت عنده جنا
اذا عوّد الانسان يسراه مثلا تعوّدت اليمنى استوت هي واليمنى

اسمعتم يا سيداتي وسادتي ما يقول رجال مصر؟ افلا يجدر بنا ان نعتبر فندرك ان السر في الروح والعمل، لا في الملابس والحلل؟

❊ ❊ ❊

خلاصة القول، اني رأيت كل من رأيت من الناس يؤثر السفور ويقول به، ولكن رأيت منهم في الوقت نفسه ضعفاً في الارادة، وتردداً لا يليق بالرجال ذوي العزائم، متناسين ان اشرف قوى المرء قوّتا الارادة والعزيمة الصادقة، اللتان يجب ان نستخدما في كل عمل خير يرشدنا اليه العقل والعلم.

انهم يتناسون ان انتظار الايام والسنين، حكمٌ بالبقاء في ظلمات الجهل، جائر على بناتنا، وفي النتيجة علينا.

الدفع اهون من الرفع يا سادتي، فادفعوا ما يتهددكم من بلايا الجهل والتقهقر بين الامم قبل وقوعه، انه اهون من رفعه فيما بعد. وهل من العدل، ان نقيّد بنات اليوم، بما ستطاق منه بنات الغد؟ ولمَ ذلك؟ لاننا ويا للأسف نشأنا على الجمود والتردد وضعف العزيمة، واعتاد الكثيرون منا ان يكونوا عبيد عادة ما تحروا شرها وخيرها، وانما ورثوها عن الاسلاف، فحفظوها مصونة مقدسة، لا تمتد اليها يد تعديل ولا تبديل.

اجل، ان بلية الشرق بعاداته. واننا عبيد لما ورثنا، عبيد لما رأينا فيما يعني العادات.

يدل على هذا ، اننا نحن البشر ، بحكم العادة الموروثة عن الاجداد ، عبدنا الحجر . وعبدنا البقر ، عبدنا النار ، وعبدنا القمر ، وقد كنا عمي البصائر ، حتى ان الام كانت تقذف بولدها الى النار ارضاء للنار ، وتذبح ابنها بيدها قرباناً للوثن .

اجل ، رأينا ما اتبع البشر من عادات فاسدة مضرة ، فهل يجوز لنا ان نعد اجماع متبعي تلك العادات في زمانهم على الفاسد والضار ، صواباً ؟

رأينا كل هذا ، ولكن كل عقيدة ، وكل دين . كل عادة ، وكل مذهب . كل لباس ، وكل تقليد ، قد تطور مع الزمان بالنسبة الى رقي العقول ، وسمو المدارك ، وعلو الهمم والعزائم ، وقوة الارادة ، حتى وصلت البشرية الى ما وصلت اليه من المدنية والكمال .

واني لا استطيع القول مع القائلين ، ان البشرية ترجع في مدنيتها الى الوراء ، لان هذا الاعتقاد ، يشير خلافاً للواقع ، الى ان ارقى عصور البشرية ، وافضلها آداباً ، العصر الحجري ، الماثل امامنا في بطون التواريخ ، مع ما فيه من الهمجية

ان كان هذا اعتقادنا ، فيا لتعس البشرية ، انا سنلبث خاملين او نعود القهقرى بدلاً من ان نسير الى الامام ، مع الامم الناهضة في طريق التجدد والتطور .

ويا لتعسنا اذا لم نر امهاتنا وزوجاتنا وبناتنا واخواتنا ، يمشين معنا

بجبهات وضاحة في طريق الحرية، والشرف، والمجد، والتكمل العقلي والادبي.

قال الله تعالى (انَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مابِأَنْفُسِهِمْ) فلنغير ما بأنفسنا الى اصلح منه، تتغير حالتنا الى اصلح منها

ربي، قبل ان تتوفى الروح مني، متع عينيَّ ان تشهدا، واذنيَّ ان تسمعا، ان فتيان المسلمين وفتياتهم، الاخوة والاخوات، كلا الفريقين المثل الاعلى في الاخلاق والآداب، كلاهما سافر يبادل الآخر الاحترام فكراً وقولاً وفعلاً، وكلٌ آخذٌ بيد الآخر، يسيران في طريق المجد، بوجوهٍ طافحة بماء المروءة والحياء، لامعة بنور الفضيلة والعفاف

يدل على هذا [illegible] البشرية [illegible]

[illegible]

وهي لا تستطيع القول مع القائلين ان البشرية ترجع في مبدأ نشأتها الى الوراء لان هذا الاعتقاد يشير خلافا للواقع، الى ان اول عصور البشرية [illegible] العصر الحجري [illegible] ما فيه من أهمية

ان كان هذا التشاؤم [illegible] البشرية [illegible] بدلا من ان تسير الى الامام مع الامم الناهضة في طريق التجدد والتطور.

[illegible]

القسم الثالث

في

الادلة الدينية

ويتخللها ادلة عقلية لان الدين والعقل متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان

سادتي وسيداتي

ان اصول الدين في الاسلام اربعة : الكتاب والسنة والاجماع ، ثم القياس على مذهب السنين ، والعقل على مذهب الشيعيين

اقول هذا لان خطابي موجه للمسلمين عامة ، لا لفئة منهم خاصة .

فلنبتدئ بالبحث في آيات الكتاب

ان آيات الكتاب التي دار عليها حديث الفقهاء والمفسرين ، والتي تدخل في موضوعنا، اربع. لا خامس لها آيتان مختصتان بنساء النبي صلى الله عليه وسلم. وآيتان للمسلمات عامة . سأذكرها بنصوصها ، وانقل بالحرف بعد كل آيتين ، ما ذكر بشأنها في كتب التفسير التي راجعتها وهي :

التفسير الموسوم بانوار التنزيل، واسرار التأويل، للقاضي البيضاوي .

تفسير القرآن الجليل المسمى : لباب التأويل ، في معاني التنزيل ، للامام علاء الدين الصوفي المعروف بالخازن .

التفسير المسمى : بمدارك التنزيل . وحقائق التأويل ، للامام عبد الله النسفي وهو حاشية على تفسير الخازن .

التفسير المسمى : مجمع البيان ، في تفسير القرآن ، للامام الطبرسي . وأبين بعد نقلي تفسير الآيتين الاوليين . ثم بعد نقلي تفسير الآيتين الاخريين ، الملحوظات التي اقتضتها الحال .

❀❀❀

فالآيتان الاوليان هما ، الآية الثانية والثلاثون ، والآية الثالثة والخمسون من سورة الاحزاب :

« يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ . إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَقَرْنَ (بفتح القاف وسكون الراء) فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَى وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَاةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ . إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً » .

و « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَٱللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ . وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَٱسْأَلُوهُنَّ

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً » .

فاليكم ايها السادة من التفسير ما يتعلق بالآية الاولى :

قال البيضاوي صفحة (٥٥٧) « وقرنَ في بيوتكن » من وقر يقر وقاراً ، او من قرّ يقرُّ حذفت الاولى من رائي إقررْنَ ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني بها عن همزة الوصل ، او من قار يقار (اي مشى على اطراف قدميه لئلا يسمع صوتها) .

وقال الخازن صفحة (٦٠٥) « قيل هو امر من الوقار اي كنَّ اهل وقار وسكون »

وقال النسفي صفحة (٦٠٥) « قِرْنَ » اصله من قار يقار او من وَقَرَ يَقِرُ وقاراً ، او من قرّ يقرُّ حذفت الاولى من رائي إقررنَ فراراً من التكرار ونقلت كسرتها الى القاف .

« ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » اي لا تتبخترن في مشيتكن تبرجاً مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة . قيل هي ما بين آدم ونوح عليهما السلام ، وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم ، كانت المرأة تلبس درعاً – اي قميصاً – من اللؤلؤ فتمشي في وسط الطريق وتعرض نفسها على الرجال . »

وقال الخازن صفحة (٦٠٥ و٦٠٦) « التبرج هو التكسر والتبختر

والتغنج وابراز المحاسن للرجال . قبل الجهالة لاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم . وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه، وقيل كان في زمن نمرود الجبار ، كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال. وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه السلام كان احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكانت رجال الجبال صباحاً وفي النساء دمامة (اي قبح) وكانت نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة ، وان ابليس اتى رجلاً من اهل السهل وآجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاة ، فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حولهم، فأتوهم يستمعون اليه، واتخذوا عيداً يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن . وان رجلاً من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك،فرأى النساء وصباحتهن،فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك .فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن . فذلك قوله تعالى « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » . اما الجاهلية الاخرى فقيل انها جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام » .

قلت: ارجو ممن يتغنى بالازمنة القديمة، ويريد الرجوع الى الوراء، ان يرى ، ان صحت الرواية ، كيف كان التبرج ، وكيف كانت الاخلاق في تلك الازمنة، زمن ابراهيم وداود وسليمان عليهم السلام، والزمن الذي مر

بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم .

وقال « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت » نصب على النداء وعلى المدح وفيه دليل على ان نساءه من اهل بيته .

وقال الطبرسي صفحة (٢٤٦) اختلفوا في تفسير اهل البيت ، فقال عكرمة اراد ازواج النبي لان اول الآية متوجه اليهن ، وقال الخدري وانس ،ان الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعلى هذا ذهبت الشيعة ، فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم .

وقال البيضاوي صفحة (٥٥٧) « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » هو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن من اهل بيت النبوة ومهبط الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثاً على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به . « ان الله كان لطيفاً خبيراً » اي يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون من اهل بيته .

❀❀❀

وقال النسفي والبيضاوي : فلما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت الآية : « إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ ، وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ، وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ ، وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ ، وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ ، وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ ،

وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ ، وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ ، أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

واليكم من التفسير ما يتعلق بالآية الثانية :

ذكر المفسرون المشار اليهم لتنزيلها اسباباً اربعة :

السبب الاول : ذكر الخازن في الصفحة (٦١٧) عن انس بن مالك انه قال « اني اعلم الناس بالحجاب حين انزل ، وكان اول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ، حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروساً ، فدعا القوم فاصابوا من الطعام ، ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا . فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن انهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت ، حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب » .

السبب الثاني : قال الخازن والنسفي صفحة (٦١٨) عن ابن عباس ان اناساً من المسلمين كانوا يتحيّنون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام ، ويقعدون ناظرين اي منتظرين إناه ، اي لادراكه او

لوقت الطعام وساعة اكله، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذّى بهم فنزلت الآية

وقال النسفي « روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انس بن مالك ان يدعو بالناس، فترادفوا افواجاً يأكل فوج ويخرج، ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احداً ادعوه، فقال ارفعوا طعامكم، وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا، فقام رسول الله صلى عليه وسلم ليخرجوا، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات، وسلم عليهن ودعون له ورجع، فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولّى، فلما رأوه متولياً خرجوا فرجع. ونزلت الآية».

السبب الثالث: قال الخازن صفحة (٦١٧) «عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن في الليل اذا تبرزن الى المناصع، اي المواضع الخالية لقضاء الحاجة. وهي صعيد افيح اي ارضاً واسعة، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم، احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سوده بنت زمعه زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر، الا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب».

وقال ايضاً عن انس وابن عمر، ان عمر قال «وافقت ربي بثلاث، قلت

يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت الآية «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن ، فنزلت الآية ، واحتجبن ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربهُ إن طلقكن ان يُبدِ لَهُ ازواجاً خيراً منكن ، فنزلت الآية كذلك» .

السبب الرابع : قال البيضاوي صفحة (٥٦٢) «قيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعَم ومعه بعض اصحابه. فاصابت يد رجلٍ يد عائشة ،فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك فنزلت الآية».

قلت: يُفهم من هذا ان المسلمين والمسلمات ، كانوا يجلسون في المجالس وعلى الموائد معاً

وقال الخازن صفحة (٦١٨) لم يكن لاحد بعد آية الحجاب ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة

قلت : أوَلم ينظر الناس بعد آية الحجاب الى سيدتنا عائشة، لما كانت على رأس الجيوش داخل المعمعة،حيث قطع كما يُروى على خطام جملها سبعون يداً ؟

اما سبب قوله تعالى « ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابداً »

قال الخازن والنسفي صفحة (٦١٨) ان طلحة بن عبد الله من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، اذا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحنَّ عائشة

وقال الطبرسي صفحة (٢٥٠) قيل ان رجلين قالا . اينكح محمد نساءنا لا ننكح نساءه، والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان احدهما يريد عائشة والآخر يريد ام سلمه . فاخبر الله ان ذلك محرم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته تطييباً لنفسه وتسريراً لقلبه واستفراغاً لشكره. فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته، حتى يتمنى لها الموت قبله، لئلا تنكح بعده

وقال النسفي والخازن صفحة (٦١٨) ان الضمير في سألتموهن لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه . انتهى .

✽✽✽

قلت: ان ثقات المفسرين والفقهاء متفقون على ان هاتين الآيتين خاصتان بنساء النبي دون غيرهن . وقد اختلف المفسرون في اسباب تنزيلهما على ما نقلت، فبيّن كلٌّ ما بلغه من الاخبار المرويّة، ولكن الاسباب التي ذكروها، مع اختلافها اختلافاً بيّناً، لا يخرج واحد منها عن ان يكون مختصاً بهن لا ينطبق على غيرهن، وفي نص الآيتين عينه، تصريحات بذلك جلية ، وهي «يا نساء النبي، بيوت النبي ، اهل البيت، وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله، ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً »

وقد صرح النسفي في تفسيره، انه لما نزلت الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت الآية «ان المسلمين والمسلمات . . . »

وقلت: لو عمت هاتان الآيتان المسلمات جميعهن، لما قالت نساء المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها، فما نزل فينا شيء، ولما نزلت حينئذ الآية « ان المسلمين والمسلمات ... »

وقلت: الا ترى الفرق بين الآيتين المنزلتين لنساء النبي، والآية المنزلة بعدهما للمسلمات ؟

وقلت: لم يذكر الله في آية المسلمات حجاباً ولا نقاباً، وان من القواعد الفقهية « لا ينسب الى ساكت قول »

وقلت: ان سيدنا عمر، ذلك الحكيم الذي كان يدرك ما في حجاب المسلمات جميعهن من العسر والضرر للامة، والذي دعا، بعد ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم، امرأته ام كلثوم لتأكل معه ومع رسول سلمة بن قيس، والذي له في نزول آية الحجاب اليد الطولى، ما قال رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم « احجب نساء المسلمات » وانما قال «احجب نساءك» فنزلت الآية

وقلت: لو كانت آية الحجاب نزلت عامة لجميع النساء، لما لزم انزال آية الغض من البصر، وضرب الخمر على الجيوب، وعدم ابداء الزينة الا ما ظهر منها

بناءً عليه، ان كل من يدعي ان الآيتين عامتان للنساء جميعاً مع ما فيهما من التصريحات الجلية، وبعد كل ما ذكر، فقد اراد ما لم يرده الله، واحدث عسراً لا يوافق مصلحة الامة، ولا يمكن معه السير الحق في طريق الحياة

فقد قال الخازن، كما مر، لم يكن لاحد بعد آية الحجاب ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة. فلو كان امر (قرن) من قرّ، وعمت آية الحجاب جميع النساء، وكان انه لا يجوز النظر اليهن ولو متنقبات، وانه لا يجوز نكاحهن بعد ازواجهن، لكان ما يحدث من خروج المتنقبات في المدن، وهن يملأن الاسواق والشوارع والمتنزهات، وغير المتنقبات في القرى، وهن يملأن الطرق والحقول، والنظر اليهن، ولكان ما يعقد من نكاح الارامل والمطلقات في كل مكان، من النكر والعصيان. ولندر معاذ الله في الاسلام، من لم يرتكب هذا المنكر

غير انه على افتراض القول، خلافاً للنص ولكل ما ذكر، ان آية الحجاب عامة المسلمات جميعاً، فحصل تردد في ان تكون عامة او خاصة، افليس من الواجب علينا، ان نقبل من الاقوال والتفاسير، ما يستوجب التيسير؟ وهل يجوز ان نحصر التيسير في نساء القرى، وحينما ينتهي الامر الى المدنيات، يُغلَب العسر على يسرين، خلافاً لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

❀❀❀

وقلت : يفهم من اقوال المفسرين التي ذكرتها ، ان اجتماع المسلمين والمسلمات، في المجالس، وعلى الموائد، كان امراً واقعاً . وبينما كان الحال على هذا المنوال امرت نساء النبي بالحجاب، ومنعن ان يجتمعن والرجال الامن وراء حجاب بامر الآية الخاصة بهن . اما نساء المسلمين عامة فلم تمنعهن من ذلك الآية الخاصة بهن ، وما نزل بعدها آية تمنع . ومن القواعد الفقهية (الاصل بقاء ما كان على ما كان) و (ما ثبت بزمان يحكم ببقائه ما لم يقم الدليل على خلافه)

وقلت : يدل على ذلك، ان امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه، لم يتردد في دعوته امرأته ام كلثوم ، بنت علي بن ابي طالب الى الاكل معه ومع رسول سلمة بن قيس

قال الطبري : بعث سَلَمَةُ بن قيس برجل من قومه يخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بواقعة حربية ، فلما وصل ذلك الرجل الى بيت عمر قال « فاستأذنت وسلمت فأذن لي، فدخلت عليه، فاذا هو جالس على مسح متكىء على وسادتين من أدم ، محشوتين ليفاً ، فنبذ اليّ باحداهما فجلست عليها ، واذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير فقال « يا ام كلثوم غداءنا » فاخرجت اليه خبزة بزيت، في عرضها ملح لم يدق ، فقال « يا ام كلثوم الا تخرجين الينا تأكلين معنا ؟ » .

فلو رأى سيدنا عمر رضي الله عنه، ان سفور الوجه، واجتماع الرجال والنساء، منهيٌّ عنهما، لما دعا امرأته لتأكل على المائدة معه ومع رسول سلمة وجاء في الاغاني والاتليدي، ومقدمة ابن خلدون، ان المدرسات كنّ

في اوائل عهد الدولة العباسية . ينشئن في منازلهن قاعات فسيحة ، يستدعين اليها الشعراء والعلماء والادباء ، وكنّ يتزاحمن في ذلك تزاحماً شديداً ، ويتنافسن تنافساً عظيماً ،فاكتسبن شهرة واسعة وصيتاً مجيداً ، ثم تحوّلت كل قاعة من تلك القاعات ،الى مدرسة جامعة ، كان يقصدها كل يوم عدد وافر من الشعراء والادباء والظرفاء ،للمناقشة في العلوم المختلفة

وكانت المرأة تستقبل الزائرين والزائرات ،دون فرق بين الجنسين وتحيي الليالي بالحفلات الادبية .

وجاء في كتاب (مركز المرأة في الاسلام) . للامير علي خان . وفي كتاب (حقوق المرأة في الاسلام) ، لاحمد آغا يف ، ان فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تلقي الدروس والمحاضرات، على ملا ممتزج من الرجال والنساء ، وان الشيخة شهده الملقبة بفخر النساء ،كانت في القرن الخامس للهجرة ،تلقي المحاضرات والدروس على الجمهور ،في جوامع بغداد ومدارسها ، في الآداب والتاريخ ،والتوحيد والفقه ، وكان يحضر محاضراتها كثير من اهل الفضل والعرفان ، ولها في تاريخ الاسلام ،ما لاعظم العلماء من سموّ المنزلة والاحترام . ومثلها ام الخير وام ابراهيم ، فقد كانتا تلقيان الدروس على طلبة العلم في بغداد ، ومثلهن ام سعد بنت عصام المعروفة بسعدونه ، كانت تقرئ الحديث والكلام في مدرسة قرطبه

وقال ابن خلكان ، وابن مصعب ما ملخصه : وكانت سكينة بنت الامام حسين ،وحفيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، من اجمل النساء واظرفهن ، واحسنهن اخلاقاً ، واوفرهن ذكاءً وعقلاً وادباً . واحدِهن

جناناً ، فاحرزت قصب السبق في مضمار الادب ، وكان لها تأثير عظيم في نفوس معاصريها ومعاصراتها ، فكانوا يحذون حذوها في جميع ما تضعه من الازياء والعادات ، حتى انها تفننت في ذلك ، ومما وضعته الطرة السكينية المعروفة باسمها الى يومنا هذا ، والطرة هي قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته في مقدمه ويقال لها (غرّة) ، وكانت تصفف جمتها (اي مجتمع شعر رأسها) تصفيفاً لم يُرَ احسن منه ، وشهرة سكينة لم تقتصر على الازياء ، بل تناولت الادب الرائع ، والمعارف الواسعة ، وحسن المحاضرة ، حتى اصبح منزلها كعبة القصّاد ، من المشترعين والشعراء والعلماء ، وحذا حذوها في ذلك كثير من نساء الطبقة العليا في ذلك العصر الزاهر ، وكانت سكينة تستقبل الزائرين الذين كانوا يتوافدون على منزلها ، من جميع انحاء الخلافة ، لاستماع محاضراتها ، وكانت زين المجلس بحسن ادبها ، ووفرة ذكائها ، وبالاسئلة التي كانت تطرحها على الادباء والشعراء ، وجلة القوم

وجاء في ابن الاثير وابن جبير ، والمسعودي ، والسيوطي ، والاغاني ، وحضارة الاسلام ، والدر المنثور ما ملخصه : ان جميع الاعمال المجيدة ، والافعال الحميدة ، التي اصطنعها المهدي ، وانشاء معاهد العلم التي اكسبته الشهرة الواسعة ، انها جميعها تنسب الى تأثير زوجته خيزران ، وتحريضها اياه على القيام بها ، وكانت الملكة خيزران تستقبل في دار الخلافة ، جميع العمال والحكام والعلماء والشعراء ، وقد تعلق بها الناس تعلقاً شديداً واتزلوها سويداء قلوبهم ، وان زبيدة زوجة هارون الرشيد ، والعباسة

اخته ، كانتا تحضران في مجلس الرشيد تحاضران العلماء والادباء ، وان قطر الندى زوجة الخليفة المعتضد وام المقتدر ، كانت تقابل في حضرة الوزراء وارباب المناصب . سفراء الدول الاجانب ، وكانت تجلس المظالم تنظر في رقاع الناس كل جمعه ، وكان القضاة والاعيان يحضرون مجالسها

وذكر الرحالة الشهير ابن بطوطه زيارته نساء سلاطين التتر المسلمات ، وشرح حال مجالسهن ومقابلتهن ، جميع اركان سلطنتهن ، وافراد تبعتهن ، الى ان قال عند زيارته احداهن (ايت كجك) (فلما دخلنا عليها امرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد . وجماعة الطلبة والمشايخ وقابلناهم بحضورها)

وانه لامر مشهور ان الامام الشافعي اخذ العلم عن نفيسه حفيدة علي بن ابي طالب ، زوجة اسحق بن جعفر الصادق رضي الله عنهما .

ان ما ذكرته ، وهو قليل من كثير ، لما يدل على ان المسلمات كن يبارين الرجال في الرقي ، وانهن داومن بعد الآيتين على الاجتماع والرجال ، ومما يدل ايضاً على ذلك ما قاله الامير علي القاضي المشار اليه اذ نشر مقالاً جليلاً موضوعه النساء ترجم للمقتطف جاء فيه : ان الذي امر بفصل النساء عن الرجال في الولائم والحفلات العمومية هو المتوكل « نيرون العرب » . ولكن ، بقيت النساء يختلطن بالرجال الى اواخر العصر السادس للهجرة ، وكن يقابلن الزوار ويعقدن مجالس الانس ويمضين الى الحروب لابسات الحديد ويساعدن اخوتهن وازواجهن في الدفاع ، عن المعاقل والقلاع .

ومما يدلنا على ذلك ايضاً ، ان نساء المسلمين سكان القرى ، المبتعدين

عن مظاهر المدنية – ودواعي التطور – والذين هم احفظ الناس للتقاليد الموروثة ، واشدُّهم تمسكاً بالعادات ، انهن يختلطن بالرجال ويجتمعن في الحقول والبيوت وفي مجالس المسامرات والحفلات وفي سائر المجتمعات

سادتي وسيداتي

ثبت مما تقدم ان اجتماع الرجال والنساء دام في الاسلام عصوراً ، وان آية الحجاب مختصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم .

ولكن بما ان بعض رجالنا يداومون على التمويه بالدين ظلما لنسائهم كما اعتادوا قائلين لهن خلافاً للنص الصريح ، ان امر « قرن » يعم النساء جميعاً فأرى من الواجب ان نبحث قليلاً إيقاظاً لاخواتي في امر « قرن » بفتح القاف وسكون الراء

ان المفسرين المشار اليهم فهموا من امر « قَرن » احد المعاني الثلاثة

الأول : « قَرن » امر لهن من قار يقار على وزن خفن ، فعل خاف يخاف ، ومعناه كما جاء في المعاجم مشى على اطراف قدميه لئلا تسمع صوتها ولنا ملءُ الحق ان نأخذ بقول المفسرين هذا لان المعنى الذي فيه طبيعي لا تكلف فيه، ومطابق تماماً لقواعد اللغة، وموافق للمصلحة ولارادته تعالى اليسر لا العسر . ويؤكد لنا هذا المعنى قوله تعالى « وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ » – اي كما قال البيضاوي – لتتقعقع خلاخيلهن فيعلم انهن ذوات خلاخيل فان ذلك يورث ميلاً في الرجال

الثاني : « قرن » من وقر يقر اي كن اهل وقار وسكون

انا نريد ان نأخذ بهذا المعنى فهو موافق كالاول . ولكن تعارضنا فيه قواعد اللغة لان الامر للنساء ليس « قَرن » — بفتح القاف وسكون الراء — من وقر يَقِر كوعد يَعِد بل « قِرن » بكسر القاف ، وهذا مخالف لما ورد في الآية على ما هو مشاهد في نسخ القرآن من الطبعات المختلفة زماناً ومكاناً .

المعنى الثالث « قَرْنَ » من قرّ يَقَرُّ اي ثبت وسكن وهو المعنى الذي يريده بعض رجالنا . ان هذا القول تعارضنا فيه قواعد اللغة كل المعارضة . فلو قلنا كما قال البيضاوي والنسفي ان الامر لنساء الرسول كان من فعل قرّ يَقرّ بكسر القاف، لوجب ان يكون الامر لهن « اقررن » ولو جوز حذف الراء الاولى تخفيفاً، والاحتفاظ بكسرتها فنقلت الى القاف كان لنا منها « إقرن » بكسر الهمزة والقاف . ولو استغني عن همزة الوصل لما كان لنا « قَرن » بفتح القاف بل « قِرن » بكسرها وهذا مخالف لورودها

وارانا في غنىً عن سلوك طرق الحذف والنقل والاستغناء، للوصول الى امر « قرن » من فعل قرّ يقرّ . دون بلوغ الغاية التي سلكوا من اجلها سبلاً وعرة لم تؤدِّ كما ترون اليها . فما أولانا بالاقتصار على اتباع الطريق السهل الواضح، الذي لا ينتهي بسالكه الا الى الحقيقة . وهي ان امر « قرن » من فعل قار يقار قوراً ، وزن خاف يخاف خوفاً ، ومعناه كما سبق بيانه ، « امشين في بيوتكن على اطراف اقدامكن، لئلا يسمع صوتها » . ان هذا المعنى لا محل للريبة في صحته . واما معنى « قَرن » من قرّ فهو مستوجب الريبة

بالنظر الى ما سبق. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ). واعيذ سادتي الرجال ان يكونوا مصداقاً لقوله تعالى (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِيًّا) اي يحرّفونه فيشرعون يقرأون (قرن) بكسر القاف، ليستخرجوا هذا المعنى الثالث الذي يريدونه للنساء ولا يريده الله لهن

ان الحقيقة، ياسادتي، واحده. اما قَرن بفتح القاف او قِرن بكسرها فان كانت بالفتح بطل معنى وقر وقرّ، وان كانت بالكسر بطل معنى قار ... فجمع المفسرين في لفظ قرن الواحد معنى وقر وقرّ مع معنى قار، كأنهم عدّوها مفتوحة القاف ومكسورتها في وقت واحد، ليس من الجائز ولا من الصواب، لانه من قبيل جمع النقيضين. على انه لا يمكن اعتبارها مكسورة القاف بعد ان ترى عيوننا ان طبعات القرآن المختلفة زماناً ومكاناً متفقة على فتحها

فلا يظننّ الرجال الذين يريدون ان تشمل آية الحجاب المسلمات جميعاً، ان امر (قَرن) الذي تبين معناه، ينفعهم بعدُ في قولهم: ان اصلح الامور لنساء المسلمين ولرجالهن، ان يقررن في بيوتهن ولا يخرجن من خدورهن إلا لقبورهن.

ومما يبدو لي، ان سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وقد امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نأخذ نصف ديننا عنها، قد آثرت المعنى الحقيقي، وهو المعنى الاول الذي قالوه، والا لما برحت بيتها متدخلة في مسألة الخلافة العظمى

ولما ترأست الحزب المعارض لعلي رضي الله عنه ، وحاربت مع الجيوش ، وخطبت في الناس تحملهم على الانضمام الى الحزب الذي كانت تؤيده . ومثلها ام عطية ، فقد غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كانت فيها تداوي الجرحى، وتقوم على المرضى . وان قبول النبي صلى الله عليه وسلم مثل ام عطية في غزواته، لدليل على ان معنى «قرن» في بيوتكن، ليس من قرّ يقرّ اي اثبتنَ في بيوتكن ولا تبرحنها .

لقد ابديت ما بدا لي يا سادتي في امر « قرن » الجليل . ولا ينبغي لنا ان يهولنا الوهم، فنحجر على عقولنا ان تفكر في ما قال القائلون ، وما فسر المفسرون ، وقد امرنا تعالى بتعقل آياته والتفكر فيها .

وان ما قد بحثت فيه، مسألة لغوية تتعلق بامورنا الحيوية . فحقنا في تعقّلها وتفهّمها وتفهيمها لا يقبل نزاعاً .

أنّى يمنع الرجل المرأة التعقلَ وعلمَ لسانها العربي ، وقد قال تعالى :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »

سادتي وسيداتي

ان المفسرين ما كانوا في تفسير (قرن) الا مخطئين .

وهل تظنون ان في الاسلام من لا يخطىء؟ لو كان كل مجتهد مصيباً لما اختلف المجتهدون . واية مسئلة في الشرع ليس فيها اقوال وفتاوى ومذاهب متنوعة مختلفة، او متناقضة مع ان الحق والصواب واحد؟ أيمكن ان تكون كلها مع تباينها صواباً؟ كلا . بل يمكن ان تكون كلها خطأ والحقيقة محتجبة .

فاذا رأينا خطأ بيناً مغايراً للمحسوس او للحقايق العلمية التي بلغت درجة البداهة، أعلينا ان نرضى بها ونغمض عيوننا، ونغلق قلوبنا، عن رؤية الصواب ومعرفته ؟ لاشك ان كلاً منكم ، ايها السادة والسيدات ، من اهل الفضل والعلم ، جوابه على هذا ، لا

ان ما قلته ايها السادة والسيدات لا بدّ لتأييده من البرهان ، ولا ريب ان كل نفس تشعر بظماء لاستقاء الحقيقة ، اني اذكر من شتيت اقوال المفسرين قليلاً من كثير يتعلق بعلم الارض ، اي الجغرافيا ، وبعلم التاريخ وبعلم الفلك . تلك علوم مادية مشتركة بين العالمين يجب اشتراكنا كلنا في تفهمها على الوجه الصحيح، ولا يجوز ان يستقل فيها المفسرون . اذكر في اول الامر الآيات الكريمة الآتية « وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (وفي قراءة ابن عامر وحمزه والكسائي وابي بكر حامية) وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ، ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا »

وهنا اجتزئ بما يأتي من اقوال المفسرين لهذه الآيات الكريمة ولم تكن اقوالهم متفقة، فذكر كل منهم روايات شتى « الصفحات الـ ٢٩٩ وما يليها من البيضاوي والـ ٢٧٥ وما يليها من الخازن والنسفي والـ ٨٨ وما يليها من الطبرسي »

« ان ذا القرنين اسمه اسكندر بن فيلفوس الرومي، لما مات ابوه جمع ملك الروم، ثم حضر الى ملوك العرب وقهرهم. ومضى حتى انتهى الى البحر الأخضر، ثم رجع الى مصر وبنى الأسكندرية وسماها باسمه. ثم دخل ارمينية وبنى السدود والأبواب، ثم استولى على ممالك الفرس والهند والصين، ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور، ومات فيها وكان عمره الفاً وثلاثين سنة

وقيل اسمه مرزبان بن مرزبة من اليونان، وقيل انه من حمير اسمه ابو كرب بن عبرين بن افريقين

ولتسميته ذا القرنين روايات شتى منها : قيل كان له قرنان تواريهما العمامة، وقيل انه امر قومه ان يتقوا الله فضربوه بالسيف على قرنه الأيمن فمات فاحياه الله، ثم بعثه فامرهم ان يتقوا الله فضربوه بالسيف على قرنه

الأيسر فمات فاحياه الله، فسمي ذا القرنين. وزاد على ذلك صاحب مجمع البحرين ان ذا القرنين بقي بعد الضربة الاولى ميتاً خمسمائة عام ثم بعث، وبقي بعد الضربة الثانية خمسمائة عام ثم بعث، وقيل رأى في منامه انه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فسموه ذا القرنين، وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي فسمي بذلك

وقالوا ان السدين الذين بناهما ذو القرنين هما وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط، وقيل انهما وراء دربند وخراسان من ناحية ارمينية واذربجان، وقيل في اواخر الشمال في منقطع اراضي الترك

وقيل ان الواثق بعث من يثق به من اتباعه ليعاينوا السد فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوه قائلين ان بناءه من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل

وقالوا ان ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط خمسون ذراعاً وان البعد بين السدين مائة فرسخ

وقالوا ان وراء هذين السدين من ولد آدم امتين هما ياجوج وماجوج منهم الترك، وان ولد آدم كلهم جزء وهم عشرة اجزاء، وانهم متصلون بنا من جهة الاب ادم دون الأم حواء، وان كل امة منهما اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح. وهم ثلاثة اصناف، صنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعاً، وصنف منهم عرضه وطوله سواء مائة وعشرون ذراعاً، وصنف منهم يفترش احدهم

اذنه ويلتحف بالأخرى وهم لا يمرّون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه، وان من امتي ياجوج وماجوج صنفاً قصيراً جداً، طول الواحد منهم شبر واحد

وقالوا في الصفحة الـ ٢٩٦ من البيضاوي وفي الصفحة الـ ٢٦٩ من الخازن والنسفي في تفسير آية « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا » ان مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس وبحر الروم مما يلي المشرق

وقال الطبرسي في الصفحة الـ ٣٧٢ في تفسير آية « وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ » اي ذات الحسن والزينة عن علي رضي الله عنه. وروى علي ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن قال: قلت له اخبرني عن قوله تعالى « والسماء ذات الحبك » فقال محبوكة الى الارض، وشبك بين اصابعه، فقلت كيف تكون محبوكة والله تعالى يقول رفع السماء بغير عمد؟ فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها؟ قلت بلى قال ثمّ عمد ولكن لا ترى، فقلت كيف ذلك جعلني الله فداك؟ قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا، والسماء الدنيا فوقها قبة، والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة، والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة، ثم هكذا الى الارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة. قلت فما تحتنا الا ارض واحدة. قال وما تحتنا الا ارض واحدة. وان الست لفوقنا

وقال البيضاوي في الصفحة الـ٥٨٥ في تفسير آية « وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ » اي لحد معين ينتهي اليه دورها. والمنتهى مقدَّر لكل يوم من المشارق والمغارب . فان لها اي للشمس في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الا الى العام القابل .

وقال الخازن والنسفي في الصفحة الـ٢٧٦ والطبرسي في الصفحة الـ٨٩ نقلا عن التوراة ان الشمس تغرب في ماء وطين اسود . وقال الطبرسي تغرب في عين حمئة اي في ماء وطين اسود منتن . وقال النسفي وعند العين المذكورة مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال انها لجاسوس واسمها بالسريانية حريحصا . وقالوا ان لباس القوم هناك جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر .

وقال الخازن في تفسير «ولم نجعل لهم من دونها ستراً» ان القوم الذين وجدهم ذو القرنين في مطلع الشمس لا يثبت على ارضهم بناء ولا ينبت فيها شجر وانهم اذا طلعت الشمس يغورون في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم . وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احد اذنيه ويلتحف بالأخرى . وقيل انهم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون ياجوج وماجوج .

وقال الطبرسي في الصفحة الـ٢٧٣ ان الشمس ابطأ من القمر جرياً

فانها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطع منازله بشهر واحد . انتهت اقوال المفسرين

سادتي وسيداتي

لقد سمعتم ما قال المفسرون مما يتعلق بالجغرافيا والتاريخ والفلك

فاقول في دوري : ان بحر فارس وبحر الروم لا يلتقيان، فقد كان يجب على المفسرين الكرام ان يذكروا بحرين يلتقيان .

واقول ، ان اسكندر ذا القرنين . كتب تاريخه معاصروه ومرافقوه فقد ولد في سنة (٣٥٦) ومات قبل ان يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره في سنة (٣٢٣) قبل المسيح . ولم يعش الفاً وثلاثين سنة ولم ينقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي كما قالوا .

واقول، ان قتل الاسكندر مرتين، وقيامه من الموت مرتين، لمن الامور التي كان لابد لمؤرخيه ولاسيما معاصريه ، من تدوينها لو كانت من الحقائق التاريخية . وهذا كتاب الله بين ايدينا فهل ذكر ذلك ؟ انه لم يذكره ولم يلمح اليه تلميحا .

واقول، ان ارمينيا واذربيجان وخراسان يعرفها اهل هذا الزمان كما يعرفون بلادهم . وهكذا بلاد الترك وما وراء بحر الروم، فليس هناك سد كما ذكروا . واما السد الكبير المعروف بسد الاسكندر في الصين فليس بناؤه كما قالوا ، وهو بعيد من كل وجه عن وصفهم .

واقول ، لو كان اتباع الواثق الذين فوّض اليهم امر معاينة السد

وصلوا اليه وشاهدوه كما قالوا . لامكن المفسرين ان يجمعوا على مكانه من الارض .

واقول، ان ما وراء السد المذكور، اضحى ايضاً معروفاً بما فيه من بر وبحر، وانسان وحيوان ونبات،كسائر اقطار الكرة الارضية . فليس في ما وراء السد ولا في الكرة الارضية كلها، قوم طول كل واحد منهم وعرضه مائة وعشرون ذراعاً ، اوطول كل واحد منهم شبر واحد، او من يفترش اذنه ويلتحف بالأخرى ، وليس في جهةٍ من الارض قوم يغورون في المياه متى طلعت الشمس، ويخرجون منها متى ارتفعت فيرعون كالبهائم .

واقول، لو ادرك المفسرون الحقيقة، لقالوا في اصل ذي القرنين قولاً واحداً . إما اليونان او حمير، وان الفرق لعظيم بين ان يكون ذو القرنين اسكندر بن فيلفوس . او مزربان بن مرزبه من اليونان . وان يكون ابا كرب بن عبرين بن افريقين من حمير.

واقول ان الافلاك اضحت بفضل العلم الحديث معروفة بما فيها فليس للسماء جرم وليس لها عمد، وليست محبوكة بالارض او مشبكة كالتشبيك بين اصابع اليدين وليس فوقنا ست ارضين مبسوطة فوق سمائنا الواحدة فوق سماء الاخرى ، على الوجه الذي ذكروا .

واقول ان الأولى بنا ان نفهم من تعدد الارضين ، كما فهم كثير من المحققين في العصر الحاضر، معنى السيارات التي إن هي الا ارضون او كرات سابحة في الفضاء كالأرض او الكرة التي نحن عليها .

واقول لو اكتفى المفسرون بتفسير «ذات الحبك» بما روي عن علي رضي الله عنه انها ذات الحسن والزينة لكان اولى .

واقول ان الشمس ثابتة في مستقرها وانما تدور على نفسها ولا تبين للعين شارقة او غاربة الا بسبب دوران الارض على نفسها ومتى غابت الشمس عنا تشرق كما تعلمون على اميركا ثم تغيب عنهم وتشرق علينا فلا تغرب اذاً في ماء وطين اسود منتن كما ذكروا .

واقول ان الكرة الارضية كلها قد كشفت فليس فيها عند مغرب الشمس مدينة لها اثنا عشر الف باب اسمها بالسريانية حرجيصا ، وليس عند مطلع الشمس مدينة اخرى اسمها جابلق او مرقيسيا .

واقول ان السريان القدماء كانوا في بلادنا ولا تزال منهم بقية فلا وجه لتسمية المدينتين المذكورتين بالسريانية .

واقول ان الشمس لا تدور حول الأرض كما يدور القمر بل ان القمر يدور حول الارض والارض تدور حول الشمس كما لا يخفى .

واقول ان السنة الشمسية ليست ثلاثمائة وستين يوماً كما ذكروا بل هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وخمس ساعات وتسع واربعون دقيقة وبعض ثوانٍ .

❀❀❀

واقول ان كل ما قالوا مما ذكرت لم يقله الله في اياته ولكنهم قالوه هم ونقلوه عن اخبار شتى ورواة مختلفين متناقضين في الرواية .

واقول ان المفسرين لم يتفقوا في التفسير ولم يجزموا امراً ولم يقطعوا بأمر في كل ما نقلت ، وجل ما استندوا اليـه في ذلك تخيلات وروايات من قيل وقال مختلفة .

واقول بالنظر الى عدم جزمهم وعدم اجماعهم والى اختلاف اقوالهم ان كل باحث في ذلك يحار عقله فيرتد الى مطلع الهدى ومنبثق النور الكتاب والسنة .

واقول لو قلدتُ باعتقادي قولاً من اقوالهم المذكورة لرأيتني في خطيئة امام الله اذ انه لا دليل ولا حجة لاعتقاد ذاك القول مع منافاته للحقائق العلية والمحسوس . وقـد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلىَ مالاَ يَرِيبُكَ »

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه «ما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه» .

وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول «اذا رايتم كلامي يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط» .

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه ، اذا سمع من احد الصحابـة قولاً متعلقاً بالدين ، يضع يده على قبضة سيفه ويقول «هات الدليل» وما ذلك الا حرصاً منه على صيانة الدين من ادخال ما ليس منه فيه .

واقول ان من القواعد الشرعية «لا عبرة للظن البين خطاؤه» .

قال الشيخ محمد بدرالدين النعساني «جردت الكتب المولفة في الدين

من اصول الدين وسننه ومحاسنه وحشيت من الخرافات والاكاذيب والاحاديث الموضوعة المفتراة على صاحب الشريعة . »

واقول بما ان الحمل على الحقيقة متعذر مادياً بالنظر الى ما ذكرت كان من الواجب على اعلام التفسير ان يحملوا على معنى الكناية والمجاز بعض الفاظ الآيات التي ذكرت، وان لا يهملوا العمل بالحقيقة متى امكنت وان يكتفوا ببيان المعنى المعقول الذي لا ينافيه العلم والمحسوس. مثلاً لما فسروا « وجدها تغرب في عين حمئة او حامية» قالوا عين حمئة اي ذات حماة من حمئت البئر اي صارت ذات حمأة اي الطينة السوداء . وقالوا نقلاً عن التوراة انها تغرب في ماء وطين اسود منتن . مع انه ليس في التوراة التي في الايدي شيء من هذا ، واما الاخرى فاين هي لينقل عنها هذا القول غير المعقول ؟ فعوضاً عن هذا كان عليهم ان يكتفوا بمفهوم من مزيج اقوال بعضهم وهو ان ذا القرنين لما بلغ ساحل المحيط ولم يكن في مطمح بصره غير الماء وجد الشمس اي تراءى له كأنها تغرب فيها مع انها تغرب وراءها لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء .

واقول ان المياه التي يتراءى لنا ان الشمس تغرب وراءها على خط الاستواء هي حامية اي حارة بخلاف مياه المناطق الباردة المتجلدة حول القطبين ومياه المناطق المعتدلة .

من يعلم انه لم يُشر الله تعالى بقوله «وجد عندها قوماً ووجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً» الى اقوام اميركا الاصليين من

الجنس الاحمر الذين هم وراء الغرب والشرق في النصف الثاني من الكرة الارضية ؟

من يعلم ان الله لم يرد بذلك ان يهدينا الى ما هنالك لكشفه ؟

اجل ان السبب هو الطريق ، واي طريق موصل من الغرب الى الشرق غير الطريق الذي يمرّ حول النصف الثاني من الكرة الارضية مجتازاً اميركا ؟

الله اكبر لا اله الا هو . انه ارانا بكل صراحة ووضوح ان من الغرب الى الشرق طريقاً حول النصف الثاني من الكرة وان على تلك الطريق اقواماً تشرق عليهم الشمس متى غربت عنا . ياليتنا اهتدينا فسلكنا تلك الطريق قبل ان سلكها كريستوف قولومب

يا ليتنا اهتدينا فذهبنا وكشفنا ورأينا محققين كلام الله لنكتب عن علم في تفسيره بدلاً من ان نصف اولئك الاقوام ومدنهم وشكل معيشتهم بالخيال اشكالاً غريبة . ذلك شأننا في كثير من الامور . نعم لو دققنا في حقائق كلام الله واهتدينا لسبقنا غيرنا من الامم في كشف الكرة الارضية كلها

لننظر الى ما يفعل الغربيون لكشف الحقائق ولنعتبر

فكم عالم منهم محقق ضحّى في العصور الاخيرة بنفسه عامداً الى مجاهل الكرة بكشف معاميها ، حتى انه لم يبقَ في الكرة الا مجهولان فقط ، هما القطبان ، وكم منهم من اقتحم ومن يقتحم اخطار الموت سواء في البحر

او في البر او في الفضاء، هازئاً بالطبيعة وقواتها الهائلة، هازئاً بالعواصف، بالاعاصير، بالبحور المتجمدة، وبالجبال والقفار المروعة، حيث البرد القارس المميت، حيث كل شيء جليد، حيث يسود الظلام النصف من كل عام. يموت الواحد منهم فيقتفي اثره الآخر، وتهلك جماعة فيكمل عملها جماعة غيرها، ذلك كله لجلاء الحقائق وانارة العالم اجمع. وكم من حقيقة جلوا، وكم من عالم اناروا. هكذا يأمر الكتاب ان يفعل. ففعلوا هم. اما نحن فكل ما فعلناه أنا تخيلنا كل ما اردنا فقلناه. فكنا عرضة للنقد ومضغة في افواه غيرنا ظناً منهم ان ما قاله بعض المفسرين، قد جاء به الكتاب، انهم في ظنهم على ضلال مبين. فليس في الكتاب شيء غير الحقيقة والامر بتحقيقها واتباعها

ايها القائلون ان الاسلام مانع الترقي، ارجعوا عن قولكم، فان دين الاسلام الحق، لفي الكتاب والسنة، وقد رأيتم ان الكتاب قد اوانا بكل صراحة ووضوح، قبل ان كشفتم وقبل ان رأيتم، ان من الغرب الى الشرق طريقاً حول النصف الثاني من الكرة، وان على ذاك الطريق اقواماً تشرق عليهم الشمس متى غربت عنا. هذا ما يريناه ديننا. وليس ما عدا ذلك مما يتعلق بالامر الذي نحن فيه، الا اقاويل واباطيل.

ان القرآن لمصباحُ الهدى، ومنارُ الحكمة، ودليلُ المعرفة، هو الفصل ليس بالهزل، ظاهرُه حكم، وباطنه علم، ظاهرُه انيق، وباطنه عميق، والتفكر في آياته حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور

فكم في القرآن من انوار هدى للعالم الحديث، لم يستنر بها المتقدمون الذين عمّت عندهم الروايات وغلب عليهم الخيال فاستغنوا به عن الحقيقة

قلت، كان من الواجب ان يحملوا على معنى الكناية والمجاز بعض الفاظ الآيات. نعم، فان المجاز والكناية من صفات الكلام العالي والأنشاء البليغ، وان آيات الله تعالى لمظهر المعجزات في البيان. وازيد على ذلك انه كان من الواجب ان لا ينتهي بهم الامر في التفسير الى قول ما قالوا او ما رووا عن وجود اشياء وعوالم على الارض، مادية محسوسة، لو فتش الناس عنها في ما عينوا وعين لها الرواة من المواقع — وقد اضحى في استطاعة الناس الوصول الى حيث شاؤا من الارض — لما وجدوا تلك الاشياء والعوالم ولا وجدوا لها اثراً

ان الرواية هي خبر يحتمل عدم الصحة فلا يجوز الاستناد اليه والاتكال عليه الا بعد تحقيقه، وان الامور المادية تحقق بالحواس فهل فعل ذلك المفسرون؟ «أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ؟» انهم قالوا: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ». وجاء في الحديث «حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَقُولُوا مَا يَعْلَمُونَ وَيَقِفُوا عِنْدَ مَا لَا يَعْلَمُونَ»

ان حد تفسير الكلام، أن لا يعني الا استخراج المعاني من الفاظ الكلام وعباراته عينها، وما زاد على ذلك فهو خروج عنه واحداث وتغيير

لا تفسير . من اجل ذلك ليس علينا ان نعتقد صحة ما ليس مستخرجاً في التفسير من كلام الله نفسه سبحانه وتعالى لا شريك له. ان كلام الله الحق عينه . اما الاخبار والروايات فنقبل منها ما هو محقق ومثبت فحسب تبعاً للقاعدة المرعية عند الائمة « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي » والله حسبنا ونعم الوكيل

واقول، ليس لكل ما ذكرت من اقوال المفسرين وجه في الآيات كان يمكنهم ان ينظروا اليه في استنادهم ، اللهم الا مسألة دوران الشمس فقد كان قبل علم الحقيقة عذر لمن يخطىء فيها ، ولا بدع ان يخطئوا فقد كان على هذا الخطأ العالم اجمع ، وهكذا كانوا يفهمون ما قالت التوراة عن الشمس ويشوع بن نون

اما الآن وقد ظهرت الحقيقة لذي عينين فمن يدقق في آية « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » ير ان آية الله والعلم متفقان، وانا لم نكن في تفهم هذه الآية الا مخطئين . ولو اقرت تفاسير المفسرين الشمس في مستقرها ، بدلاً من ان تقر المرأة في بيتها . لما كانوا الا مصيبين

واني لاشكر حضرة السيد هبة الله الشهرستاني ، على تأليفه كتاب (الهيئة والاسلام) باحثاً في استخراج مسائل الهيئة الجديدة ، اي مسائل علم الفلك من ظواهر الكتاب والسنة ، باذلاً كما ذكر الجهد البليغ في ترويج العقائد، وتنقيحها عن الاباطيل والزوائد . فان السيد المشار اليه قد اثبت فيما اثبت، ان الله تعالى لم يقل في آياته بدوران الشمس حول الارض

وان اللام في «ومستقر لها»، بمعنى (في) كما في قوله تعالى « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» وقوله تعالى « لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ » فيكون معنى الآية كما هو الواقع ان الشمس تدور على نفسها في مستقرها

وقد بحث السيد المشار اليه في امور كثيرة، منها ما يُروى عن خلق الارض على الحوت او على قرني الثور ، وعن جبل قاف المحيط بالارض انه سبعون ارضاً من ذهب ، وسبعون ارضاً من فضه ، وسبعون ارضاً من مسك ، وطول كل ارض مسير عشرة آلاف سنة . وانتقد اقوال المفسرين انتقاداً شديداً

وهنا الحظ يا سادتي وسيداتي، ان المعنى الذي ذكره الشهرستاني في تفسير آية « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » ذكره قبله السيد العلامة محمد حسين المرعبي . وقد اتصل بي ان ذهني افندي احد علماء الاستانة قال به وهو يدرّس تلامذته في مكتب الملكيه، وذكر بين الادلة الفرقانية على دوران الارض قوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ » وقد حُسب ذلك للاستاذ الجليل تفسيراً جليلاً ، اذ صان قلوب تلامذته من خلل الايمان فكبّروا لقوله تعالى تكبيراً

وهنا لا بد لي من القول ان شكري للشهرستاني انما كان على فتحه باباً جديداً للتجدد ولا يتضمن قبولي كل رأي رآه . ولكل رأيه

⊛⊛⊛

سادتي وسيداتي

لا بد لي من القول انه لا يجوز في عصرٍ قد ظهرت فيه الحقائق مرئية ملموسة ، قبول مثل المعلومات الجغرافية والتاريخية والفلكية التي هي بعض ما جاء به المفسرون ورواه الراوون . وكم لهم من مثل تلك المعلومات الفتة في غير ما ذكرت من العلوم ، وارى من الواجب على علماء العصر المسلمين، الذين اطلعوا على الحقائق الظاهرة في العصور الاخيرة، ان يأتوا بتفاسير جديدة توافق كلام الله في آياته. ولا تناقضها حقائق العلم الحديث ، صوناً للمسلمين كافة — ولا سيما الذين يطلعون على الحقائق العلمية — من خللٍ في ايمانهم ، وصداً للناقدين عما يسندون الينا فيما يسندون، فحقائق العلم الحديث كلها حقائق في القرآن، وانما ارى ان تفسير المفسرين الذي نقلته والحقائق العلمية ضدان لا يتفقان . فكم في القرآن من انوار هدى للعلم الحديث، لم يستنر بها المفسرون المتقدمون، الذين عمت عندهم الروايات، وغلب عليهم الخيال وتغلبت العادات . فاستغنوا بذلك عن الحقيقة وعن واجب التطور

بناءً عليه رأيت ان اقترح على امتي ما يأتي فاقول :

بما ان آيات القرآن لم تقتصر على الامور الدينية بل تناولت اجزاءً من العلوم والفنون الدنيوية بانواعها : اشتراعية ، واجتماعية ، وسياسية ، وطبية ، وفلكية ، وطبيعية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وغيرها

وبما ان فيها كثيراً مما يحتاج الى التفسير والتأويل

وبما انه يتعذر على الانسان ان يلمّ بتفرعات العلوم والفنون على انواعها

وبما ان الترقيات الحاضرة ليست الا وليدة الاختصاص

وبما ان كل مفسر للقرآن في القدم عد نفسه متفقها في الدين، مشترعاً، وطبيباً، ولغوياً، وطبيعياً، وفلكياً، ورياضياً، وتاريخياً، واجتماعياً، وسياسياً، وجغرافياً، او جامعة لانواع العلوم والفنون، فجال فيها كلها مستقلاً او مستبداً برأيه، مع انه لم يكن جامعة حقاً ولا يتسنّى ذلك لأحد

وبما انه من الامور الخطرة ان يبدي الأنسان رأيه في علم او فن لم يعرفه ولم يكتسب به اختصاصاً

وبما ان العلوم الدنيوية كانت قاصرة في ذلك الزمان، وكان المفسرون يكتفون للتفسير بعلم النحو وعلم الكلام واصول الفقه وما شاكل من العلوم التي لا تؤهلهم الى كشف اسرار العلوم الدنيوية التي ذكرت

وبما انه ظهر في العصور الاخيرة حقائق كانت مجهولة من قبل ومخترعات ومكتشفات كثيرة اظهرت تلك الحقائق، وانتجت ترقي العلم والفن ترقياً عظيماً لم يكن مثله من قبل

وبما ان التفاسير القديمة كثيراً ما بدلت من حقائق القرآن، الخرافات والاباطيل، وكثيراً ما ذكر ذلك علماؤنا العصريون فنقلت لكم بعض اقوالهم.

وبناء على ما تقدم، ارى من الواجب ان تؤلف لجنة لتفسير القرآن من اجلة الفقهاء العصريين، وعلماء الاجتماع والاخلاق، واولي الاختصاص في العلوم والفنون المتنوعة، يشتغل كل منهم مجتهداً ضمن دائرة اختصاصه،

متعاونين في استخراج الجواهر المكنونة في ذلك الكتاب الكريم ، فنرى حينئذ بين ايدينا تفسيراً جليلاً ، منه يرى العلم والفن هدىً ودليلاً ، والعالم والامة خيراً كثيراً ، ويمسي سهم الانتقاد على الاسلام كسيراً .

سادتي وسيداتي

انتهينا من التفسير المتعلق بالجغرافيا والتاريخ والفلك ، وقد ساقنا البحث الى سلوك طريقه تفتيحاً للعيون ، وتنويراً للقلوب . فما علينا الآن الا ان نرجع الى المحور من موضوعنا، اعني الآيتين اللتين كان بعض تفاسيرهما، مما القى على وجه المرأة المسكينة ذلك النقاب . وهما ، الآية الثلاثون من سورة النور والآية التاسعة والخمسون من سورة الاحزاب. فالآية من سورة النور قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ..وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ.. وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ... وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ

والآية من سورة الاحزاب « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ »

قال النسفي في الصفحة (٦٢١) في تفسير « ويدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يُعرفن فلا يؤذين » « وذلك ان النساء في اول

الاسلام،على هجيراهن في الجاهلية .كن متبذلات، تبرز المرأة في درع وخمار، لا فصل بين الحرة والامـة ، وكان الفتيـان يتعرضون ان خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء ، وربما تعرضوا للحرة لحسبان الامة ، فامرن ان يخالفنهن بزيهن عن زي الاماء بلبس الجلابيب ، ذلـك اجدر ان يُعرفن فلا يتعرض لهن »

قلت : ان بيان النسفي ، لا يثبت للاقدمين اخلاقاً احسن من اخلاق رجالنا ونسائنا ،

وقلت : بالنظر الى هذا البيان . يفهم ان القصد ، لم يكن ستر هذا العضو ، او ستر ذاك ، بل كان اختيار زي للحرائر ليعرفن به من الاماء اذا خرجن في الليل الى النخيل والغيطان ، فلا يتعرض لهن الفتيان

وقلت : يؤكد هـذا القصد ما ذكره الخازن عن انس بن مالك ،أن جارية متشبهة بالحرائر مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنـه فقال لهـا : يا لكاع اتتشبهين بالحرائر ؟ وعلاها بالدرة اي بالسوط منعاً لها عن ذلك .

وقلت : يا ليت سيدنا عمر رضي الله عنه ، علا بالدرة الرجال، الذين كانوا يتعرضون للنساء ليلاً ، لما كن يخرجن للغيطان مضطرات ، بدلاً من انه علا بها تلك المسكينة ، التي ارادت ان تحفظ نفسها بشكل ملبسها من التعرض . ولعل في ذلك حكمة تخفى على مثلي

وقلت : يا ليت سيدنا عمر يبعث اليوم حيا ، فيفرق السافلات عن

الحرائر بالملبس ، ويعلو بالدرة كل سافلة خلقاً تتشبه بهن، ليُعرف كل من الصنفين بزيه ، فلا يلتبس الامر بهذا النقاب .

وقلت : يظهر انه لم يكن من حاجة الى الجلباب ، الا في الليل، لتعرف المرأة منه . ان وجهها في النهار اكثر تعريفاً لها من ادناء الجلباب .

وقلت: اختلف المفسرون في الجلباب : فمنهم من قال الجلباب كسرداب القميص ، ومن قال رداء تغطي المرأة به ثيابها ، ومن قال : ثوب واسع دون الرداء ، ومن قال الملحفة ، ومن قال ثوب واسع دون الملحفة ، وكيف كان الجلباب فليكن . قميصاً او رداء او ملحفة ، فان القصد من ادنائه في الليل، وقاية النساء من اهل الريبة، متى خرجن لقضاء حوائجهن الى النخيل والغيطان . فان كان الجلباب قميصاً او رداء ، فلا يمكن ان يغطين بالادناء منه الوجه ، بل يغطين الصدر الذي كان مكشوفاً ، وان كان ملحفة وغطي به الوجه، وقعت النساء بما يحدثه من العسر في محذورين: الاول عدم رؤيتهن طريقهن، والثاني في عدم رؤيتهن اهل الريبة من بعيد. فقد تسوقهن طريقهن اليهم . وخير ان يرينهم من بعيد فلا يقربن منهم ، بل يبتعدن ابتعاداً ، لانهم كانوا على ما يظهر يسرحون في الليل وراء فريسة من الاماء، كانهم ذئاب ، خسئوا ، ويا ليتهم قبل ان يسرحوا كانوا فريسة التراب، انهم فاسقون ، وفسقهم سبب الاسباب، للتفاسير المتناقضة التي نقراء ، وللبلاء الدائم بالذئب او النقاب .

وقال النسفي ايضاً في الصفحة (٤٢٦) في تفسير « ولا يبدين

زينتهن » « ان مواضع الزينة الرأس ، والاذن ، والعنق ، والصدر ، والعضدان ، والذراع ، والساق . فهي للاكليل ، والقرط ، والقلادة ، والوشاح ، والدملج ، والاسوار ، والخلخال » .

وقال في الصفحة نفسها في تفسير « الا ما ظهر منها » اي « الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره ، وهو الوجه ، والكفان ، والقدمان ، ففي سترها حرج بيّن ، فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ، ومن الحاجة الى كشف وجهها ، وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها ، فيجوز النظر الى وجه الاجنبيه وكفيها وقدميها . »

قلت : اذا نظرنا الى هذه الآية لا الى روحها كما سيأتي ، فان هذا القول لقول وجيه ، فهذه الاعضاء اقل ما يلزم ظهوره من المرأة . ويُوسّع في الظهور بحسب الضرورة والعادة .

وقال في تفسير (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) « كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن ، وكنّ يسدلن الخمر من ورائهن ، فتبقى مكشوفة ، فأُمرنَ ان يسدلنها من قدامهن . »

قلت : كان ينبغي للنسفي ان لا يغير العبارة من كلام الله تعالى وليس فيه ما يقتضي تفسيراً ، الا كلمة « جيوبهن » ، لان الجيوب ومواضعها تغيرت بتغير الازياء ، فقد كانت في الصدور ، واما الآن فليس لها موضع متعارف . فالاكتفا بتفسير معنى الجيوب ، وابقاء كلام الله تعالى على ما هو ، (خيرٌ وأحسَنُ تأويلاً) . ان التفسير يكون بالايضاح لا بالتغيير ، ولكن النسفي

غير كلامه تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) فقال مفسراً ، اي يسدلن الخمر من قدامهن ، لا من ورائهن . وشتان بين العبارتين .

ان الضرب بالخمر على الجيوب اي الصدور ، يقع بان تأخذ المرأة الطرف الايمن من خمارها المنسدل من ورائها على جنبيها ، فتضرب به على كتفها الايسر ، فيغطي صدرها ، وذلك مشهود في ما تفعل القرويات حتى اليوم .

فلما قال النسفي ما قال ، والناس في المدن ميالون الى كل ما فيه تعسير وتضييق على المرأة ، اتبعوا قول النسفي ، مهملين النظر في كلام الله تعالى ، اذ ان الفقهاء عودوا الناس ان يأخذوا الحقائق الدينية منهم لا من اصولها . فسدلت نساء المدن الخمر من قدامهن ، لتغطية صدورهن ، فتغطت وجوههن وما فيها من الحواس والقوى ، على الطريق المؤدي الى الصدر . ولكنهن لم يسدلن الخمر من قدامهن ، الا انكشف الوراء من رؤوسهن ، وبانت شعورهن ، فضاع الغرض الاصلي من وضع الخمر ، ولم تكن الملاءة في ذلك الحين ، الا من الحصر فما دون ، وما زال يلبسها على هذا الشكل بعض القرويات ، اللواتي يلبسن الخمر ويضربن بها ، وفقاً لقوله تعالى ، على الصدور لتغطيتها . وتسمى الملاءة عندهن ساية ، كما يسمى الخمار منديلاً . والاسمان من التركية عن اصل فارسي ، وبما ان الحال في المدن ، اقتضت تغطية ما اصبح مكشوفاً من وراء الرأس ، تسربلت المرأة بذلك السربال ، اي الازار ذا الجناحين الطويلين ، اللذين يوقعانها في الارتباك عند كل

عمل . وكان ذلك كافة لم يأمر بها الله ، ولم يستوجبها الا تصرف النسفي وغيره بكلامه تعالى ، تصرفاً كان الناس في غنىً عنه . ان قلم النسفي تسارع في خط عبارة لم يتبصر في حقيقتها ، ولم يستشرف نتيجتها . فلو اراد الله تعالى ان يسدلن الخمر من قدامهن ، او لو اراد سبحانه ان يضربن بها على وجوههن ، لصرح بذلك تصريحاً ، ثم ان الخمر انما وضعت لتغطية الرؤوس ، فلو اراد الله تعالى ان يغير وضعها فيجعلها غطاءً للوجوه كما فعلت المدنيات تبعاً لقول النسفي ، لبيّن سبحانه ذلك تبييناً

وقال الخازن في الصفحة الـ٤٢٧ « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » اي على موضع الجيب وهو النحر اي اعلى الصدر . واما الطبرسي وغيره فقالوا . موضع الجيب الصدر لا النحر ، وقد كنّي عن الصدور بالجيوب ، لانها ملبوسة عليها .

وقال النسفي في الصفحة نفسها « يسترن بالخمر شعورهن واعناقهن واقراطهن وصدورهن »

قلت ان الضرب فعلاً بالخمار على الصدر ، وهو منسدل على الجانبين ، كما تفعل المسلمات في القرى . لا يغطي كما نرى مقدم الشعر والعنق ، واما الوجه فلا يغطيه ابداً

وقال في الصفحة ٤٢٧ (لا يبدين زينتهن) « يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين »

وقال في الصفحتين ٤٢٦ و٤٢٧ والمستثنى بقوله (الا ما ظهر منها)

الوجه والكفان عن سعيد بن جبير والضحاك والوزاعي »

وقال في الصفحة نفسها (الاما ظهر منها) اي الثياب نقلاً عن ابن مسعود .

قلت: ان قول ابن مسعود ، ولا اعلم كيف استخرجه ، لاشيء فيه يشير الى ستر الوجـه ، لان الثياب لا تلبس عليه ، وقلت لاحاجة للبس الجلباب فوق ثياب تستر الصدر ، فالقرويات اللواتي يسفرن ولا يلبسن الجلباب فوق ثيابهن ، لسن بمخالفات للدين

وقال في الصفحة نفسهـا (الاما ظهر منهـا) الكحل والخضاب والخاتم في الكف نقلاً عن ابن عباس . »

وقال في الصفحة٦٢١ نقلاً عن ابن عباس نفسه : امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ، ووجوههن بالجلابيب ، الا عيناً واحـدة ليعلم انهن حرائر .

قلت : ان كل هـذه الاقوال متناقضة . كما لا يخفى على كل متأمل. وان نقل الخازن هنا عن ابن عبـاس ، مناقض لمـا نقله هو نفسه كما يفهم مما ذكرت ، ومناقض لما قاله الطبرسي عن ابن عباس نفسه وسيأتي ، ولا يخفى ان من القواعد الفقهية (لا حجة مع التناقض)

وقلت : ان ما روي عن ابن عباس بستر الوجوه بالجلابيب الا عيناً واحدة ، قول عنديّ لا ارى ان استخراجه من كلام الله ممكن. وهو قول لم يقبله من المسلمين الا الدروز .

وقلت : ان الاماء كن يخرجن مكشوفات الرؤوس والصدور ، فتغطية الرأس والصدر ، امر كافٍ لتفريق الحرائر عنهن كما اراد تعالى .

وقلت : لو صحت هذه الرواية عن ابن عباس، لكان الله تعالى في غنى عن آية [الغض من البصر ، وعدم ابداء الزينة الا ما ظهر منها، والضرب بالخمر على الجيوب .]

وقال الطبرسي في الصفحة ٢٥٢ في تفسير [يدنين عليهن من جلابيبهن] نقلاً عن ابن عباس ومجاهد . اي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب اي يغطين جباههن ورؤوسهن، اذا خرجن لحاجة، بخلاف الاماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه .

قلت : ان حضرة المفسر نسي ان موضع الجيب هو الصدر ، فجعله الجبهة والرأس ، ومن كان قليل التدقيق لهذه الدرجة ، فليس علينا ان نعتد بقوله

افلا ترون يا سادتي ، كيف تختلف روايات النقل عن ابن عباس؟ فاي رواية تُصدق ؟

وقال الطبرسي في الصفحة ١٦٠ (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخمر المقانع جمع خمار ، وهو غطا رأس المرأة المنسدل على جنبيهـا . امرن بالقاء المقانع على صدورهن ، فقد قيل انهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن ، وكنّى عن الصدور بالجيوب لانها ملبوسة عليها)

قلت : ان الامر بالقاء المقانع على الصدور، يستوجب تغطية الصدور

لا النحور ، فكان على حضرة المفسر ان يكون اكثر تدقيقاً

وقلت : اذا نظرنا الى هذين القولين ، بوجوب تغطية الرأس والجبهة والصدر ، لم تلزم تغطية الوجه ، والكفين ، والقدمين ، والذراعين ، والعنق ، والاذنين .

(وقال في الصفحة نفسها نقلاً عن الضحاك وعطا [الا ما ظهر منها] اي الوجه والكفين)

قلت : فبعد هذا ايضاً ، هل يكون الادعاء بستر الوجه والكفين الا مكابرة؟

وقال في الصفحة نفسها نقلاً عن ابن عباس نفسه: اي تغطي شعرها وصدرها وترابيها وسوالفها .

قلت : وهذه رواية اخرى عن ابن عباس !

وقلت: ان قول ابن عباس هذا، لا يشير الى تغطية الوجه، والكفين، والقدمين ، والذراعين ، والعنق ، والاذنين .

وقال في الصفحة عينها عن ابن عباس نفسه « الا ما ظهر منها » ان الزينة الظاهرة التي لا يجب سترها ، الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف .

قلت : وهذا ايضاً عن ابن عباس ! ! وهو يشير ايضاً الى ظهور الوجه والكفين .

وقال في الصفحة نفسها في تفسير (الا ما ظهر منها) ان الزينة

الظاهرة التي لايجب سترها عن ابن مسعود ، الثياب ،

وعن قتاده ، الكحل ، والسوار ، والخاتم ، .

وعن الحسن ، الوجه والبنان ،

وعن علي بن ابراهيم ، الكفان والاصابع .

قلت : ان هذه الاقوال المتناقضة ، كلها استنسابات واستحسانات وليس فيها قول مبني على دليل من الكتاب او من السنة ، ولو كان دليل لاتفقوا .

وقلت: يظهر ان الفقهاء يتصرفون بكلام الله كلٌ كما يشاء . فحمل كل منهم الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على اهوائه ، فمن اراد وسع ، ومن اراد ضيّق . اما نحن التعسات ، فكرهات في نظر بعضهم ، على ان لا نتبع الا ما فيه تعسير علينا وتضييق

وقلت: بما ان السوار مما يظهر فالذراع لا يستر .

وقال في الصفحة عينها ، روي انه تعالى لعن السلتاء من النساء والمرهاء ، فالسلتاء من لا تخضب بالحناء ، والمرهاء التي لا تكتحل .)

قلت : ان هذه الرواية غير مثبتة ، فاذا رُدت الى كتاب الله لا توافقه ، . فالله جل وتعالى عز عن ان يجعل تحت اللعنة، النساء اللواتي لا يتخضّبن بالحناء ،وما اكثرهن . أو يوافق عدل الله جل جلاله ان يستوجب عدم الكحل والخضاب لعناً ؟

واحسرتاه على النساء ! ان جباههن ، وعيونهن ، واذانهن ، ووجوههن ، واعناقهن ، واذرعهن ، واكفهن ، فضلاً عن عقولهن ، العوبة المفسرين والرواة . وهن يُلعنّ اذا تزينّ ، ويُلعن غير متزيّنات !

« وقال البيضاوي في الصفحة (٤٦٧) في تفسير « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » والمستثنى بقوله « الا ما ظهر منها » هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة » .

قلت: او بعد هذا ايضاً مكابرة وادعاء في ستر الوجوه .

« وقال في الصفحة عينها « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » اي ستراً لاعناقهن »

قلت : ولكن موضع الجيب ، الصدر لا العنق ، والصدر اولى بالستر من العنق

اذن كان على حضرة المفسر ان يقول « وليضربن بخمرهن على جيوبهن اي ستراً لصدورهن »

وقلت : يظهر ان بعض المفسرين الكرام ، كانوا يستعجلون في الخط احياناً ، فلا يساعدهم الوقت لاحكام الرابطة بين القلم والدماغ ، فقد يكون ما خطّوه غير الذي عقلوه . وقلت ان هذا القول على ما هو ، لا يتناول الا ستر الاعناق ، فلا يوجب ستر الوجه ، والاذنين ، والذراعين ، والكفين

تلك يا سادتي وسيداتي اقوال المفسرين في « الا ما ظهر منها » « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » و « يدنين عليهن من جلابيبهن »

الا ترون ان في بعضها من التعقيد والعسر ، بقدر ما في الآيات الكريمة من الصراحة واليسر ؟ الا يحسب الانسان نفسه في فوضى من تلك الاقوال ، واكثرها عنديات واستنسابات واستحسانات وروايات متناقضات لا ادلة فيها ولا بيّنات ؟

الشارع عندنا واحد يا سادتي ، الشارع واحد ، هو الله تعالى جل جلاله . فالنبي نفسه صلى الله عليه وسلم لما خطب في الناس بمنى قال: « كل شيء مردود الى كتاب الله وما عداه فهو زخرف ، وانا لم اقل قولاً لا يوافق كتاب الله » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان شرعه شرع الله . فردوا يا سادتي وسيداتي ، ما ذكر بعض المفسرين الى الكتاب ، وقد نقلت اليكم آيتيه. افلا ترون في كثير من الاقوال ما يجوز ان يحسب شرعاً جديداً ليس من شرع الشارع جل جلاله ؟ ردوه الى احاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وستتبارك شفتاي بذكرها . تروا انها ليست منها .

قال الامام علي رضي الله عنه ، « لو ان الباطل خلص لما خفي على ذي حجى ، ولو ان الحق خلص لما كان فيه اختلاف . ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمتزجان فيجيئان معا »

وقال رضي الله عنه (فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ، يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات

المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا) . وقال رضي الله عنه (ان اكثر الحق فيما تنكرون)

افلا يجدر بنا ان نرجع الى كتاب الله سبحانه وتعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مصدري النور والهدى ؟ ان الله جل علمه ، وتعالت حكمته لم يحصر في آياته الاعضاء التي تظهر من المرأة ، ولم يبين الى اي حد من الاعضاء يجب على النساء ان يدنين عليهن من جلابيبهن ليعرفن من الاماء ، تاركاً تحديد ذلك للزمان وللعقل السليم . والجبلة والعادة والضرورة . . فقال المفسرون ما قالوا اشكالا اشكالاً مما ذكرت . وان ما نقلته لكم لجزء من كل مماثل له ، واني ادعو سيداتي وسادتي لمطالعة كتب التفسير ، فيما يتعلق بالموضوع الذي نبحث ، فيرون ما رأيت ، ويرون ان شأن المفسرين في هذا الموضوع ، كان شأنهم في الجغرافيا والتاريخ والفلك كما سبق . ان هنا وهناك لفوضى من الاقاويل والروايات والاباطيل ، يغنينا عنها كلام الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولا بدع ولا عجب ، في اختلاف النقل والروايات ، عن الصحابة الكرام وغيرهم ، فكثيراً ما روى الرواة ، احاديث موضوعة ، ما قالها النبي صلى الله عليه وسلم كما بينت سابقاً ، وكثيراً ما نقلوا من احاديثه الشريفة اشكالاً . وان المسموعات تختلف بحسب رواتها ، والاخبار الشفوية قلما يتفق عليها الناقلون .

ومع هذا كله ، فالمفسرون كادوا يتفقون جميعاً على كشف وجه المرأة ؛

وكفيها . وان من قال في تفسير هاتين الآيتين ، ان تستر المرأة كل اعضائها حتى الوجه ، لم يستند قط الى دليل ما من اصول الدين ، وكان قوله ترجيحاً بلا مرجح ، بل عكس المرجح ، وما كان منه الا استحساناً عندياً محضاً ، خالف به غيره من الفقهاء ، ناسياً ان ذلك منه اهمال لقوله تعالى « الا ما ظهر منها » .

الا يجب يا سادتي وسيداتي ، ان يظهر من المرأة عضو ما ، ليعمل كلام الله تعالى ولا يهمل ؟ واي شيء احرى من الوجه بالظهور ؟ لو كان القائلون بستره يستندون الى حقيقة ما في اصول الدين ، لاتفق المفسرون والفقهاء الثقات على ذلك واجمعوا .

الا ترون يا سادتي وسيداتي ، ان بناء البيوت وترتيبها في زماننا هذا ، قد تغير تغيراً عظيماً ، حتى انه لم يبق من حاجة لخروج النساء ليلاً ، الى مثل النخيل والغيطان والصعيد الافيح ، وانه لم يبق اماء فيلتبس امرهن بالحرائر ، وانه صار باستطاعة المرأة ، ان تستغني عن الجلباب بكل ثوب لائق بها يستر صدرها . العبرة للمعاني لا للالفاظ والمباني يا ساده . فما لفظ الجلباب او لفظ الجيب الا لفظ اتفاقي جاء في الآية لانه زي ذلك الزمان. وهل منا من يقول ان شكل الملاءة اليوم هو شكل ذلك الجلباب؟ وهل جيوب اليوم في الصدور ؟ وهل يبقى معنى لكلام الله لو لبسنا خمر الزمان القديم ، وضربناها على جيوبنا في مواضعها اليوم ؟

فشكل الملابس ليس مما لا يتغير شرعاً . يشهد على ذلك ان الرجال

المسلمين فضلاً عن الخلفاء انفسهم، قد بدلوا الطربوش من العمامة، وتركوا الجبب ولبسوا البانطالون الفرنجي، وغيروا ملابسهم اشكالاً، ذلك لان المؤمن حرٌ بلبسه، ولان الثوب الذي يلبسه مما لا يحاسب عليه. وسيأتي تفصيل ذلك في قسم المعارضات والردود.

اما رأيتم انه لم يكن للاماء ان يتشبهن بالحرائر في الملبس، حفظاً لانفسهن من التعرض، وذلك ما حمل سيدنا عمر رضي الله عنه، فعلا بالسوط الجارية المتقنعة قائلاً لها: يالكاع اتتشبهين بالحرائر ومنعها من ذلك؟

الا ترون وتعلمون، انه ليس في هذا الزمان اماء، ولكن فيه سافلات لهن الحرية في ان يلبسن ملبس الحرائر، فلم يبق لنا والحالة هذه معرف الا وجوهنا، وما فيها من سَمْتِ الحياء وسيماء الشرف، فكيف لا يؤذن في السفور لتلك الوجوه؟

ان تجاوز بعضهم على حق المرأة بستر وجهها، مع انه مغاير لكل ما ذكرت من الاقوال بكشفه، تجاوزٌ على حق الله، فلو اراد الله تعالى ستر وجه المرأة، لسهل عليه، وهو القدير العليم، الذي خلقنا وعلمنا البيان، ان لا يسكت فيصرح ان تستر الجلابيب الوجوه، ولاستغنى عن قوله «الا ما ظهر منها» بعد قوله «وان لا يبدين زينتهن» او لقال سبحانه وتعالى «رأساً ولا يبدين وجوههن. او ولا يبدين كذا وكذا، او لقال تعالى يسترن او يغطين وجوههن وكذا وكذا، (والله لا يستحي من الحق). وكذلك لو كان قصده ستر الوجوه، لاستغنى عن قوله تعالى (قل

للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) اذ لا يبقى لزوم لذلك بعد ان يوضع بين وجه المرأة وعينيها وبين الرجال حجاب من جلباب. قال الله تعالى « قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » ؟

فيا سادتي الرجال ، اذا كنتم مصرين على ان لا تردوا الاقوال الى الكتاب والسنة ، وعلى ان لا تقبلوا اقوال الفقهاء والمفسرين الثقات ، بكشف وجوه المسلمات ، وكنتم باقين على ما يورث عسراً وتعقيداً من اقوال وتأويلات ليست في كلام الله ، فلم تدعمها ادلة او بينات ، واذا كنتم ترون كلام الله في آيتيه مجملاً ، فهاتوا منه او من الحديث الشريف كلاماً مبيناً مفصلاً ، فنُخضع نفوسنا طوعاً ونطأطئ رؤوسنا سمعاً .

ولكن اذا لم تستطيعوا ان تأتوا بالكلام المُبِين ، فأَنى لكم ان تعلّموا الله بالدين ؟

واني اذكركم يا سادتي بالقواعد الشرعية ، التي ذكرتها لكم في بحث الدفاع الحر المقدس وهي « التيسير اولى من التعسير » و « الفرج اولى من الحرج » و « اذا تعارضت الحجج بلا مرجح تساقطت » « وعند احتمال الامرين من اجتهاد وادلة يؤخذ بما ينفع المتهم ويعيد له حريته » و « في العقوبات يقتصر على النص ولا يجوز التوسع فيه اجتهاداً او قياساً » . آملة ان لا تكونوا اعطف على الائمة الجناة ، منكم على امهاتكم وبناتكم ، وزوجاتكم واخواتكم . واذا رأيتم بعد ذلك بقية ميل في انفسكم الى

ظلمهن ، فجاهدوا الجهاد الاكبر لنصرة النفس العاقلة المرضية ، فحق المرأة تحت لواية ذلكم الجهاد . وان نساءكم لمتكلات على من عليه الاتكال تعالى ، وقد قال في كتابه العزيز « اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

كن منصفاً يا سيدي الرجل ولا تتبع الهوى . فالرجل من لا يغلبه هواه . ان الله اراد لنا في آياته اليسر لا العسر فلا تعكس الآية . لقد ورد النص بحقك وحق المرأة على السواء . فلم يأمر احداً منكما بستر وجهه، وانما امرك وامرها بالغض من البصر . اعيدُ عليك نص الآية وقد قالت : (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم .... وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن . . .) فلماذا استغنيت عن ستر وجهك بادب نفس المرأة ، وغضها من بصرها ، ولم تغنِ المرأة عن ستر وجهها ، بادب نفسك ، وغضك من بصرك ؟ او ليس من العار ان تسلم للمرأة ، بانها تقدر ان تطيع هذا الامر الفرقاني ، وبانك لا تقدر ان تُطيعه انت ، فتطلُب منها هي ان تستر وجهها ، ولو كان ستره قاتلاً لقواها ؟ أليس غضُكَ من بصرِكَ اذا اقتضتهُ الحال ، اكثر انطباقاً على منطوق الآية الكريمة ، واهون من هذا الستر القاتل القوى؟ الم يكن اكثر انطباقاً على شرف الاسلام. لو سابقْتَ عنترة ذلك الجاهلي ، بالأدب الذي أُمرت به وقد قال مفتخراً بادبه :

واغضُّ طرفي ان بَدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

يا سيدي الرجل ، بما انك أمرت والمرأة على السواء ، بالغض من البصر ، وبما انك متمسك بالدين على ما تذكر ، والدين يقتضي العدل ، وينافي الظلم ، فإما ان يكون الامر بذلك لكل فريق ، موجباً على الفريق الآخر ستر وجهه او لا يكون ، فان كان موجباً فارجو منك ستر وجهك عن المرأة . مثلما سترت وجهها عنك ، وان لم يكن موجباً ، فارجو منك كشف وجهها ، مثلما انت كاشف وجهك . وان لم تفعل ، فارجو منك ان تعترف بأن العدل والتدين اللذين تزعم ، لم يكونا الا حيلة تظلمك أمّكَ ، وَإبنتَكَ ، وأختَكَ ، وَزَوْجتك ، ووسيلة للاستبداد بهن .

سادتي وسيداتي

بعد نقل ما نقلت ، وبيان ما بينت ، اعرض لديكم رأيي ، في تفسير الآيتين ، مستندة الى العقل المطلق ، والتفكير الحر في القرآن كما أمرت ، فمن شاء فليقبل ، ومن شاء لا يقبل ، ومن يجنح الى ان يجادل بالتي هي احسن ، فليبرز للملأ العاقل ادلته .

اولاً : لا يجوز ان نحسب كلا من الآيتين ، موجبة ستر الوجوه ، وسائر الاعضاء كما قال بعضهم . لانه لو كان قوله تعالى « يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ » مقتضياً ذلك كما يقتضيه قوله تعالى « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » لاغنت احدى الآيتين عن الثانية . فكانت احداهما بلا

لزوم، ولكان بلا لزوم قوله تعالى ايضاً « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » « وقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » لانه لا محل لامر المؤمنين بالغض من الأبصار اذا كانت وجوه المؤمنات تحت حجاب او ستار ، وهذا مما لا يجوز ان يُسند اليه تعالى ، انه جل وعلا عن ان ينزل في كتابه كلاماً زائداً . اذن لكل من الآيتين حكمة خاصة ، ولتنزيل كل منهما سبب خاص . ونحن في غنى عن اعادة الايضاح بما يتعلق بالآية « يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ »

ثانياً : انما المقصد من (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) ان لا يتبرجن . وان لا يعرضن انفسهن بابداء محاسنهن للرجال قصداً ، كما كانت النساء يفعلن في الجاهلية الاولى ، يعني انما المقصد ان يكن رصينات ، لا يبدين ، اي لا يظهرن من محاسنهن شيئاً ، الا ما ظهر منها عادةً وطبعاً . فما كان من المرأة غير ظاهر بحسب العادة والجبلة ، يجب عليها عند مشاهدة الرجال ان لا تبديه . لان اظهارها للرجل الاجنبي ما كان غير ظاهر عادةً وجبلةً ، امر يخالف الرصانة ويبعث على الريبة

الا ترى ان قوله تعالى في الآية عينها (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) يدلنا على ان ما يمنعه تعالى ليس الا قصد الاظهار لما كان غير ظاهر ؟

ان المنهي عنه في كتاب الله ، هو الابداء اي الاظهار ، وهو المتعدي من فعل البدو والظهور ، لا اللازم منه . وقد استثناه تعالى . فتناول المنع

الاظهار قصداً، ولم يتناول الظاهر بنفسه اللازم ظهوره، فان في اظهار اصبع قصداً، او في لفتة مفعولة، او في اظهار حركة مقصودة، من تحت ملاءة ساتره، ما يبعث على ريبة ليس منها اثر في ظهور الوجه الرصين، بما فيه من كل لازم الظهور عادة وطبعاً وجبلة وضرورة. ولا يخفى ان الامور بمقاصدها، والله لا يحاسب الا على المقاصد والنيات، والعبرة للمعاني لا للالفاظ والمباني. قال تعالى « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا . وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

وفي الحديث (البسوا وتجملوا ان الله جميل يحبُّ الجمال). وليس كل تجمل يعد تبرجاً. ان التجمل مباح ممدوح، واما التبرج فمكروه ومذموم.

وقلت: وينبغي للمرأة ايضاً للحكمة عينها، ان لا تخفي عند مشاهدتها الرجال، ما كان ظاهراً بحسب العادة والجبلة، لأن اخفاءها ما كان ظاهراً بحسب الجبلة والعادة، يخالف الرصانة ويبعث على الريبة. وهذه الجهة سأشبعها درساً في بحث الفتنة.

واني ارى، ان الامر الالهي بالغض من الأبصار، موجه الى الروح. فالبصر له محركان: اما النفس النزيهة المرضية، او النفس الخبيثة الامارة

بالسؤ ، والمأمور بغضه هو البصر المحرك بالنفس الامارة التي يجب غضها بل اعماؤها. اما البصر المحرك بالنفس المرضية، التي هي نفحةٌ من الروح الالهية. فينبغي له ان يكون دائماً حراً مطلقاً. وانما من اجل هذا استعمل الله سبحانه وتعالى (مِن) التبعيضية فلم يقل يغضوا ابصارهم او يغضضن ابصارهن، بل قال تعالى يغضوا من ابصارهم ويغضضن من ابصارهن، اي يغضوا ويغضضن منها البصر الخبيث الشرير.

ان حركات النفس المرضية وقواها ، يجب ان تكون دائماً منتصرة لا تُغض ولا تُخفض قصداً . لأن غضَّها وَخَفْضَهَا بحركة مقصودة يوقظ الشيطان في القلب ، ويحرك فيه قوة للنفس الامارة ، تحارب بها النفس المرضية ، فنكون قد حركناها الى النزاع ، وساعدناها على الأنتصار . فلا مانع مطلقاً ، للنفس النزيهة المرضية من رؤية الجمال . فهي نفحةٌ من روحِ الله ، وهو تعالى جميل يحب الجمال . وانما الجمال نعمة بل أثر من اثاره وَنِعمِهِ . فبقدر ما يتجلى الجمال في الأنسان للعينين ، يتجلّى جمال الله وجمال اثاره، وجمال نعمه . فغضّنا البصر النزيه قصداً ، عن رؤية الجمال ، كفران لنعمه تعالى . اما النفس الخبيثة الامارة ، فيجب غض بصرها وبصيرتها ، بل اعماؤها ، وحرمانها بذلك رؤية كل جميل .

فلينظر الأنسان الى نفسه ، فان رأى النفس الخبيثة فيه تحرك البصر، فليخفضه معلناً عليها الجهاد الاكبر . وان كان ينظر ببصر النفس النزيهة المرضية ، ويرى النفس الخبيثة فيه مغلوبة مخزية ، فحق له ان يرى آيات الجمال ، انها آياتُ المبدع الجميل ذي الجلال، مصدر الخير والصلاح والكمال.

هذا ما يتجلى لي من الحكمة البالغة في آيات الله . وهو معنى ظاهر بسيط يتجلى في معرض البداهة ، لكل نفس تتأمل في نزاهة ، دون ميل الى التعقيد ، او رغبة في التقييد . فقبلهُ عقلي ، واطمأنت اليه نفسي ، فيصدع به لساني ، واعمل به . ولكل عمله ومعتقده ، لا حجة بينه وبين احد انما الحجة بينه وبين الله .

ان المعتقدات لا يجوز شرعاً فيها التقليد ، بل يجب على الأنسان نفسه ان ينعم النظر ، ويعمل الفكر ، لمعرفة الحقيقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استفتِ قلبكَ وإنْ أفتاكَ المُفتُونَ) . وان القرآن لمصباح الهدى ، ومنار الحكمة ، وهو الدليل يدل على خير سبيل . والتفكر فيه حياة قلب البصير ، اجل ان التفكير فيه حياة القلب ، وقد شعرت بتلك الحياة في قلبي ، عند تفكري في آياته ، وفي هذه الآية ، كما شعرت بها عند تفكري في الآيات ، عن رحلة ذي القرنين ، تلكم التي سبق تفسيرها في بحث التاريخ والجغرافيا والفلك . ان تخيلات المفسرين في التفسير هنا ، كانت اشبه بتخيلاتهم في التفسير هناك ، ولكن الحق غير ما قالوا هنا وهناك .

سادتي وسيداتي

فلننتقل الآن الى الاحاديث الشريفة في السفور ولنستمع :

الحديث الاول : رواه ابو داود عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت اسماء بنت ابي بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق . فقال لها صلى الله عليه وسلم « يا اسماء ، ان المرأة لم يصلح ان يُرى منها الا هذا وهذا » مشيراً الى جهة وجهه وكفيه .

الحديث الثاني ، نقله الحلبي في سيرته ، عن هند امرأة ابي سفيان ، قال : اتت هند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متنقبة بالابطح وقالت ، اني مؤمنة ، اشهد ان لا آله الا الله ، وانك عبده ورسوله ، ثم كشفت وجهها وقالت ، انا هند بنت عتبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرحباً بك » .

افلا ترى يا سيدي الرجل ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ، لما رأى اسماء لابسة ثوباً رقيقاً على جسمها ، نهاها عن ذلك ، وذكر لها صلاح سفور الوجه والكفين ، وان هندا كانت وهي جاهلية ، عابدة الاوثان ، متنقبة مثل رفيقاتها الجاهليات ، فلما اسلمت رفعت نقابها عن وجهها في حضرة النبي ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعترضها في ذلك ، ولكنه رحّب بها ؟

ولا بد لي من الملاحظة ان الكف في اللغة هي اليد الى الكوع . يقال «مدّ اليه كفه ليسأله» وقيل سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن . واما قولهم كف مخضّب فعلى معنى ساعد مخضّب . وفي مجمع البحرين حد الكف الكوع .

واما الوجه الذي اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى جهته معلناصلاح كشفه ،فقد قال بعضهم انه الوجه الوضوئي اي شبراً بشبر.

واما البعض الآخر فقد عد الاشارة الى الوجه متناولة العنق . ومما يدل على ذلك قول مجاهدوا بن عباس ، الذي نقلناه في تفسير الآيات : « اي يغطين جباههن ورؤوسهن » . وقول ابن عباس على رواية أخرى « اي تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها » وفي هذين القولين دلالة كافية على ان العنق تابع للوجه ومما لا يستر . وينبغي لنا ان نرجح هذا القول لما فيه من اليسر . فان حد اللباس الطبيعي هو اعلى الصدر اي النحر والترائب . ولا يمكن ان يكون رأس الذقن حداً طبيعياً . فالذقن كلها داخلة في الوجه وحدُّها في الرُجل منتهى منبت شعر لحيته، ويقابلها مثل هذا الحدّ في المرأة.

الحديث الثالث ، رواه الامام محمد الباقر عن جابر الانصاري قال : خرج رسول الله يريد فاطمة وانا معه ، فلما انتهينا الى الباب ، وضع يده عليه فدفعه ثم قال ، السلام عليكم ، فقالت وعليك السلام يا رسول الله ، قال أأدخل ؟ قالت ادخل ، قال انا ومن معي ؟ قالت ليس عليّ قناع ، قال خذي ملحفتكِ فقنعي بها رأسك ، ففعلت ثم قال ، أأدخل ؟ قالت نعم يا رسول الله ، قال انا ومن معي؟ قالت ومن معك ، قال جابر ، فدخل رسول الله ودخلت ، واذا وجه فاطمة اصفر كأنه بطن جرادة ، فقال رسول الله ما لي ارى وجهك اصفر ، قالت يا رسول الله من الجوع ، فقال رسول الله ، اللهم مشبع الجوعة اشبع فاطمة بنت محمد ، قال جابر ، فوالله

لنظرت الى الدم يحدر من قصاص شعرها · حتى عاد وجهها احمر فما جاعت بعد ذلك.

أفلا يفهم من هذا الحديث، أن فاطمة بنت رسول الله · قابلت جابراً في حضرة ابيها صلى الله عليه وسلم وهي سافرة، حتى رأى وجهها كيف كان، وكيف صار؟

قلت: يفهم من رؤية جابر · قصاص شعر سيدتنا فاطمة . ان القناع لم يكن يستر مقدم شعر الرأس كما هو الحال في القرويات . وسنرى ان طرة سكينه حفيدة سيدتنا فاطمة رضي الله عنها · كانت مرئية .

الحديث الرابع : اخرجه الترمذي والنسائي عن المغيرة «انه خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم · «انظرت اليها» قال لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما » فلو كان الوجه عورة · وسفوره محرماً · أكان من الممكن ان يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم · الرجل · بالنظر الى المرأة قبل عقد النكاح ؟

الحديث الخامس · في عيون الاخبار عن علي بن عبدالله · عن محمد بن ابي عبدالله · عن سهل بن زياد · عن العظيم بن عبدالله · عن محمد بن علي الرضا · عن آبائه عن علي رضي الله عنه قال «دخلت انا وفاطمة على رسول الله · فوجدته يبكي بكاءً شديداً . فقلت له فداك ابي وامي يا رسول الله، ما الذي ابكاك؟ فقال يا علي ليلة اسري بي الى السماء · رأيت نساءً من امتي في عذاب شديد ، فانكرت شأنهن ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، فقالت فاطمه ، حبيبي وقرة عيني ، اخبرني ما كان عملهن ؟ فقال ، اما

المعلقة بشعرها فانها كانت تكشف شعرها للرجال . واما المعلقة بلسانها، فانها كانت تؤذي زوجها ، واما المعلقة بثديها فانها كانت ترضع اولاد غير زوجها بغير اذنه . واما المعلقة برجليها ، فانها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها . اما التي كانت تأكل لحم جسدها، فانها كانت تزيّن بدنها للناس واما التي تشدُ يداها الى رجليها ، وتُسلَّط عليها الحيات والعقارب ، فانها كانت قذرة لا تغتسل . واما العمياء الصماء الخرساء ، فانها كانت تلد ولداً ما فتعلقه في عنق زوجها . واما التي كانت يقرض لحمها بالمقاريض ، فانها كانت تعرض نفسها على الرجال . واما التي كانت يحرق وجهها وبدنها ، وهي تجر امعاءها ، فانها كانت قوادة . واما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار ، فانها كانت نمامة كاذبة . واما التي كانت على صورة الكلب ، والنار تخرج من فيها ، فانها كانت قينة نواحة حاسدة » .

اسمعت يا سيدي الرجل ، ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ انه لم يشر الى تغطية شيء من الرأس الا الشعر . اما لعدم تغطية الوجه والكفين والذراعين والعنق فلم ير واحدة من النساء معذبة . ولم ير وجه سافرة يحرق ، انما الوجه الذي يحرق . وجه القوّادة سافرةً كانت او محجّبة . والتي كانت تأكل لحمها او كان لحمها يقرض بالمقاريض فانها من كانت تزين بدنها ، وتعرض نفسها على الرجال ، لا من كانت سافرةً بوجهها الرصين الشريف ولا غرو ان باقي الحديث مرشدٌ الى مكارم الاخلاق

فقد قال رسول صلى الله عليه « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ ، وخاطبه تعالى بقوله « وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .

ومع هـذا ، وعلى افتراض معارض أن هـذه الاحاديث الشريفة الصريحة من الاحاديث غير الصحيحة . فهل يجوز أن تجبر المرأة على ستر وجهها ، وهو مجمع حواسها وقواها ، ما لم يرد نهيٌ عن كشفه ؟ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ شَيْءٍ مُطْلَقٌ حَتَّى يَرِدَ فِيهِ نَهْيٌ » فهل سمعت او قرأت يا سيدي الرجل ، في الكتاب او في الحديث ، نهياً عن سفور وجه المرأة ؟ لا شك في أن الجواب (لا) .

واذا لم تسمع نهياً ، فهل سمعت او قرأت فيهما امراً بستره ؟ لا شك في ان الجواب ايضاً (لا) .

اذن لماذا تخالف امر الله وامر رسوله ؟ ان ستر الرجل وجه المرأة يا سيدي ظلمٌ مبين ، جلّ عنه الدين .

سادتي وسيداتي

ذكرت لكم آيات الكتاب ، والاحاديث الشريفة ، ومع ما فيها من الصراحة الجلية ، استندت ايضاً الى كتب التفسير ، وكتب الشرح ، وآراء كثيرين من العلماء والفقهاء ، وعرضت لديكم كيف انها تدعم قضية المرأة .

وقد بقي من اصول الدين ، الاجماع ثم القياس بحسب السنة ، والعقل

بحسب الشيعة . اما القياس ، فلا شأن له في موضوعنا ، اذ انه لا يجوز ان نقيس حركاتنا واعمالنا ،على مقاييس الجاهلية ، والامم القديمة ، من عبدة الاوثان ، الذين كانت اكثر نسائهم يتنقبن . وليس لنا أن نقيس أنفسنا ، على نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنخالف بذلك الآية النازلة فيهن ، وفيها « لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ » وغير ذلك مما يمنع القياس ، واما العقل، فقد ذكرت ادلته في القسم الاول من هذه المحاضرات . واما الاجماع فهو كالكتاب والسنة ، يدعم قضية المرأة دعماً .

ان الاجماع يا سادتي،انما يتم كما هو مصرح في اصول الفقه ، بان يتفق في عصرٍ كلُّ المجتهدين من امة محمد ، على حكم شرعي ، دون ان يكون ثمت مخالف من المجتهدين حتى ولا واحد، لان كل مجتهد يخطئ ويصيب، وقد يخطئ الكثيرون ، والحق في رأي المجتهد الواحد المخالف .

فلنتأمل في هذا . ثم ارجو منكم يا سادتي ، قبول دعوتي اياكم الى كتب الشرع للنظر والتحقيق . فترَوا ان المجتهدين عامة ، والامام الاعظم، كادوا يجمعون على ان الوجه ليس بعورة ، وان سفوره مباح احياناً ، ومأمور احياناً، وواجب احياناً أخرى، وما حُرِّم قط في حين من الاحيان. واذا نظرنا بأعيننا، نساء المدن محجبات، فانا ننظر ايضاً نساء القرى سوافر، على ان حجاب النساء في المدن ، لم يكن مبنياً على اجتهاد يفرقهن عن نساء القرى ، انما بُني على عادةٍ نشأت في بعضهن ، ثم انتشرت بينهن ، فان جاز أن يُحسب اعتياد نساء المدن ، اجماعاً في الاسلام على الحجاب ، فاعتياد نساء القرى ، اولى ان يُحسب اجماعاً على السفور ، وهنّ اكثر من اولئك

اضعافاً، فاين اجماع المجتهدين من الامة، على ستر وجوه النساء جميعهن، كما يموهون علينا ليستعبدونا دائماً.

يا سادتي الرجال، هذا كتاب الله، هذه سنن الرسول، هذا اجماع الفقهاء والمجتهدين من الامة، والامام الاعظم، وهذا العقل بيننا وبينكم. فلا تظلمونا مموهين بالدين فتذكرونا قول الشاعر:

قد بلينا بامير ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينا يذكر الله ويذبح

« اعدلوا هو اقرب للتقوى، واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

يقول المدققون في احوال الاجتماع، ان الأنسان قد يتعود الظلم حتى يحسبه في آخر الامر حقاً له وعدلاً. فعسى ان لا يكون اعتيادكم ظلم المرأة وصل بكم الى هذا الحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إرْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السماء » وقال صلى الله عليه وسلم « خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ »

سادتي وسيداتي :

رأيتم ورأيت ، ان لا امر في الكتاب وفي السنة ولا اجماع لستر الوجوه .اذن من اين جاء هذا الستر ؟ او لم يقل به الفقهاء ؟

بلى قالوا . قالوا : ان عورة الحرة جميع بدنها ، خلا الوجه والكفين، والقدمين والذراعين . ولا تكشف المرأة الشابة وجهها ، لا لانه عورة، بل خوفاً من الفتنة . اما عند أمن الفتنة ، فيباح النظر اليه ولو جميلاً ، كالنظر الى وجه الامرد ولو جميلاً .

اما الفتنة ففيها امران : اما الخوف من وقوع الاثم في قلب الرجل فحسب ، او الخوف من الرجل ان تبلغ من نفسه الفتنة حد الفجور . فاستحسنوا منع الشابة من كشف وجهها ، خوفاً من الفتنة .

❁❁❁

لنبحث الآن في الامر الاول ، اي ستر الوجه خوفاً من وقوع الاثم في قلب الرجل . ان فقهاءنا اتخذوا اساساً لمنع الشابة من كشف وجهها خوف الفتنة ، الاحاديث الشريفة الآتية :

الحديث الاول ، عن ابي جعفر الباقر رضي الله عنه قال : استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ، فنظر اليها وهي مقبلة ، فلما جازت ، نظر اليها ، ودخل في زقاق قد سماه لبني فلان ، فجعل ينظر خلفها ، واعترض وجهه عظم في الحائط او زجاجة،

فشقّ وجهه . ولما مضت المرأة ، نظر فاذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال : والله لآتينّ رسول الله ولأخبرنّه . فلما رآه رسول الله قال : ما هذا؟ فاخبره . فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »

الحديث الثاني ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ مَلأَ عَيْنَيْهِ مِنْ امْرَأَةٍ حَرَاماً حَشَاهُمَا اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِمَسَامِيرَ مِنْ نَارٍ .)

الحديث الثالث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه (يَا عَلِيُّ أَوَّلُ نَظْرَةٍ لَكَ وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ) ، وفي رواية اخرى (يَا عَلِيُّ لَكَ كَنْزٌ فِي الْجَنَّةِ فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَ لَكَ الْأَخِيرَةَ) ، وفي رواية ثالثة (لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَلَيْسَ لَكَ يَا عَلِيُّ إِلَّا أَوَّلُ نَظْرَةٍ .)

الحديث الرابع ، (لَكُمْ أَوَّلُ نَظْرَةٍ فَلَا تُتْبِعُوهَا نَظْرَةً أُخْرَىٰ وَاحْذَرُوا الْفِتْنَةَ .)

فكأن فقهاءنا ، خافوا على الرجال ان يصيبهم ما اصاب الانصاري ، اذ عميت بصيرته وبصره ، حتى اصطدم رأسه بالحائط ، فشجته عظمة فيه او زجاجة واسالت دمه ، فستروا وجوه النساء ، ليتخلص امثال الانصاري ، من مثل فتنته العمياء ، التي لا تدل فيه على ادب وعفاف وحياء

وقلت : لو لم تخضع تلك المرأة بحركة تقوم مقام القول ، لما طمع ذلك

الانصاريَ وفي قلبه مرض ، حتى عمي بصره وعميت بصيرته فشجَ رأسه

وقلت ، لا نرى في زماننا رجلاً على هـذا الشكل ، فصـار يجوز للنساء ، ان يستمتعن بالهواء والضياء . وقلت ، الله جل جلالـه اعلم من الفقهاء بالمصلحة ، فلما شجَ راس ذلك الانصاري ، لم يأت جبرائيل بآيـة ستر الوجه ، وانما اتى بآية الغضَ من البصر .

وقلت ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ايضاً من الفقهاء بالمصلحة ، فلم يأمر النساء بستر وجوههن ، بل امر الرجال ان لا يتبعوا النظرة النظرة فيملأوا عيونهم حراماً ، وهـددهم اذا فعلوا ، بحشو عيونهم يوم القيامـة بمسامير من نار .

وقلت: ان اعطاء رسول الله الرجال ، حقاً في النظرة الاولى ، ومنعهم من ان يـتبعوا النظرة النظرة ، ومن ان يملأوا عيونهم من الحرام ، كل ذلك لا يتضمن الامر بستر وجوه النساء ، بل يدل على كونها مكشوفة ، اذ لا يمكن النظر اليها وهي مغطاة .

وقلت ، لو كان قصد الله جل جلاله ، وقصد رسوله صلى الله عليه وسلم ، ستر وجوه النساء ، لما كان ثمت مانع من التصريح ، ولما اكتفيا بتعليم الرجل الادب . والله لا يستحي من الحق ، قال تعالى . « قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

وقلت ، اذا كانت النظرة الثانية طبيعية ، غير مدفوعـة من النفس الامارة بالسوء ، فلا بأس فيها ، يدلنا على ذلك ، نهيه صلى الله عليه وسلم ،

عن املاء العين بالحرام . والمخاطب بذلك النهي ، هو النفس لا الجسد . وما الجسد ، الا آلة في يد النفس . فان لم تشترك النفس الامارة بالسؤ ، وكان الجسد محركا بالنفس المرضية ، في حالة عادية ، فلا حرام هناك . الا ترى ان النظر الى المحارم لابأس فيه ؟ لماذا ؟ لان النفس الامارة بالسؤ لا اشتراك لها حينئذ في النظر . ولكن ان تشترك تلك النفس الامارة ، في النظر الى المحارم ، فالحرام حينئذ واقع . ولابد لمسامير النار ، التي تحشى بها العينان الناظرتان ، من ان تكون اشد احماء واحمراراً

❀❀❀

سادتي وسيداتي

يرى بعض رجالنا ان يستنتج ستر وجه المرأة من هذه الاحاديث ، وبطريق القياس ، على ما فعل سيدنا عمر رضي الله عنه ، بنصر بن حجاج ، وخلاصة الحكاية ، ان سيدنا عمر رضي الله عنه ، كان يطوف ليلاً في المدينة ، فسمع امرأة تنشد متغزلة :

هل من سبيل الى خمر فاشربها او من سبيل الى نصر بن حجاج

فأمر عمر رضي الله عنه باحضار نصر ، ولما رآه شاباً جميلاً ، وله ذوائب شعر فتانة ، امر بحلق رأسه ، ثم جيء به بعد الحلق ، فرأى ان في وجهه من الجمال بقية كافية لافتتان النساء . فامر بابعاده حالاً الى البصرة ، وامر عامله ان يبقيه هناك ، سياسة ، حتى يشيب .

فيستنتج بعض رجالنا من هذا ، بطريق القياس الفاسد ، انه كما ان

سيدنا عمر رضي الله عنه ' ابعد نصراً خوفاً من فتنة النساء ' فهم يسترون وجوه النساء خوفاً من فتنة الرجال .

قلت ' ان سيدنا عمر رضي الله عنه ' وهو من اتقى البشر ديناً ، واكرمهم خلقاً ، واخلصهم عدلاً ، واطهرهم ثوباً ' لم يستحسن مافعل بنصر استناداً الى دليل من اصول الدين ' يعمم حكمه ويقاس عليه ' ويتخذ قاعدة يعمل بها ' انما كان ذلك منه فعلاً ادارياً سياسياً استحسنه في تلك الاحوال على خلاف القياس ومن القواعد الشرعية « ما ثبت على خلاف القياس . فغيره لا يقاس عليه »

وانتم ممن يعلمون ' ان السياسة في كل زمان ' لا تتقيد بالعدل المطلق ، بل كثيراً ما يراعى فيها النفع العام ' تبعاً للقاعدة الشرعية « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » ومن تلك السياسة ' تدابير ادارية ' قد يعامل بها في زماننا بعض الاشخاص ، دون ان يتحرى فيها العدل المطلق وتسمى ضابطة ادارية او مانعة .

الا ترون ' ان «التوقيف» قبل الحكم في القوانين الحاضرة ' هو ظلم ظاهر ' اذ انه كثيراً ما يتناول الابرياء . ومع ذلك اختاره واضع القانون حفظاً للامن العام ، اذ لم يجد بعد لحفظه في بعض الاحوال سبيلا آخر

وقلت : ان سيدنا عمر رضي الله عنه ' هو حكيم عادل لا يخاف منه ان يضع الشيء في غير موضعه ' فما جاز له لا يجوز لغيره ' فانه ما فعل ذلك ليقاس عليه ، بدليل اننا لم نر من قاس عليه ففعل مثل ما فعل .

وقلت : ان سيدنا عمر رضي الله عنه في معاملته نصراً ، انما راعى جانب المرأة ، فانه لدفع الفتنة ، عزّر الرجل لخطيئة امرأة ، وذلك على عكس ما يفعل رجالنا ، انهم يريدون ان يعزّروا كل النساء ، لخطيئة بعض الرجال .

اجل، اي ذنب على نصر اذا خلقه الله جميلاً ليعزّر ، ويُبعد ، ويُحرم، اهله ووطنه ؟ اي ذنب عليه . اذا افتتنت به مفتونةٌ موصومَةٌ ، وتمنت ان يمهد لها سبيل شرب الخمر معه ؟ الم تكن أحرى بالتعزير وبالابعاد ، من ذلك المسكين ؟ اذن اراد سيدنا عمر بما عمل ، خلافاً لمقتضى الظاهر، ودفعاً للفتنة ، ان يعلِّم الرجال مراعاة جانب النساء .

وقلت : اذا اعترض احد قائلاً : ارادت أَمَةٌ ، ان تتشبه في الغيطان ليلاً ، بالحرائر، صوناً لنفسها من تعرض الرجال . فعلاها سيدنا عمر رضي الله عنه بالسوط ومنعها ، وذلك لا يدلُّ على مراعاته جانب المرأة ، بل يدل على مراعاته جانب الرجل، اذ انه عزّر المرأة لخطيئة الرجل، فاقول ان الاماء في ذلك الزمان، لم يكن لهن ما للحرائر من الحقوق، فلا يصح القياس.

ومع ذلك ، فان العلماء قد اختلفوا في عصمة الانبياء انفسهم ، في ما يقع في افعالهم . وفي ذلك خمسة اقوال ، كما يفهم من تفسير الخازن الصفحة ٣٢٧، فمن العلماء من جوز عليهم الكبائر ، ومنهم من جوز عليهم الصغائر عمداً ، ومنهم من جوز ذلك على جهة السهو والخطاء والتأويل ، واستدلوا بذلك بخطيئة آدم ، مع انه كان نبياً ، اذ قال الله تعالى في كتابه العزيز

«عَصَى آدمُ رَبَّهُ فغوَى» ، واستدلوا ايضاً بما تكرر في القرآن والحديث ، من اعتراف الأنبياء بذنوبهم ، وتوبتهم ، واستغفارهم ، واشفاقهم ، وبكائهم ، على ما سلف منهم ، وهل يتوب ويستغفر من لا ذنب عليه ؟

فبعد هذا ، هل يجوز لنا ، ان نعتقد العصمة بسيدنا عمر رضي الله عنه ، حتى نستفيد مما فعل بنصر ، ونقيس عليه قياساً فاسداً معكوساً قصد ظلم المرأة ؟

تغزلت امرأة في بيت من الشعر واحد ، تُحلق رأسه وأبعد ، ثم تغزل الرجال في قصائد ملأت دواوين شعرنا ، حتى اضحينا نربأ بانفسنا عن قراءتها ، فلم يُحلق رأس ، ولم يُبعد نفس .

وانه لغريب ، ان سادتي الرجال ، لم يكتفوا بتعزير الجميلة من المسلمات ، كما اكتفى سيدنا عمر رضي الله عنه بتعزير نصر بن حجاج ، بل عزروهنّ جميعهنّ ، وحبسوهنّ ، وستروا وجوههنّ ، واذاقوهن مَضَضَ الذل ، عزّروهنّ كلهنّ ، حتى الزنجيات ، والعجائز ، والمشوهات ، ولم يستثنوا الرصينات ، والشريفات ، البعيدات عن الفتنة . ولماذا ؟ ذلك كله صيانة للرجال ، من ان يرتكبوا في قلوبهم اثم الافتتان بوجوههن .

هكذا رأى سادتي الرجال ، رأوا ان استعمال المسكر واكل الفايض ، وتحليلهم ، حتى في قوانينهم ، ما حُرّم ، وتحريمهم ما حُلل ، رأوا ان كل ذلك غير هام ، ولكن يخافون جداً من اثم الافتتان ، فيضلون طريق الجنة . كأن الأثم لا يحصل بسفور غير المسلمات في القلب اذا فسد ،

وكأنه لا يحصل في الملاهي والمراقص وامثالها ، وفي بيوت الفجور التي ينتابها صاحب ذاك القلب الفاسد .

سبحان ربي ! بقدر ما يريد لنا في شرعه العدلَ والصراحة ، يرى منا عكس ذلك ، ان الله عليم بان الرجال لا يسترون وجوه النساء احترازاً من الاثم ، وانهم يعلمون ، ان صيانتهن ليست في نقابهن ولكنهم يريدون تحت هذا الستار ، دوام استعبادهم اياهن ، محروماتٍ كل حق ، خادماتٍ لهم كيف شاؤوا .

❀ ❀ ❀

يا سيدي الرجل ادخل الى ضميرك ، وحاسب نفسك . افلا ترى انك الغادر ، اذا افتُتِنتَ بالمرأة ، وانها المغدورة ؟ فلماذا تعاقب المغدور لا الغادر ؟ ولماذا تعاقب من ليس له يد في فتنتك ؟ اليس اهون عليك ، ان تشرّف نفسك ، من ان تقتل بالحجاب قوى امك . وابنتك ، واختك ، وزوجتك ، وامّ غيرك وابنته ، وزوجته واخته ؟

اجتهد رجالنا اي اجتهاد ، ليجدوا سبباً يبرر استعبادهم النساء بالحجاب ، واذ لم يستطيعوا الى ذلك سبيلاً معقولاً ، عمد بعضهم الى تشبيه الرجال بالاسماك ، ووجه المرأة بطعم السنارة الفاتن الاسماك . وناهيك به من تشبيه ! بئس التشبيه ! فان الطعم هو الذي يستر السنارة ، حتى يأتي اليها السمك .

افلا ترون يا سادتي ، ان الوجه ، كثيراً ما يكون اولى ان يشبّه

بالسنارة ، وان الغطاء اولى ان يشبه بالطعم ؟ افلا ترون ان العيون تحيط بالمرأة اذا كان وجهها مستوراً بالنقاب ، ولو كانت زنجية شوهاء ، وتنكف عنها العيون لو سفرت ، كما تنكف الاسماك عن السنارة لو كشفت ؟

يا سيدي الرجل :

ارجو منك ، أن ترى العبرة البادية في ما اقول ، فتسلم حينئذٍ بان السفور ليس مبعثاً للفتنة ، وبان حجابنا الحديث ، قد يفسد قلب ناظره ، وقلب لابسه .

ان شاعركم يا سادتي الرجال ، ذلك الفيلسوف المعروف الشيخ احمد فارس هو الذي قال :

لا يحسبِ الغِرُّ البراقع للنسا ... منعاً لهن عن التمادي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا ... وضع الشراع لها ، على حكم الهوا

اجل ليس الوجه السافر مبعثاً للفتنة . ان الغطاء على منواله الجديد ، وان بعض الحركات الفاتنة مبعث للفتنة .

فقد قال بعضهم ، كل سدلة من النقاب في وجه الرجل ، تولد بالنظر لمغزاها ، ومرماها ، شيطانين ، واحداً في قلبها ، وواحداً في قلبه ، اما البنت الصغيرة ، ذاك الملاك الطاهر ، فمسكينة مسكينة ، قد يفسد قلبها باكراً جداً ، بذاك الغطاء ، حتى تصبح تحبه بالنظر الى ما فهمت فيه ، من المغزى والمرمى ، غير ناظرة الى ما فيه من ظلم وقيد ، ومنعٍ للضياء والهواء فويح المسبب لفساد ذاك القلب الطاهر .

سألت احدى السيدات ، تلميذة لبست النقاب، أكان الرجال ينظرون اليكِ وانتِ سافرة ، اكثر مما ينظرون اليكِ اليوم وانت محجبة . ام الامر بالعكس ؟ فقالت الفتاة : لا اعلم . لأني لما كنت اذهب الى المدرسة سافرة، كانت افكاري مشتغلة دائماً في دروسي . فلم الحظ نظرة ما . من ناظر الي ، اما الان . فقد تغيرت الحال . فاني لا امر برجل الا حدجني ببصره .

تصوروا يا سادتي سافرة تحادث احد كم . فابدت حركة تشير الى استحيائها او خوفها منه ، او جهرت له بذلك . افلا يدعو مثل هذا الحديث شياطين تحضره ؟ وهل تعني حركة سدل النقاب في وجه الرجل . شيئاً ، غير مثل هذا الاستحياء وهذا الخوف ؟ فلا كان مثل هذا الحياء . ومثل هذا الخوف . ولا كان النقاب اذا كانا وكان مجلبة للشياطين .

او تصوروا انها اخذت تباحث احد كم في الممنوع بينهما . وفي تديّنها وخوفها من الله في ارتكاب الممنوع . افلا يتضمن ذلك تذكيراً بالممنوع . وترغيباً فيه ؟ أو ما تعني حركة سدل النقاب في وجه الرجل هذا المعنى ؟

وقد تعوّدت بعض النساء ، سوء الافتكار ، حتى انهن لا يتكلمن كلاماً ، إلا اردفنه بعد كل عبارة بقولهن [بلا معنى] . انهن يحسبن ذلك ادباً ، يمنع سوء تأويل كلامهن . ولكنهن لا يدركن ، او لا يردن ان يدركن ، ان ترديدهن كلمة [بلا معنى] سبب يحدث ذلك المعنى الشرير في فكر القائل ، وفكر السامع ، ولولاه لما خطر الشر حينئذ في بال .

وما اشبه كلمة [بلا معنى] من حيث المغزى والمرمى ، بحركة سدل النقاب في وجه الرجل ، اذ ان كلاً من الكلمة والحركة المذكورتين ، ليس إلا مهمزاً للشياطين في مضمار من سوء الافكار .

اتركوا النساء على البسيط يا سادتي . اتركوا عقولهن وافكارهن تشتغل بالعلم وبالامور النافعة ، وبالتفكير في ما عملن وفي ما يجب ان يعملن لخيرهن ، وخير عيالهن ، وخير بلادهن ، وخير البشر . افتكروا قليلاً في تربية ارواحهن ، ولا تحصروا كل افكاركم في شكل ملبسهن .

اذا خفتِ يا سيدتي من الفتنة ، فارمي نقابك واسفري ، فقد اصبحت الفتنة وامست في النقاب لا في السفور .

يا سيدتي ، ان كل سجيَّةٍ في النفس ، لا يتم رسوخها ، ما لم تصبح فيها ملكة . والنفس راغبة في كل ما يعلي قدرها . فاذا رغبتِ ، ولا شك انكِ راغبة ، في ان يكون نقاء الروح فيك ملكةً ، فارمي النقاب ، واكشفي وجهك .

ان الوجه مرآة الروح ، فالمرأة الشريفة تجتهد لتجعل روحها نقية دائماً ، فيظهر في وجهها نقاؤها . وان اعتيادها الدائم ذلك الحال ، يجعل نقاء الروح فيها ملكة راسخة

اما اذا سدلت النقاب ، وهو وجه مزوَّرٌ يستر الوجه الحقيقي ، فلا مرآة هناك تُرى ، ويُرى فيها نقاء الروح

ولا تعترضي عليَّ يا سيدتي قائلة : ان كشف الوجوه لم ينفع بعض

الرجال ، اذ لم يجعل تلك الملكة ترسخ في نفوسهم .

فيا سيدتي ، ان ما حرم بعض الرجال رسوخها ، هي القاعدة الفاسدة التي اتخذوها « عيب الرجل على زر مداسه » .

فلينبذوا هذه القاعدة الفاسدة ، وليعلموا ، ان نقاء الروح مطلوب منهم . كما يطلب من النساء ، تصلح فيهم الروح ، وترسخ تلك الملكة .

يا سيدي الرجل

اني لأراك قد منعت السفور ، وقبلت التزين والتبرج في الزي والغطاء . ولم تفتكر ان الريبة او الفتنة ، اضحت في زماننا تنتج عنها اكثر جداً مما تنتج عن السفور .

الم يصبح التبرج اي اظهار المحاسن والتغنج . مشهوداً في نوع الحجاب وفي الازياء الحديثة التي عم امرها فيما بيننا ، والتي نشهد صورها المكبره كل يوم في احياء المدن ، حتى اضحى الحجابيون انفسهم ، يقرأون على السفور الف صلاة وسلام .

※※※

وهنا انقل صفحة من كتاب « الدين الاسلامي واللورد كرومر » للشيخ مصطفى الغلاييني قال فيها « ان الحجاب قديم موجود في الشرائع قبل الاسلام ، وليس هو من مخترعاته . غير ان الحجاب بشكله الحاضر لا دليل عليه من القرآن ، ولا من السنة الصحيحة ، بل ان المسلمين ، اقتبسوه من مجاوريهم ومخالطيهم من الامم . على ان الحجاب بهذه الحالة المألوفة

اليوم · هو ما ينهي عنه الشرع الاسلامي · وذلك انه امر الرجال بغض البصر عن النساء · كما امرهن كذلك · وذلك لخوف الميل اليهن · ومن يتأمل في الحجاب المضروب اليوم · على وجوه بعض النساء ير انه ادعى للميل. مما لو كن غير متحجبات · لانه اظهار للزينة التي امرهن الله باخفائها . فهو يغرّر الاغرار · ويستميل الاشرار · وكثيراً ما يشف عن جمال باهر، ووجه حسن · وقد يكون الامر بالعكس ... وانّ ما نشأ بعد الصدر الاول من ستر الوجه واليدين · فليس مما تأمر به الشريعة »

انشدك الدين والشرف يا سيدي · ان تخلو لنفسك ، وتُطلِقَها من قيود العادة · ثم خذ السفور مع القبعة والرصانة الى جهة · وضع الملاءة في زيها الحديث والنقاب الحاضر الى جهة · واحكم في ايهما أبعدُ عن التبرج · وأدفع للفتنة التي يقولون · واحكمْ في ايهما مصلحتك وشرفك· أليس من مظاهر التبرج في الملبس والغطاء الحديثين · أن بعض ناقصات الاخلاق من غير المحجبات يتحجبن احياناً على الزيّ الحديث الفتان · تبرجاً، يعرضن به انفسهن · مدعيات انهن مسلمات · من بيوت اكابر المسلمين ؟

أيرو ُقكَ ان يظن هذا الباطل حقاً يا سيدي الرجل ؟ ام يجب أن يروقك سفور الحقائق كما هي · ومنها المرأة وهي حقيقة ذات حياة · أجدر الحقائق بالسفور؟

❀ ❀ ❀

السفور والحجاب

سادتي وسيداتي

جاء في كتاب الكفاية، لذوي العناية، تأليف المرحوم مفتي بيروت السابق ما نصه « حق الزوجة على زوجها، هو احتمال الاذى منها ترحماً عليها لقصر عقلها، والحلمُ عليها عند طيشها. واذا وقع نفور او نشوز منها، أدّبها، وحملها على الطاعة قهراً، فان لم تطع ضربها ضرباً غير مبرح، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظماً، ولا يدمي لها جسماً، وحق الزوج على زوجته، ان تتطيب له وتتزين ولا تخرج من بيتها الا باذنه، واذا خرجت من بيتها بأذنه فلا تخرج متعطرة اومتزينة. ولو أذنَ لها في ذلك. فان الملائكة تلعنُها حتى ترجع » ذلك كله خوف الفتنة.

سيداتي، فلنشكر للرجل فضل تسليمه بهذا الحق عليه للمرأة! حق الترحم عليها لقصر عقلها! والحلم عليها عند طيشها! وحملها على الطاعة قهراً، بضربها ضرباً غير مبرّح، يؤلمها، ولكن لا يكسر عظمها، ولا يدمي جسمها، وليس لي ان اجول في حلبة المطالبة بهذا الحق وتأمينه: لأن سادتي الرجال، سلموا به طوعاً ولا يزالون مسلمين، سواء كانوا في الحقين منصفين، او غير منصفين، وسواء كان ضربُهم المرأة، حملاً لها على الطاعة الشرعية، او فشاً لغضبهم.

يا سادتي الرجال، ذلك هو حقكم الشرعي قد تبيّن، وهو ان تتطيب لكم المرأة وتتزين، واذا خرجت من بيتها باذنكم، نزعت الطيب

والزينة ، والاذهبت وآبت ملعونة . واذا اردتم يا سادتي الرجال ، وانتم لا تعدلون عن المطالبة بالحق هذا مثلما عدلتُ انا عن المطالبة بحق المرأة ذاك ، فطالبوا به لا بغيره ، كلفوا نساءكم — ان قدرتم — ان لا يتزينّ خارج بيوتهن ، لئلاً تلعنهن الملائكة في ذهابهن وايابهنّ . واسمحوا لهن بالسفور . انه حقهن عقلاً ونقلاً ، وهو للحياة من ضروريات الامور ، انه لا يستوجب لعنةً من ملائكةٍ ولا من بشر ، بل لا يتصور الناس ملائكة الا في عالم سفر .

❀ ❀ ❀ ❀

سادتي وسيداتي

نتكلم الآن في الامر الثاني ، وهو الخوف من الرجل ، ان تبلغ من نفسه الفتنة حد الفجور .

يقال ان الرجل ، اذا افتتن وتبع هواه ، لا يقدّر عواقب ، بل يرتكب كل كبيرة ، فتمسي اعراض النساء عرضة لتعرض الرجال . ويذكر رجالنا حوادث شتى ، حتى ان بعضهم ، يذكر ما فعله النبي داود عليه السلام ، لما رأى من اعلى سطحه بثشبع تستحمُّ وافتتن بها . واني أُقدِمُ على ذكر رواية التوراة ، لانها تاريخ مقدس هو مرجع عالم يزيد على خمسمائة مليون من الناس ، ولكل ما يعتقد . اذكرها مع مطلق التفكير الحر ، وما هي الا صورة من صور التاريخ ، التي تُظهر احوال الازمنة القديمة التي يتغنى بها بعضنا . اذكرها لان ذكرها في التوراة ، يدل على حال تلك الأزمنة ،

لا لاني معتقدة صحتهـا فالاعتقاد امر آخر ، وقد ذكرت للسبب نفسه ، رواية المفسرين ، عن شكل تبرج النساء الفظيع ، في الازمنة المذكورة ،من الجاهلية الاولى ، اي زمن داود وسليمان عليهما السلام .

جاء في التوراة ، الاصحاح الحادي عشر من صموئيل الثاني ، ان داود النبي رأى من اعلى سطحه في اورشليم ، بتشبع زوجة اوريا الحثي تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فارسل رسلاً واخذها ، وادخلها اليه ، وحبلت منه ، ثم دعى النبي زوجهـا اوريا اليه ، فاكل امامه وشرب وأسكره ، وبعدئذٍ ، ارسل معه مكتوباً الى يواب القائد ، الذي كان محاصراً بني عمون في ربه . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت . وهكذا جرى ، فضرب اوريا وقتل ، وبعد ان ندبت بتشبع بعلها ، وانقضت ايام المناحة ، ارسل داود وضمها الى بيته ، وصارت له امرأة ، هي ام سليمان الحكيم ، وهو ولده الثاني منها .

نعم ، لو تصورنا ما روي عن النبي المشار اليه عليه السلام ، مع انه كان زوجاً لاكثر من ثلاثماية امرأة ، لسهل علينا ان نتصور ما فعله غيره من قبله ، وبعده . فنقضي حينئذٍ ان الحق للاقدمين ، في سترهم وجوه نسائهم خوف الفتنة ، وفي وضعهم الاقفاص على بيوتهم ، لئلا ترى النساء ، مع انهم على ما يظهر ، كانوا يتركون نساءهم تستحم في محال تشرف عليهـا ابصار الرجال من اعلى السطوح .

ولكن ، بما ان رواية التوراة هذه ، غير مسلم عندنا انها صحيحة كما وردت ، فلا ارى جائزاً أن اتخذها موضوعاً للبحث ، إذن لنبحث عن غيرها .

اجل ، مضت ازمنة كثيرة ، ومنها زمن الانكشارية وغير بعيد منا عهده ، اضطر فيها الناس الى اخفاء اموالهم ، وجواهرهم ، ونسائهم ، خوف اعتداء الاشرار ، وتسلط المستبدين ، والى اخفاء معتقداتهم وافكارهم ، خوف علماء السؤ والمرائين الماكرين . وما اكثر هؤلاء واولئك في تلك الازمنة . فقد كان في كل بلد ممن وصفت ، جماعة يرون انفسهم سادة ومسيطرين ، ورجال البلد ونساءه عبيداً لهم وإماء . ولا بدع ، فان النفائس كانت رهينة السلب ، والنفوس رهينة القتل . والاعراض في خطر . وكانت المصارحة بالمعتقدات والافكار ، مدعاةً للوقيعة ، فان الفاقة المادية ، فضلاً عن الفاقة الادبية ، كانت في اشد حالاتها ، حتى ضرب المثل بمن تحسب ثروته بالفة كيساً خمساية قرش ، وسمي عالماً من ألمّ بالقراءة والكتابة . تلك احوال كانت تعقد الألسنة ، وتكسر الاقلام ، وتغلّ الايدي ، عن تناول اسباب الحياة ، وتقيد الارجل عن السير والسفر للتقدم والفلاح . كيف لا وقد كان الناس ، لايجرؤون على الخروج من بيوتهم ، ما لم يكونوا مسلحين بانواع السلاح .

واني اذكر من اغاني العرائس القديمه ، تلك الاغنية المشهورة :

« بيّك يا مليحا راحْ عَالشّام وحدُو ، بيّك يا مليحا بو زيدِ الهلالي »

وقد ذكر في كتاب الكفاية ، انه يحرم على الانسان ان يسافر وحده لما فيه من الخطر . اني اذكر حقائق يا سادتي، ولا اصور خيالاً ، ولا اؤلف « الف ليلة وليلة » جديداً . ذلك يفعله المدافعون عن الحجاب .

افلا ترون يا سادتي وسيداتي ، ان غطاء النساء وحجابهن ، مبنيّ على حكمة اخفاء المال والجواهر ، بالنظر الى تلك الاحوال الخطرة؟ وهل ترون من حاجة ، الى ان نتبع في عصرنا طريق حكمة الاخفاء ؟ ثم الا ترون، ان الحكومات قد نُظمت تحت راية السيادة العلمية الحرة، تنظيماً متوالياً تصان به الاعراض ، وتحفظ النفائس والنفوس ، وقد امتد رواق العلم والامن ، فترعرع تحته الأدب ، ونشأ الانسان على المبادئ الشريفة الحرة، فتقلصت ظلال المخاوف، اذ كثُر في الحكومات الرقيب والمشارف.

الا ترون الحكومات الحاضرة ، وقد تألفت تحت راية السيادة العلمية الحرة الراقية يوماً فيوماً ، فتحرر الرجل وفكره ، وارادته ومعتقده ، ولسانه وقلمه ، وتحررت المرأة كما تحرر الرجل ، في كل العالم الراقي حيث يُكمل الرجال ادبَ النساء ، ويُكمل النساء ادبَ الرجال ؟

اولا ترون الوفاً من الفتيات والسيدات يضربن ، مجتمعات ومنفردات ، في مشارق الارض ومغاربها ، ويطفن العالم ، على اتم ما يكون من الثقة والطمأنينة ؟

الا ترون الوفاً من الفتيات والسيدات السافرات ، اللواتي يشبهن

البدور ، يمرحن في الشوارع والمتنزهات ، ساعيات لخيرهن ، وخير بني البشر ؟

الا ترون الجواهر النفيسة ، وبعضها يساوي الملايين ، تُعرَضُ في الاسواق ، لا حافظ لها غير لوح شفاف من البلور ؟ فمن يعتدي اليوم مهما كان شريراً شقياً على عرض غيره او جواهر غيره ؟

وعلى كل حال ، ان كان اخفاء النساء ، مبنياً على حكمة اخفاء النفائس خوف الافتتان ، فقد وجب على الرجل ، ان يحسن تطبيق الحجاب على هذه الحكمة ، وهل من اثر لهذه الحكمة ، ونحن نرى العجوز من جهة ، ولا خوف عليها ، تحجب الحجاب الكثيف الذي لا تخرقه عيون الناظرين ، ونرى الفتاة الحسناء من جهة اخرى ، تلبس الثوب القصير ، وترسل نقابها الناعم الشفاف وهو من دواعي الخلابة ، متبرّجةً به ، يزيدها جمالاً ، فتحدق اليها العيون ؟ فهل يُبنى كلٌّ من شكلي حجاب العجوز والفتاة ، على حكمة الخوف من الفتنة ؟ واذا افتتن الرجل بالمرأة ، فما ذنبها هي لتُخفي وجهها ؟

انكم تعلمون يا سادتي ، ان الدين انما وضع لخير الناس كافة ، والقاء السلام العام في الارضين . ومع ذلك فان العالمين المختلفين عقولاً وميولاً لم يسلموا من الفتنة فيما بينهم بسبب الدين نفسه ، فهل لنا والحالة هذه ، ان نخفي وجوه الدين دفعاً للفتنة ؟

هكذا ايها السادة وجه المرأة ، ان الله تعالى اودعه كل قواها التي

إن هي الا قوى الخير ، والصلاح ، والسعادة لها ولعشيرها وعشيرتها ، وللامة جمعاء . فان يقع في قلب مفتونٍ ما ، مضروبٍ على قلبه ، فتنة لم تعدَ الى غيره ، أيجب ان تُخفى وجوه النساء جميعهن ، خوفاً من ان يقع مثل تلك الفتنة ؟

ان من القواعد الفقهية « يختار اهون الشرين » فهل اهون الشرين في ستر وجوه النسآء جميعهن ؟

ومن القواعد الفقهية « الامر اذا ضاق اتسع » أفلا ترون انكم ضيقتم على النسآء ، تضييقاً مخالفاً امر الله وامر رسوله ، واقوال ثقاة الفقهآء والمفسرين ، فاقتضى الأمر ان توسعوا عليهن ، وتروّحوا عليهن ضنكهن ؟

❊ ❊ ❊ ❊

يا سادتي الرجال :

اذا زال المانع عاد الممنوع ، واذا بطل السبب بطل المسبَّب . فقد زال مانع السفور ، وزال سبب الحجاب ، فلنرجع الى ما يأمر الله به اولي الالباب .

قال حافظ ابرهيم شاعر النيل .

ليست نساؤكم حلىً وجواهراً خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها دولاً وهنَّ على الجمود بواقي
ربّوا البنات على الفضيلة انها في الموقفين لهن خير وثاقِ

وعليكم ان تستدين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

صدقت ايها الشاعر الكبير ، ان المرأة ليست حلية تصان في الاحقاق خوف الضياع ، بل هي رأس مال عظيم ، يستفاد منه لخير العيلة والامة. فلو تركناها مخبوءة في خدرها ، لكان مثلنا ، مثل قصير النظر ، الذي يخفي ماله في صندوقه . مكتفياً بتمتعه في مرآه . ولو أوتي الحكمة لأحسن انماءه واوتي به خيراً كثيراً . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَكْثَرُ ٱلْخَيْرِ فِي ٱلنِّسَاءِ)

سيداتي ، لم يبقَ من داعٍ في زماننا ، للخوف من الرجال ، انما يجب ان نخاف من نفوسنا ، ان لم نشرّفها بالتربية الصحيحة ،واني لأهزأ ،واهزأ جداً ، بعقل من يحسب ان في غطاء وجه محارمه بلوغ الأرب . ان السرّ في القلب يا سيدي الرجل . فلا تستبدل تهذيب النفوس والقلوب ، بغطاء الوجوه ، والا فانت من يعتاض عن اللباب بالقشور .

❀❀❀

سادتي وسيدتي

ان دين الاسلام ليس مختصاً بمسلمات المدن ، او بعيلات متسوّدات في القرى . اما التحجب والتخدّر ، فقد كانا مختصين بنساء العيلات الغنيات ، او المتسوّدات ، اللواتي تملكهن الغرور ، فاردن ان يمترن على غيرهن بالتحجب ، والتخدر ، والبطالة ، لا بالجد والسعي والفضيلة .

انهن لم يدركن واجبات المرأة . ووافقهن رجالهن بعامل الغرور

ايضاً وهم لم يدركوا تلك الواجبات ، او لم يريدوا ان يدركوا .

ولا اعلم ما اذا كان المخدَّرون والمخدَّرات ، والمفتخرون بالتخدير والتخدّر والمفتخرات ، يدركون معنى الخدَر والخِدر ولا أعلم ما اذا كان ربات الحجال يدركون معنى الحجال ؟

الخَدَر في القاموس ، الكسل والفتور ، وامذلال يغشى الاعضاء . والمكان المظلم الغامض . ومنه « اني اذا استخفى الجبان بالخَدَر » .

والخِدْر الظلمة . وستر يمدّ للجارية في ناحية البيت ، والحجال الخلخال ، فيالها من صفات ، تفاخر بها ربات الحجال المخدرات ! وكان مَثل اولئك المخدرات ، مَثل سادة الصينيين ، الذين يرون امتيازهم على غيرهم ، في طول اظافيرهم .

انهم يتخذون طول الاظافير ، دليلاً على غناهم ، واستغنائهم عن الجد والسعي في امور الحياة ، واعظم ما يهمهم ، ان لا تؤذى اظافيرهم ، التي قد يزيد طول واحدها على نصف ذراع ، انهم يجلسون على كراسيهم جامدين كالاصنام ، غير محركين من اعضائهم الا اللسان للامر والنهي ، واظافيرهم الطويلة معروضة على ركبهم ، يطعمهم الخدمة ويسقونهم ويلبسونهم ما شاؤوا من طعام ، وشراب ، وكساء .

انهم لم يدركوا واجبات الرجل .

ثم اخذت عادت التحجب تعم المدن ، حيث قلّت فيها سيادة بعض الناس على غيرهم ، فتبع الوضيعُ الرفيعَ تشبهاً تحت ستار التدين وخوف

الفتنة . واما القرى فبقي التخدُّر والحجاب فيها مختصين ببعض البيوتات .

ان سادة الصينيين يتخذون الاظافر الطويلة ، دليلاً على غناهم واستغنائهم عن الجد والسعي في امور الحياة، وهكذا سيداتنا ، ابتدأن في عادة التحجب والتخدر . اما في العالم السافر الراقي ، فان اصحاب الملايين والمليارات، فورد ، روكفلر، اديسون ، ماركوني ، باستور ، مادام كوري، اولئكم وامثالهم ممن عرفوا واجبات الرجل ، وواجبات المرأة ، ممن ملأوا الدنيا خيراً وفضلاً واحساناً ، لم يشاركوا ولا يشاركون سادة الصينيين ، ولا مخدراتنا باعتقادهم أن في الخمول، والكسل، والفتور ، والجمود، والبطالة، امتيازاً ورجحاناً على الناس . انهم يعلمون ان الخمول والجمود ، من مظاهر الموت لا من مظاهر الحياة ، انهم يعلمون كما علم الشيخ عبد القادر المغربي، ان عظمة الامم انما تقاس بمقدار سعي ابنائها ومحصول اتعابهم ، وكل امة انفت من الاعمال ، واستحلت طعم الراحة والبطالة ، اسرع اليها الفناء والاضمحلال ، وخلفها غيرها من الامم العاملة النشيطة ؟

الا ترون . ان الله جل وعلا ، لما حجب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، لاحوال مختصة ببيت النبوة . كأنه جل جلاله . خشي ان يتقلد نساء المسلمين ، نساء النبي صلى الله عليه وسلم . فينال المسلمين خسارة عظمى . تدارك الامر فصرح بقوله «يا نساء النبي لستن كاحد من النساء»

اجل ان الله جل جلاله . لم يرد ان نقيس انفسنا على نساء النبي صلى

الله عليه وسلم بالتحجب، وصرح بارادته تصريحاً، ولكن نحن خالفناه فكنا الخاسرين.

الصينيون ثاروا اخيراً على الاظافير وقطعوها، فاحرِ بكل من تعتمد على شرف نفسها، ان تثور على نقاب وجهها، فتمزق احشاء ذلك الذئب، الذي كثيراً ما عاث في هذا القطيع.

في شهر كانون الثاني الماضي، خطب الشيخ عبد القادر المغربي، في حفلة اقامتها جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت، خطاباً شيقاً تحت عنوان: « محمد والمرأة » قال فيه:

« وكلمتي في الحجاب، ان البشر من يوم اخذوا هذا الطور الاجتماعي، وجد فيهم طبقات ارستوقراطية، يرون من مصلحتهم او تميزهم، ان يحتجبوا ويقللوا مخالطة غيرهم من الطبقات، وهذا كما يفعل الملوك والملكات، بل عظماء الناس ونساؤهم، الى يومنا هذا. ونبوة محمد ليست من الارستوقراطية في شيء، فلم يضرب بينه وبين عامة الناس حجاباً، فكانوا يدخلون بيته لتلقي العلم، كما يدخل التلاميذ مدرسة استاذهم، لكن بعض هؤلاء التلاميذ، كانوا ثقلاء في حديثهم، ثقلاء في طور زياراتهم، فاشار عمر على النبي «ص» بمنع الناس من دخول بيته، فلم يوافقه النبي، احتفاظاً بما نسميه اليوم، ديموقراطية، وتجنباً المظاهر الملوكية، ثم اشتدت ثقالة الثقلاء، فنزل الوحي بحجاب نساء النبي «ص» وعدم دخول الناس بيته، اللهم الا في احوال خاصة، هذا هو المظهر الوحيد، الذي اضطر اليه النبي «ص» بسائق الحاجة الماسة، ثم اخذ المسلمون يقلدون نبيهم فحجبوا نساءهم، حتى اصبحت كل امرأة مسلمة، محجبة، وكل بيت لمسلم، بلاطاً ملوكياً، ولكن ما اسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات، وانما كل نسائها، ملكات محجبات!»

وخطب في النادي النسائي العربي فقال « ان الغرض من حجب المرأة عن الانظار، ومنعها عن مخالطة الرجال، انما هو التبجيل والتكريم، لا الاهانة

والتحقير ، وكيف يكون حجب المسلم لامرأته تحقيراً لها واهانة ، وهو بسبب هذا الحجاب اصبح خادماً لها حابساً نفسه على قضاء حاجاتها ؟ انه يعدها جوهرة نفيسة فيحفظها في خزانته تكريماً لا تحقيراً .

لكن الحق يقال انــه يجب ان لا يمنع الحجاب المرأة المسلمة من تحصيل العلم الذي في تحصيله حفظ لحقوقها الشرعية . فالاعتدال في الحجاب لازم على كل حال، والا عم الجهل وساء الحال . اما رفع الحجاب بالمرة ، واعطاء المرأة حريتها المطلقة في مخالطة الرجال ، من دون ان يكون لوليها حق مراقبتها ، فهذا ضار جداً »

هذا ما قاله حضرة الشيخ ايها السادة والسيدات فاقرأوا من خلال السطور ما يرمي اليه .

انتبهوا الى عبارته القائلة : « ما اسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات . وانما كل نسائها ملكات محجبات »

انتبهوا الى قوله : « ان الاعتدال في الحجاب لازم على كل حال والاُ عمّ الجهل وساء الحال »

انتبهوا الى قوله « اما رفع الحجاب بالمرة . واعطاء المرأة الحرية المطلقة في مخالطة الرجال، من دون ان يكون لوليها حق مراقبتها فهذا ضار جداً . »

انتبهوا الى القيود التي وضعها لتجعل مخالطة الرجال والنساء ضارة. وانتبهوا الى المفهوم المخالف. تروا ان لا فرق مطلقاً بين ما نطالب وما حكم لنا به الشيخ الفاضل بموجب شرع الله .

ومن من المسلمات ترضى برفع الحجاب بالمرة . وبكشف العورات من مثل صدور واعضاد .

ومن منهن ترضى بالحرية المطلقة في مخالطة الرجال بدون حق المراقبة ؟ بل إنا نعتبر ان مراقبة الجنسين كل منهما الآخر في المخالطة، امر لا بد منه لصيانة الجنسين وتكملها آداباً .

ولكن يظهر ان حضرة الشيخ لا يزال يخشى علماء السوء ، فيريد ان يفهم الامة بالرموز ، رموز ينتبه اليها العاقلون والعاقلات ، فيعرفون ان الحجاب ليس من الشرع المنير . بل مما يفضي بالعيلة والامة الى سؤ الحال والمصير ، ويموّه بها على الجاهلين والجاهلات فيفتخرون بالخيال ، كأن المسلمات المحجبات ، ومنهن العجائز والمشوهات ، كلهن جواهر فاتنات مكنونات في خزائن القصور ، او كأنهن ملكات جالسات على السرير. ما اجمله من خيال ، لربات الحجال! وما اسوأ المآل ، بهذا الحال !

كنت اود بعد ان قرأت كتاب الشيخ النفيس (الاخلاق والواجبات) ان لا يلتقط الناس اللآلئ من فمه الا نقيةً ، لا تشوبها شائبة ، فرمى بها اليهم في اصدافها .

ولكن يا سيدي الشيخ اصحيح ان الملكات والارستوقراطيات في الدنيا ، يضعن النقب على وجوههن متحجبات بها عن الناس ، كما وضعتها المدنيات منا حتى المتسولات الطائفات على الابواب وفي الطرقات ؟

أيجوز تشبيه المرأة من جهة المعاملة ، بالجواهر المادية التي لا روح لها؟ وهل كل مسلمة جوهرة نفيسة مملوكة مادةً لكل مسلم ليحرمها نعمتي الحرية والارادة ، وينزلها الى دركة الجماد ؟ وان كانت المرأة جوهرة الرجل ، فلماذا

لا يكون الرجل جوهرة المرأة فتخفيه مثلما يخفيها تجيلاً وتكريماً؟ وهل سمع في الدنيا ،انه يحبس ويحجب عن الأنظار ، ويمنع من الاختلاط ، الا المتهمون والمتهمات، والمجرمون والمجرمات؟ فكيف يكون ذلك الحبس والحجب والمنع تجيلاً وتكريماً للمسلمات؟

اجل هكذا ابتدأ الحجاب في المدن حتى عم، ولكن السافرات في القرى لم يزلن عشرة اضعاف المحجبات في المدن واكثر . فلو كان السفور محرماً لمنع الاسلام منه القرويات والاعراب،ولم نسمع قط عالماً خطر بباله ان يمنع القرويات من السفور .

❀❀❀

سادتي اهل المدن :

اخاطبكم، ولا اخاطب الاعراب، واهل القرى من الاسلام، اذ يظهر انهم خافوا الفتنة ، والضرر من النقاب ، لا من السفور فسفروا .

المسئلة يا سادتي هامة ، لا يترتب عليها مستقبل المرأة فحسب ، بل يترتب عليها مستقبل الامة جمعاء . المرأة نصف الامة ، والام حياتها . فاعذروني في قولي ، اني رأيتكم غير منصفين ، في الخوف من الفتنة ، كما رأيتكم غير منصفين ، تجاه دليل الغض من البصر .

واني رأيتكم في تقليد النقل، كما اني رأيتكم في تطبيق حكم العقل، غير منصفين ، وذلك لانكم لم تكونوا تبعاً لقول الفقهاء ، بستر وجه الشابة عند خوف الفتنة ، بل سترتم سواء كان من محل للخوف ، او لم يكن ، سائر النساء كيف كانت حالاتهن ، اللهم الا اذا كانت بعض القواعد

والعجائز ، والمشوهات ، ومن ضنّ عليهن الطبيعة بالجمال ، فلا تخشى منهن الفتنة ، قد تكلفن من تلقاء انفسهن الحجاب والنقاب ، على امل ان تحدّق اليهنّ العيون ، كما تحدّق الى الشابات الجميلات ، فتنبسط نفوسهنّ بخيال من الشباب اومن الجمال ، فتكون التبعة حينئذٍ عليهن لاعليكم .

سادتي

الا ان الحق قد ظهر ، يراه كل ذي بصر ، واودُّ لو جانبتموه واقفين الى جنبه ، بدلاً من أن تجانبوه كأنكم لستم من اهله او حزبه ، قال حافظ ابراهيم الشاعر المصري الكبير ، يخاطب قاسماً اميناً ذلك المصلح الكبير :

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم فلم يفقهوا بالسِفر ما انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
فلو خطرت للناس حواء امنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمد وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لهم ان السفور محالٌ لقالوا نعم حقٌ ولكن نجانبه

ولابد لي هنا من ان اذكر ما علقه على هذه الابيات ، حضرة الكاتب الاجتماعي ، محمود توفيق بك حيث قال :

«كأني بحافظٍ يقول لقاسم امين ، قمت تدعو نساء المصريين لرفع

الحجاب ، وقد نطقت صواباً ، ولكنهم لا يفهمون الصواب ولا يتبعونه، بل انهم افرطوا في الاصرار على الباطل ، والتهافت على الضلال ، فلو قام غيرك ينادي رجالهم ، ان يتخذوا لهم نقاباً كالنساء ، لجاروه على ذلك الخطأ، ولبوا دعوته ، فاصبحوا وكلهم متبرقعون . ولو جاءتهم حواء امهم ، وفي يدها مريم العذراء ، مكشوفتي الوجه ، دليلاً على رفع الحجاب عن النساء ، ومعهما موسى وعيسى واحمد عليهم الصلاة والسلام، يؤيدون دعواها ، ويفهمون الناس لذلك ، معنى ما انزل الله تعالى على لسانهم، في كتبهم المقدسة، من التحليل للكشف عن وجه المرأة، واختلاطها بالرجال وعدم مغايرته للأوامر الالهية ، ومع الجميع جم غفير من الملائكة المقربين مصدقين بلسان الحق جل شأنه لما يأمر به هؤلاء الانبياء ، لما كان نصيبهم منهم ، الا الرد والعصيان ، ولقالوا لهم صدق الله العظيم ، وبلغ كل رسول كريم . ولكننا عن ذلك الحق نحيد ، ولا نفعل الا ما نريد . فانهم لا يمارون الا في الحق ، ولا يطيعون الا الظلم ولا يتبعون الا الباطل .

اجل تجانبون السفور وتحيدون عنه ، يا سادتي الرجال ، مع اعترافكم انه محلل وحق ، ولكن لا حباً للدين ، كما تموهون . اذ ان الدين هو الحق ، والحق هو الدين ، بل حباً للظلم ، للاستبداد ، للاستعباد . انكم تعودتم ذلك ، وتجنبون ، تبعاً لقاعدة اهل الشرق ، ترك العادة ، ولو سدت عليكم طرق الرقيّ والسعادة .

واأسفاه . انه لا يحكّم عندنا الله ، ولا يحكّم رسوله ، ولا يحكّم

العقل والدين ، ولا يحكِّم الحق . بل يحكِّم الهوى . والويل لامة يُحكِّم فيها الهوى .

« اذا رأيت الهوى في امة حكما فاحكم هناك بان العقل قد ذهبا »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « يقول الله عز وجل : وَعِزَّتي وَجلاَلي وعظَمتي وَكبرِيائي ، وَنُوري وَعُلوِّي ، وارْتِفاع مكَاني ، لاَ يُؤثِرُ عبدٌ هوَاهُ عَلَى هوَاي إلاَّ شتتُّ عليهِ امرَهُ ، وَلبست عليهِ دُنياه ، وَلمْ أُوتهِ مِنهَا إلاَّ ما قدَّرتُ لهُ . وَعِزَّتي وَجلاَلي ، وَعظَمتي وَنوري ، وعلوِّي ، وارْتفاع مكَاني ، لاَ يؤثر عبدٌ هوَاي عَلَى هوَاه إلاَّ استحفظتهُ ملاَئكتي ، وَكفلَت السَّموَات والأرض رزقَه ، وَكُنت له مِنْ وَرَاء تِجارَة كُلِّ تاجر ، وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ مُرْغَمَة »

اجل ، قد تجانبون السفور يا سادتي ، مع اعترافكم انه محال وحق ، ولكن لا حباً للدين كما تموهون ، فانكم لو كنتم عاملين للدين ، لما حلّلتم في قوانينكم ما حرّم الله ، ولما حرمتم ما حلّل .

[illegible]

[illegible]

... الحق ... إن الدين هو

الحق، والحق هو الدين ... الاستبداد ...

[illegible]

[illegible] الرقي والسعادة

والسلام ... [illegible]

[illegible]

القسم الرابع

المعارضات والردود

— ١ —

معارضة قاضي الشرع السابق ونظرات لي فيها

سادتي وسيداتي

اتصل بي ، ان احد قضاة الشرع سابقاً ، هو علم عندنا من اعلام معارضي السفور . وان له ادلته الساطعة وحججه الدامغة . فرجوت منه بالواسطة . ان يبين ادلته العقلية والنقلية ، لعلي أجد فيها من الحكمة ، ما يغير معتقدي ، ولا شأن لي الا التقاط الحكمة ، والرغبة في التكمل الادبي . فبعث الي بقصيدة له نشرها في جريدة البلاغ ، ذاكراً انه تم نظمها بفضله تعالى وكرمه ، يوم الاحد الواقع في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٤٥ يرد فيها على قصيدة الزهاوي ، المنشورة في جريدة الميزان ، وذكر اني سأجد فيها كل شيء لجلاء القضية .

قرأتها وقرأتها ، فرأيت ان أنقلها لسامعي الكرام محولة الى نثر ، محتفظة بمعانيها وتراكيبها والفاظها ، وما رأيت تحويلها الى نثر ، الا لكي لا يلهو القاريء او السامع ، بالترنم الظاهر اللفظي ، فلا يفطن للمعنى

والحكمة ، وهما الضالة المنشودة ، وما كان التغني هو القصد في هذا الموضوع ، بل الاستفادة علماً وادباً وحكمة . وهذه ادلة حضرته العقلية والدينية ، في قصيدته المذكورة .

قال :

«اولاً : ان عز المرأة يدوم ، بان تخضع لقوله تعالى (قَرْنَ) ، وبأن تغض هي الطرف عنا ، ونصوم نحن عنها . والمسلم الذي يقرأ الكتاب ، ويدعو لارتكاب الآثام ، هو ظلوم ، والمؤمن الذي يقرأ الكتاب ، ويقضي بخلافه هو زنيم .

« ثانياً : ان سفور النساء داء وخيم ، هتكَ العرض في البلاد ، وحل الهمُّ من فوق رؤوس العباد ، ويأباه التهذيب والتعليم ، وليس يرضاه غير نذل يبغي الخنا ويروم ، وليس يدعو اليه الا السفيه الرجيم ، وان من سفرت سفُلت بالخنا ، وان إبادة الحيا عنها ومنها ، توجب الخراب والتحطيم ، فالمرأة تعوم فوق شبر .

«ثالثاً : ان السفوريين يريدون ان يكونوا كلاباً ، وتكون نساؤهم كثور مستديم استماله ، مشاع بين الرجال .

« رابعاً : ان الاقوام التي قبلت السفور ، ضاعت انسابها ، وتعدى اللئيم على اعراضها ، وخربت بلادها ، وعمّ الجهل فيها ، وسفلت ، واستولى عليها الذلُّ والصغار ، وأتى اليها القحط ، وقلّت بركات السماء ، وحل الغلاء ، وقلّ الحياء ، وعدم الوفاء ، وتوالى عليها البلاء ، وسرت فيها

السموم ، وماتت المروءة ، حتى لم يبق فيهم من المروءة ميم .

« خامساً : خروج النساء من غير عذر سافرات، شرٌ خبث ولؤم ، اذ يتصدى السقيم لمن بارحت بيتها فهانت ، لان اسّ الغرام يقوم في الوجه ، والخدر هو الحصنُ الحصين ، الذي تُحمى فيه الاعراض والجسوم .

« سادساً : ان الحجاب طهر ، والسفور رجس ، فيه جهل وعذاب اليم ، والحجاب امرٌ قديم ، ويجب ان يقرّ هذا القديم ، لكي يَعرِف الغلامُ اباه ، وان بيوت الايتام والاديرة ، شاهدة على ذلك ، فكم فيهما من اولاد السفوريين المكتومة اباؤهم .

« سابعاً : زعموا ان السفور نافع لترقي المرأة ، ولكن كذبوا ، فهو خراب للبلاد ومُضيم للعباد ، كذبوا لان امرنا اعوجّ بالسفور ، ولا يستقيم بغير الحجاب .

« ثامناً : ان المرأة خلقت لما يرى ويروم ، اي قد خلقت لترفع الكون بهزّ سرير يقيم فيه الرضيع ، فتجعله مليكاً يدير البلاد وهو حكيم . ولم تخلق للرقص والخلاعـة والفحش ، لأن ذلك ذميم ، واجتماع الاجنبي بالعذارى مذموم ، وان من يسلم به ، فكأنه سلّم باجتماع الشياطين ، مع ملائكة الرحمن ، وليس للشياطين ان يقيموا معهن .

« تاسعاً : تبكيت للزهاوي ، لعدم بيانه برهاناً جلياً على دعواه ، كما بيّن هو ، ودعوة له الى التوبة ، وتذكير بان حياة الانسان تمضي ، ويبقى في الملا ذكره ، وتقضى الحلوم ، والسعيد السعيد ، من ترك ذكراً عاطراً جميلاً ، يدوم بعده » .

هذه هي ادلة مولانا القاضي السابق ، الذي استميح عفوه، لحلي الى نثر عقد قصيدته · ولكن محتفظة بتراكيبها والفاظها الاصلية ، لئلا يلهو الناس بالترنم ، بدلاً من ان يفطنوا لما فيها من البراهين ، والادلة والعلم والادب . ولا اعلّق عليها شيئاً بل اقتصر بالقول، ان هذه الادلة لا تقنع، ولسامعي وقارئي ان يقابلوا بين ادلة الفريقين والآداب والاخلاق والحقائق التي ذكرها كل منهما او اشار اليها · فيؤثروا احدى الخطتين . خطة مولانا القاضي الفقيه · او خطة هذه الفتاة .

على اني اعتقد اعتقاداً شخصياً ، انه لو اجاز مولانا القاضي لنفسه ، التعرُّف الى البيوت الشريفة السافرة — الى العيلات الشريفة ، السافرة، لا الى غيرها من السوافر — لو رأى مجالس تلك العيلات وفيها الانس والعلم والادب والوقار .

لو رأى كيف يُكمل هناك الرجالُ ادب النساء ، وكيف يكمل النساءُ ادب ، الرجال

لو رأى ، كيف تجري المناظرات هناك، على قواعد الادب ، يقودها العلم والعقل ، ولا يتحرّى فيها الا الحقيقة .

لو تأمل فرأى ، ان النساء المسلمات ، لسن دون غيرهن شرفاً في الفطرة ، وانه يمكنهن كما امكن غيرهن ، ان يتبادلن والرجال احاديث العلم والادب اذا سفرن ،

لو تأمل ، في ان طالبي السفور من الرجال ، ليسوا بانذال يرومون

الخنا كما يقول ، بل هم اولوا الشرف ، اولوا الالباب المتلهبة قلوبهم بالحمية لخير امتهم .

لو فطن ، ان في كل ما قاله اهانة عظيمة للمسلمات ، اذ ان السوافر الآن تملأ الدنيا . فلا تعجز المسلمات عن صون نفوسهن اذا سفرن كما تصون غير المسلمات السوافر نفوسهن

لو علم ان كثيرين من الاطفال ، المكتوبي الآباء ، لم يُرمَ بهم الى حضن الراهبات خادمات الرحمة ، الا مسترين تحت ملاءة محجبة .

لو سافر الى بلدان العالم السافر الراقي ، حيث يختلط الرجال والنساء ، بالمعنى الذي يقصده اهل الادب ، ورأى ما في بيوت النبل هناك ، من العرض المصون ، والمروءة الخالصة ، والادب الصحيح ، وحفظ الانساب ، وما في تلك البلدان من بركات الله وخيرات البشر .

لو افتكر ان الامم الاسلامية المحجبة ، امست محكومة مادياً ومعنوياً لذاك العالم .

لو نظر على الاقل ، الى محلات العيلات السافرة ، في دار الخلافة ، ومدن الدولة العثمانية الاسلامية قاطبة ، ورأى انها اجمل المحلات في المدن المذكورة ، واوسعها طرقاً ، واكثرها نوراً وزهوراً ، وانتظاماً ونظافة ، مع ان الحكم كان للمسلمين وزمام البلديات في ايديهم .

لو تحرى الداء الذي اورثنا ما اورث من الضعف والانحطاط والتأخر

لو تأمل اقل تأمل ، في قوانين العالم السافر ، ومؤلفاته الخلقية والادبية ، وهي مظهر من مظاهر رقيه في الاخلاق والاداب .

لو كان له كل ما ذكر – وهو عالم فاضل احترمه واجلّه ، ولم اجادله الا في سبيل الدفاع عن الحق – لتغير قلبه ولسانه في موضوعنا ، ولغيّر كثيراً من ابيات قصيدته ، ولربما عاد ينشدنا من الثناء على السفور وعالمه ، قصائد خالدة .

– ٢ –

معارضة الشيخ سعيد البغدادي ونظرات لي فيها وردود

سادتي وسيداتي

عرفت انه نشر في بغداد رسالة هامة عنوانها «السيف البارق في عنق المارق» من تأليف العلامة الفاضل والمرشد الكامل ، الشيخ محمد سعيد ، المدرس في حضرة الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه . بيّن فيها حكمة الحجاب للنساء . فاستجلبتها آملة ان اجد فيها ضالتي المنشودة ، بارقةً كعنوانها ، لصدورها من مثل مؤلفها المدرّس المرشد ، وهي مطبوعة في مطبعة الولاية سنة ١٣٢٨

ان الرسالة المذكورة ، تبحث في اول الامر ، كما هو مكتوب فيها حرفياً ، عن « ورود بعض الجرائد ، ناقلة عن بعض الملاحد ، ما لم يلمع بارق الصلاح على سطر حروفها ، ولا اكتحلت عين بصيرة نامقها باثمد الهداية لغواية وقوفها ، كفره صريح ، وكلامه قبيح ، نبذ دينه وراءه

ظهريا ، واتخذ الكفر الصريح لباساً وزيّاً »

ثم تبحث عن اربعة اسئلة في شأن المرأة .

السوال الاول : لماذا يجب رضاء المرأة في الاقتران ، ولا يجب رضاؤها في الفراق ؟

السؤال الثاني : ما الحكمة في اعطاء الذكر مثل حظ الانثيين ؟

السوآل الثالث : لِمَ كانت شهادتها نصف شهادته ؟

السوآل الرابع : ما حكمة الحجاب والتستر ؟

واني لا اتناول هنا من اقواله ، الا ما ذكر عن حكمة الحجاب والتستر ، غير مستغنية عن نظرة الى الطلاق ، لشدة تعلقه بتحرير المرأة ، وقد كنت القيت في الجولات العامة نظرةً على سبب تنصيف المرأة في الشهادة والارث

قال حضرة المرشد المشار اليه : حكمة الحجاب والتستر من وجوه خمسة ، وسردها كما سأوردها بحرفها ، معلقة على كل وجه منها ، كلمة صغيرة ، أشرت فيها الى السبب الذي حال دون اقتناعي بصحة ذلك الوجه وصوابه

قال حضرته :

الوجه الاول « ان كشف الحجاب يورث الحسرات ! ويجلب الزفرات ! فيرى الانسان ما ليس قادراً عليه ، ولا صابراً عنه ! وهذا من اعظم العذاب ! واشد الاكتئاب ! واذا مشت المرأة كاشفة نقابها مايسة بين اترابها ترى ارباب الغلة لا يهجعون ! ولا بعمل من الاعمال يشتغلون ! فان قيل ان الاجانب على هذه الخصلة عاكفون ، وبهذه الرذيلة راضون !

اقول هذا منهم بحسب الظاهر والا فقلوبهم من هذه الحالة محترقة واكبادهم ممزقة! ليس لهم اطمئنان باولادهم! لا راحة لهم اذا خرجوا، بل يصاحبون ازواجهم اناء الليل واطراف النهار خشية العار ونزول الدمار! والمسلم المحمدي امين على اولاده، مطمئن في ذهابه وايابه. يسافر الاسفار البعيدة، وهو منشرح الصدر والفؤاد. لا يخشى العواقب ولا تدهشه المعاطب»

قلت : اذا كان يجب ستر ما يراه الانسان مما ليس قادراً عليه . ولا صابراً عنه، فيجب ان يستر عن كل انسان كل ما يشتهيه . وعن الفقراء كل ما عند الاغنياء ، من بيوت وملابس ، ومآ كل ، واسباب الرفاهية على انواعها .

وقلت: لو كانت قلوب الاجانب محترقة، واكبادهم ممزّقة من السفور، لابدلوا الحجاب منه ، فالاجانب ليسوا بعبيد للعادة مثلنا ، بل هم احرار ، يبدلون ما شاؤا ويتبعون الامر الاصلح .

وقلت : ان مصاحبة الاجانب ازواجهم ، آناء الليل واطراف النهار، أبعدُ عن العار ونزول الدمار ، واقرب الى حكمته تعالى ، من جعل الرجال قوّامين على النساء. على اني ارى انه اذا سافر المسلم المحمدي ، معتمداً على الحجاب وحده ، كما يقول سيدي المرشد، لا على شرف المرأة وابائها، وادب نفسها كما اقول ، كان قصير النظر جداً وصفقته خاسرة .

علِّمِ الفضيلة يا سيدي، علِّمِ الفضيلة ، واعلم ان زمام الأنسان في يد روحه ، لا في يد جسده .

❋ ❋ ❋

كان يجب عليك يا سيدي المرشد ، قبل ان تسند الى الاجانب اهل السفور ما تسند ، ان تدرس اخلاقهم وادابهم، ولا تكتفي بالتخيّل تبعاً للهوى .

واني انقل لك فقرات من محاضرة الآنسة عنبرة سلام ، من اديباتنا المعروفات ، وهي المحاضرة التي القتها اخيراً في بيروت . بعنوان « شرقية في الغرب » علّك تقرأ المحاضرة وتأخذ منها عبرة ، وترى كيف يكون عفاف الجنسين والادب .

فقد قالت فيما قالت : « لم اعجب لشيء في انكلترا . عجبي للحرية الشخصية ، التي تحس انك تتنفسها مع الهواء ، والممنوحة باوسع معانيها لكل انسان ، ما دام لا يخل بالنظام ، ولا بالآداب العامة ، ولا بالامن العام . . هذه الحرية التي تجعل منهم اسياداً طابق الرأي والقول والعمل ، لكل منهم مبدأ خاص لا يخشى اعلانه ، وشخصية محترمة لا تستعبدها القيود . ولكم كنت اطرب اذ اراهم يسيرون في حياتهم بصراحة لا تشوبها مواربات ، لانها تأبى لهم الاتيان بصغارات قد يلجأهم اليها السير في الخفاء .

انطلق كما تشاء ، وتحدث بما تشاء ، فانت متمتع بنعم البلاد ، والحرية معبودة الجميع . ولكنها حرية تهذبها المدنية فلا تظهر خشنة ولا طائشة .

وبادب راق خال من الادعاء الفارغ ، وباحترام لا تشوبه مبالغة، تعامل المرأة كيفما اتجهت ، واني اقول ، واكاد لا اصدق ذلك ، بانني اقمت في انكلترة سنتين لم اسمع فيهما كلمة تخدش الاذهان ولم أرَ نظرة توجه الى امرأة بفضول . وقد بقيت اشهراً عديدة اذهب صباح كل يوم مقدار ساعة بالقطار لآخذ دروساً في الانكليزية ، والازدحام يكون على اشده في ذلك الوقت . والقطارات ملأى بالفتيان والفتيات ، كنت اقصد دائماً ملاحظة ادابهم . فما كنت ارى رجلاً الا معه جريدته يستغرق في قراءتها ، وكل فتاة تتلهى بجريدة مصورة ، او تفتح كتاباً ،

او تخرج من حقيبتها شغلا تتابع حيكته بالصنارتين . حتى اضطررت ان افعل مثلهم ، واهيىء كل يوم شيئاً اقرأه في القطار

وقد نالت الانكليزية من الحقوق العامة ، ما يمكنها ان ترفع رأسها به تيها ، امام الامم ، حتى نالت مؤخراً حق الانتخاب على اطلاقه . وبلغ عدد اللواتي لهن حق التصويت ، حسب الاحصاء الاخير ٩٢٢ ٨٣٢ ١٤ امرأة ، في مقابل ٧٩٩ ٦٩٧ ١٢ رجلاً

وكنت كما رأيت الفتاة الانكليزية تتمتع بنعم الحياة وافره ، اتمثل الجهود التي بذلتها في اجيال متطاولة ، لبلوغ هذه المرتبة الرفيعة ، ولكن رؤيتها كانت تثير في نفسي عاطفتين : كنت اعجب بها واغبطها ، مأخوذة اللب بهذه القدوة الحسنة ، ثم كنت اتألم واشكو الاجحاف من دنيا تحسب علي هذه الايام التي احياها من العمر، حياة » . » انتهى

قلت : من اراد استطاع ، فلتكن لنا قوة الارادة بان نتمتع بنعم الحياة وافرة ، ولنرم النقب عن ابصارنا وبصائرنا .ولنضرب عرض الحائط باقوال امثال سيدي المرشد ، ولنستعمل حقوقنا الشرعية التي خولنا اياها كتاب الله وسنة رسوله ، تصبح الايام التي نحياها من العمر « حياة » ، ويتم لرجالنا ونسائنا ذلك الادب الرائع . فليس غيرنا اولى منا بتلك الحقوق وتلك الحياة، وذلك الادب .

ان الله انزل علينا القرآن لنسعد لا لنشقى لنتحرر لا لنستعبد . لتَصلح اخلاقنا لا لتفسَد .

ثم قال حضرة المرشد :

الوجه الثاني : « ان كشف النقاب سبب قوي للعشق ، والقلوب مجبولة على رحمة العاشقين ! والمرأة لرطوبة مزاجها وبرودة طبيعتها

وكثرة حنانها كثيرة الانفعال مما تشاهده . فاذا رأت من العاشق احوال العشق ظاهرة ودواعي الغرام باهرة ، انكسرت اليه ، ومالت لديه. واذا حصل الميل ، فقد تم الويل . فهناك يحل الفساد ، ويختلط نسب الاولاد. فيجب على المرأة سدل النقاب على وجهها ، لئلا ترى احوال العاشقين فترحمهم ، وتحن عليهم ، وتميل لديهم ، وتنكسر اليهم ! »

قلت : لا حول ولا قوة الا بالله ، وهو حسبي ونعم الوكيل ! ولكني ارجو من سيدي المرشد ، ان لا يقيس كل النساء على ما رأى ، اذ يكون قياسه قياساً مع الفارق . ان هذا الوجه الذي بيّنه ، ليس من الشرع ولكنه معنىً مبتكر ، اتى به على ما يظهر سيدي المرشد ، بناءً على مشاهداته وتجاربه ، وكان عليه ان يجتنب قياس من لم يجرّب على من جرّب ، فلا يرمي النساء كلهن بمثل هذه الاهانة وفيها مفسدة للاخلاق .

ثم قال :

الوجه الثالث « ان الحجاب مما امتاز به الانسان عن سائر الحيوان . فالأسف على العاقل ، الذي يريد الترقي لبني نوعه ، ويختار لهم الصفة الحيوانية . ولكني لا الومه لأنه حيوان في صورة انسان . يريد لغباوة طبعه ، تلويث وجه الانسانية ، بما انطوى عليه من الصفات الذميمة » .

قلت : اذن الاولى بسيدي المرشد ، ان يحتجب ويضع النقاب على وجهه ، مثل النساء ، ليمتاز عن سائر الحيوان ، فالرجل اجدر من المرأة بهذا الامتياز ، لان عقله كامل ، وعقل المرأة ناقص ، كما زعم حضرته في

جوابه على السؤال الثاني في الرسالة المذكورة. وهكذا اقول، لكل من يقول ان الحجاب للمرأة ليس بدليل على تحقيرها، انما هو دليل على احترام الرجل اياها ، اني اقول له : اذن الاولى بالرجل ان يحرز مثل هذا الدليل على احترام المرأة اياه، فيحتجب ساتراً وجهه . والا فهو مراء فيما يقول و « إنَّ اللهَ حرَّمَ ٱلجنةَ عَلَى كُلِّ مراءٍ » .

ثم قال :

الوجه الرابع « لو ارخى الرجل عنان المرأة ، وجعلها مايسة في الطرقات ، تكلم الشريف والوضيع ، وتغدو الى الاماكن البعيدة والمتنزهات ، وتخالط الشبان ارباب الشهوات ، فربما يحصل الميل التام ، ويختلّ النظام وحينئذٍ تحل الفرقة ، وتكون الاولاد في الطرق ممزقة ، وتقل محبة الرجل لاولاده ، فينقطع النسل ، ويحصل العقم ، فلاجل هذا وما ضاهاه ، كان الحجاب من اتم اسباب الالفة وعدم الفرقة » .

وقال حضرة المدرس المرشد ، في بيان الحكمة من وجوب رضاء المرأة في الاقتران وعدم وجوبه في الفراق ، قال :

« اولاً ان سبب الفراق هو من سؤ اخلاق النساء ، وان المانع لهن عما يرديهن ، انما هو الزوج ، فلو علمت النساء ، ان عقدة الطلاق موقوفة عليهن ، لباشرن كل رديئة ، وفعلن كل خزية ، فتقوم الفتنة على ساق ، ويكثر الشقاق ، فيختل امر النظام ، وترتفع دعائم القيام ، فيثور حوله العار ويكثر الدمار ، فلهذا كثرت الفاحشة في الملة الراضية بهذه الرذيلة،

كما يشاهده من كشف على الحقـائق بالاسفار ، واطلع على الخفايا بمطالعة الكتب التاريخية والاسفار .

« ثانياً : ان الرجل بعد ما بذل المـال ، وتحمل الاثقال فقد صارت المرأة كالاسيرة تحت حكمه برضاهـا . ثم اذا اراد رفع الاسارة عنهـا ، وجعلها حرة مطلقة ، ورضي بالخسران ، أيقال ان هذا ظلمٌ وعدوان ؟ بل كل من له مسكة عقل يحكم بانصافه وعدم جوره واعتسافه . »

قلت : يا سيدي المرشد ، ان بين السفور ، واطلاق عنان المرأة على الوجه الذي تذكر ، فرقاً عظيماً .

وقلت : تقول يا سيدي المرشد ، لو علمت النساء ، ان عقدة الطلاق موقوفة عليهن ، لباشرن كل رديئة ، وفعلن كل خزية . فلهذا جعلت عقدة الطلاق في يد الرجال ، رادعاً للنساء عن تلك المنكرات ، والرادع للمرأة عما يرديها انما هو الزوج . كأنك تعني بذلك يا سيدي ان ليس للمرأة من نفسها زاجر او رادع .

ويلوح لي يا حضرة المرشد ، انك اخطـأت في تأويل الحكمة ، لانه لو كان القصد من اعطاء الزوج حق الطلاق ، ردعَ الزوجـة عن مباشرة الرديئة وفعل الخزية ، لقضت الحكمة نفسها ، ان تُعطى الزوجة مثل هذا الحق ، ردعاً للزوج عن مباشرة الرديئة ، وفعل الخزية ، ما لم ير سيدي المرشد ، ان الرجال اذا وردوا موارد الرديئة والخزية ، ليس عليهم من بأس ، وليس ما يقتضي ان توضع الروادع وتقام دونهم الموانع .

الطلاق يا سيدي المرشد ، ليس نعمة من الزوج على زوجته ، يفك بها اسرها ويحرر رقبتها كما ذكرت . ، الطلاق يكرهه الله ويبغضه . الطلاق يهتز منه عرشه جل جلاله . الطلاق خراب البيوت ، وشقاء الزوج والزوجة والاولاد . وان مسبب الطلاق زوجاً كان او زوجة ، ملعون لدى الله والملائكة وعند الناس اجمعين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضُ إِلَى ٱللّٰهِ عَزَّ وَجلَّ مِنْ بَيْتٍ يُخْرَبُ فِي الإِسْلاَمِ بِالطَّلاَقِ)

وقال صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أَحلَّهُ ٱللّٰهُ أَبغَضُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلطَّلاَقِ . وإِنَّ ٱللّٰهَ عزَّ وَجلَّ يلعنُ المطلاَقَ الذَّوَاقَ)

وقال صلى الله عليه وسلم (تَزَوَّجوا وَلاَ تُطلِّقوا ، فإِنَّ ٱلطَّلاَقَ يَهْتَزُّ منهُ ٱلعرْشُ)

وقال صلى الله عليه وسلم (أَيُّمَا امرأَةٍ اختلَعتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ نشُوزٍ فعليْهَا لعنةُ ٱللّٰهِ والملاَئِكةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ . وَأَيُّمَا رَجلٍ خلَعَ زَوْجتَهُ بِلاَ ضرُورَةٍ فعلَيهِ لعنَةُ اللّٰهِ والملاَئِكةِ وَٱلنَّاسِ أَجمَعِينَ)

وقال صلى الله عليه وسلم(أَوْصَانِي جبرَائيلُ بِالْمرْأَةِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يَنْبغِي طلاَقُهَا إِلاَّ مِنْ فاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ)

وقال صلى الله عليه وسلم (أَخْشى مَا يُخْشَى علَى ٱلعائلةِ أَنْ يَتعدَّدَ الزَّوَاجُ وأَنْ يكثُرَ صفوُ ٱلطَّلاَقِ)

ان في هـذا الحديث الشريف ، عبرة لمن اعتبر . ان النبي صلى الله عليه وسلم ، خاف على العائلة من امرين : تعـدد الزواج على الاطـلاق ، والطلاق ان يعكر صفوه. فمتى تأملنا هنا في درجة كره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الطلاق ، ادركنا الى اي درجة يكرهان ، تعـدد الزوجات ، وقد علق الله تعالى تحليله ، على حد المستحيل ، الا وهو تمام العدل ، وأنّى يمكن ذلك .

قال الكاتب الاجتماعي الشهير اسماعيل صبري باشا

يا من تزوّج باثنتين الا اتّئـد … أوقعتَ نفسك ظالماً في الهاوية
ما العدل بين الضرتين بممكنٍ … لو كنت تعدل ما اخذتَ الثانية

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ان قوماً جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ، ان ابانا طلق امرأته الفا ، فقال صلى الله عليه وسلم (بَانَتْ إمرأتهُ بِثَلَاثٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَبَقِيَ تِسْعَمَائَةٍ وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ وِزْراً فِي عُنُقِهِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ)

وقال صلى الله عليه وسلم (أكْرَهُ المُبَاحَاتِ عِنْدَ اللهِ الطَّلَاقُ)

وفي حديث محمود بن لبيد رحمه الله تعالى ، ان رجلاً طلق امرأته ثلاثاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقـام النبي صلى الله عليه وسلم مغضباً فقال : (أتَلْعبُونَ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَأنَا بَيْنَ أظْهُرِكُم)

هذه هي ايها السادة والسيدات ، ارادة الله جل جلاله في الطلاق ، وهذه هي احاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . أفبعد هـذا يجوز لك

يا سيدي المرشد، ان تحسب الطلاق احساناً من الزوج الى زوجته، وفكاً لها من اسره، واعتاقاً من رقه، لو كان الامر كذلك، لما ابغضه الله ولما لعن سبحانه الطلاق، ولما اهتز عند لفظة الطلاق على الارض عرشه في السماء جل جلاله. فتحرير الرقبات امر يحبه الله لا يبغضه.

اما الحكمة في إباحة الله الطلاق، مع كرهه اياه فهي كما يأتي:

قال الله تعالى في كتابه العزيز «ومِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً». فالنكاح نعمة من الله تعالى على عباده. اما الطلاق فهو كفرانها وكفران النعم حرام.

ان الله يبغض الطلاق، لان فيه كفران النعمة وخراب البيوت، وحله كما ذكر في المبسوط لشمس الدين السرخسي رحمه الله تعالى، لأن معنى النعمة، يتحقق عند موافقة الاخلاق. فاما عند عدم موافقة الاخلاق، فاستدامة النكاح سبب لامتداد المنازعات. فكان الطلاق مباحاً للتفصي عن عهدة النكاح، عند عدم موافقة الاخلاق. ولا يخفى ان سؤ الخلق يظهر احياناً من الزوج واحياناً من الزوجة.

وقال الامام الغزالي في الاحياء: وانما يكون الطلاق مباحاً اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومهما طلقها فقد آذاها. ولا يباح إيذاء الغير الا بجناية من جانبها، او ضرورة من جانبه. قال الله تعالى «فإنْ أطَعْنَكُمْ فلاَ تبغوا عليهِنَّ سبيلاً»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ صبَرَ عَلَى سوْءِ خلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطاهُ اللهُ مِنَ الأَجرِ مثلَ مَا أَعطَى ايوبَ عَلَى بلائهِ ، ومنْ صبرَتْ عَلَى سوْءِ خُلُقِ زَوْجِها أَعْطَاهَا اللهُ مثلَ ثَوَابِ آسيهَ امْرأةِ فرْعَونَ)

سادتي وسيداتي

لاعجب من تأويل حضرة المرشد ، وقد عدَّ بعض فقهائنا الرابطة العيلية التي هي اقدس الروابط البشرية ، اوهى من خيط العنكبوت ، ذلك مع ما سمعوا وسمعنا من احاديث نبينا صلى الله عليه وسلم ومن كره الله تعالى لتلك الرابطة ان تفكّ ، واهتزاز عرشه للمرأة ان تترك .

انهم سهّلوا امر الطلاق حتى فهموا ، انه يقع سواء كان الزوج في لفظه اياه طائعاً ، او مكرهاً ، او لاعباً ، او هازلاً ، او سكران ، او مخطئاً .

قالوا انه يقع ولو بلفظ يسمع ، كأنه مركب من ط ل ق ، ولو لم يكن للافظه في الطلاق نية . بل لو كان ذلك اللفظ يكتب بصور متنوعة ، لمعان مختلفة ليس منها الطلاق حتى ولو كان الزوج يجهل اللسان العربي فلا يفهم معنى الطلاق .

فقد جاء في الفتاوى الهندية : رجل تركي قال لامرأته . تراتلاق ، وهي تكتب على خمسة اشكال تلاق ، او تلاغ ، او طلاغ ، او طلاك ، او تلاك . فيقع الطلاق على المرأة ولو تعمد الزوج وقصد ان لا يقع ، وان قال اردت به الطحال وما اردت الطلاق فلا يصدق ، ولو كان لفظ تلاق بالتاء والقاف ، او تلاك بالتاء والكاف ، معناه في التركي الطحال .

وقد جاء فيها : قال لزوجته انت طالق ولم يكن يفهم معنى طالق فتطلق ،

قلت: يظهر ان القاعدتين الشرعيتين (الامور بمقاصدها) و (العبرة للمقاصد والمعاني لا للالفاظ والمباني) مرعيتان الا في الامور التي تشق فيها النساء ، ولو نال الشقاء ازواجهن واولادهن معهن .

وقلت : ان نظر بعض فقهائنا الى الالفاظ دون المعنى ، وحصر اهتمامهم فيها لا فيه ، عوّدهم النظر الى الجسد دون الروح،وحصر اهتمامهم فيه لا فيها .

وجاء في الفتاوي المذكورة ، اراد ان يتكلم بكلام ، فسبق لسانه بالطلاق ، فالطلاق واقع .

وجاء فيها : اراد ان يطلق زينب من زوجاته ، فجرى على لسانه عمرة فتطلق عمرة .

وجاء فيها : رجل له امرأتان ، اسم احداهما زينب واسم الاخرى عمرة ، فقال يازينب ، فاجابته عمرة ، فقال انت طالق ثلاثاً ،طلقت المجيبة، ولو قال نويت زينب ، طلقتا ، هذه بالاشارة وتلك بالاعتراف .

وقد توسعوا في الامر لتسهيل فك الروابط العيلية، اكثر مما ذكرت، فقد جاء في الفتاوي المذكورة :

« لو حذف القاف من طالق ، فقال انت طالِ بكسر اللام وقع الطلاق » .

قلت : واذا كان ذلك الزوج ، ابتدأ بلفظ الطلاق ، فخطر له كره الله لما يفعل ، فندم وتاب وسكت عن اكمال لفظـه ، أيحسن ان نكمل نحن اللفظ عنه ، فنظلمه ، ونظلم زوجته ، ونخرب بيته ، ونشتت عيلته ؟

واذا فعلنا نحن ذلك ، فمن يستوجب كره الله وبغضه واهتزاز عرشه؟ اذلك التائب النادم ، الساكت عن اكمال لفظه ، ام ذاك المفتي الذي اكمله ؟

ولأجل كثرة التوسع ، رجحوا عند تعارض الاقوال ، القول الذي تفكّ به الروابط العيلية ، فجاء في الفتاوي المذكورة : من شرب من الأشربة المتخذة من الحبوب والعسل ، فسكر وطلّق ، لا يقع عند ابي حنيفة وابي يوسف ، ويقع عند محمد ، ويُفتى بقول محمد .

قلت : لماذا يفتى بقول محمد ؟ لماذا يرجح محمد على الامـام الاعظم وابي يوسف متفقين ؟ وهل الخير في خراب البيوت واحـداث كفران للنعمة ، يكرهه الله ويبغضه ، ويهتزّ له عرشه جل جلاله ؟ ام نه يرجح قوله لأنه ينتج فيما ينتج ضرراً وشقاءً للنساء ؟

وقلت : ترون ايها السادة والسيدات ، ان الله جل جلاله ،ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يسّرا للمرأة ان تتعلم ، وتكشف وجهها ، وتستعمل حواسها وقواها تيسيراً . فعسّر بعضهم عليها ذلك كله تعسيراً .

وكذلك انهما ، جل جلاله وصلى الله عليه وسلم ، عسّرا طلاق المرأة تعسيرا فيسّر بعضهم طلاقها تيسيراً . اذ انهم رأوا في تيسيره تضييقاً عليها وتعسيراً أفلا يجب يا سادتي بعد ما قرأنا ، ان نرجع الى كتاب الله سبحانه

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، او ان نرجح اقوال الفقهاء، التي تحكم الرابطة العيلية. ونضم اليها بعض قيود قانونية توافق الكتاب والسنة، فيكون لنا احكام حكيمة، لاتسبب خراب البيوت وشقاء العيلات، وكره الله واهتزاز عرشه جل جلاله، بل عمار البيوت، وسعادة العيلات ورضاء الله.

❀ ❀ ❀ ❀

ولئلا يعد خروجي هذا عن الموضوع اسهاباً، ارجع الى قول سيدي المرشد، ان السفور يوجب الفرقة. وجعل الاولاد في الطرق ممزقه، وانقطاع النسل، وحصول العقم. وان الحجاب من اتم اسباب الالفة وعدم الفرقة. فاقول:

ذكرت في محاضراتي، ان النسل عندنا لا يتزايد تزايده في بلاد السفوريين، الذين ضاقت بهم ارضهم على رحبها، حتى اتوا واستولوا على المسلمين الذين قل نسلهم، وعلى اراضيهم التي امست واسعة عليهم.

واقول: دل احصاء الطلاق الرسمي لمدينة القاهرة، في مدة ثماني عشرة سنة من سنة ١٢٩٨ الى سنة ١٣١٥، على ان كل اربع زوجات، يطلق منهن ثلاث وتبقى واحدة. ودل الاحصاء العام لعدد الطلاق والزواج الذي حصل في القطر المصري عامة في سنة ١٨٩٨ انه حصل في القطر،ماية وعشرون الف زواج، وثلاثة وثلاثون الف طلاق. اي ظهر من الاحصاء المذكور ان كل اربع زوجات تطلق منهن واحدة ويبقى ثلاث.

وسبب هذا الفرق بين القطر عاماً والقاهرة وحدها ، ناشئ عن ان نساء القاهرة محجبات ، ونساء القرى والارياف اللواتي يؤلفن الأكثرية الساحقة سوافر . وهذان الاحصاآن استخرجهما من سجلات المحاكم الشرعية حضرة عامر افندي اسماعيل ، الموظف بنظارة الحقانية ، والمنتدب بالمحكمة الشرعية الكبرى ، على ماهو مذكور في كتاب تحرير المرأة ، للمصلح الكبير قاسم امين . اما عند الاجانب ، الذين قال عنهم حضرة المرشد ، انهم برذيلة السفور راضون ، فلا نرى عندهم فراقاً وطلاقاً الا ما ندر . ولنا شاهد من اخواننا غير المسلمين السافرة نساؤهم ، ظاهر امامنا ، فالطلاق عندهم نادر جداً . ان ذلك كله مما يدل على ان الحجاب لم يكن كما قال حضرة المرشد من اتم اسباب الالفة وعدم الفرقة ، بل مما يدل ، على ان السفور لم يكن كما ذكر حضرته ، ليختل منه النظام ، وتحل الفرقة ، ولتكون الاولاد في الطرق ممزقة ولينقطع النسل ويحصل منه العقم .

واقول ، مهما اجتهد سيدي المرشد ، لن يريه الله في ستر وجه المرأة وجهاً للصواب او دليلاً للصحة ، اذ ان ستر وجهها لم يُبنَ على الكتاب او السنة ، او على دليل فقهيٍّ صحيح ، انما بُني على عادة فاسدة ، والمبني على الفاسد فاسد .

❁ ❁ ❁ ❁

ثم قال :

الوجه الخامس : «ان المرأة شاكرة لرجلها ، واقفة بالخدمة بين يديه ،

وكل ما ازداد في تحجبها علمت انها محبوبة ، وفي جمالها مرغوبة ، فلو اجبرنا النساء ، او ابحن لهن الخروج الى المكاتب والاسواق ، لاختل امر الارتفاق ، وهو تدبير المنزل ، وخدمة الازواج ، وتربية الاطفال ، وضاعت الاولاد ، وقلّ الاسعاد . لكن الامر المعقول ، ان يكون الولي او المحرم ، يعلمها في وقت فراغها ما يكون سبباً لسعادتها حالاً ومستقبلاً ، وذلك هو الامر المشروع ، وفي العقول السليمة مطبوع ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

قلت واحسرتاه ! « نحن بواد والمدلول بواد » اين نحن واين سيدي المرشد ! هو يريد ان يحجّبنا حتى عن المدارس والمكاتب ، يريد ان نقتصر في تعليم المسلمات على تعليم الولي والمحرم اياهنّ . في وقت فراغهن ، ويقول ان هذا هو الحق الذي قاله الله ، ويريد ان يهدينا الى سبيله . هكذا يريد ان يفهم سيدي المرشد ، تلكم الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي سيأتي ذكرها في معارضة الشيخ الازهري ، فيما يتعلق بفريضة العلم . واذا كان يا سيدي المرشد ، الولي او المحرم جاهلا فاسد الاخلاق ، فهل من العدل والمصلحة ، ان لا تتعلم تلك المسكينة الا الجهل والفساد ؟

ثم قلت : كفانا تمويهاً بالدين قصد الاستبداد بنا ، واستعبادنا واقفات بالخدمة ، بين يدي امثال سيدي المرشد ، خلافاً للدين ولناموس الطبيعة .

اهذه ادلة العقل ، والعلم ، والدين ، يا سيدي المرشد ؟ اليس للنساء نصيبٌ ما في الدنيا غير الجمال ، ليحببهن الى رجالهن ، ويرغبوا فيهن ؟

واذا ذهب الجمال فماذا يبقى لهن؟ أوما من دليل للرجال المسلمين على الحب الا التحجيب ؟ او ليس لرجال السوافر ادلة يؤيدون بها حبهم لنسائهم؟ وهل الآباء والابناء والاخوة المسلمون، لا يحبون بناتهم وامهاتهم واخواتهم، ولا يرغبون فيهن ما لم يكن جميلات؟ والفضيلة ياسيدي المرشد؟ الشرف، الناموس، كرم الخلق ، العفاف، الحياء، الاباء ، الوفـاء ، الخلوص ، عزة النفس ، ادب القلب ، ادب اللسان ، خوف الله ، علو الهمـة ، الصـدق ، الصراحة في القول ، الامانة ، النزاهة ، الاستقامة ، الرأفة ، الحلم ، الوقار ، الرصانة ، الاعتدال ، البر ، التقوى ، الطاعة ، حسن التدبير ، محبة الاهل ، محبة الوطن ، محبة الامة ، حب الخير العام ، اكل هذه الفضائل لا شيء ؟ أولا تستحق النساء من اجلها شيئاً من الحب الخالص لهن ، ومن الرغبـة فيهن ؟ ام ان تلك الفضائل كلها من خصائص الروح لا تهمك ، بل انما الذي يهمك جمال الجسد وحده ؟

وان كان الحجاب دليل الحب، فلماذا لا تسمح للمرأة ان تبرز الدليل، على حبها رجلها بتحجيبه ، كما ابرزه هو بتحجيبها ؟

اولا تفهم المرأة من تحجيبها ، عدا الرغبة فيها من اجل الجمال ،ضعف الثقة بها ، كأنما رجلها يراها عارية من فضائل النفس ، التي تصونهـا من الزلل ؟

❀❀❀

ما هذا ياسيدي ؟ ما هذه الحجج والأدلة الشاذة ؟ كنتَ في غنىً عنها، لو وجدتَ في الكتاب او في السنّة حجةً تدلي بها ؟ ما هذه التعبيرات الغريبة ! يورث الحسرات – يجلب الزفرات – اعظم العذاب – اشد الاكتئاب – ارباب الغلية لا يهجعون – رحمة العاشقين – حنّتْ عليه – مالت لديه – انكسرت اليه – حصل الميل – تم الوبل – حل الفساد – اختلط نسب الاولاد – سيف بارق – عنق مارق – جرائد – ملاحد ! ؟

اهذه هي دروس الاخلاق، التي تأمل ان تلقيها علينا لتمزيق نفوسنا ومناعتها و كبرها يا سيدي المرشد ؟

أهـذه اخلاق امك ؟ أهذه اخلاق بنتك ؟ أهـذه اخلاق اختك ؟ أهذه اخلاق زوجتك ؟ أهذه اخلاق المرأة المسلمة ؟ أهذه اخلاق الام ؟ أمِنَ الاخلاق ان تسند اليها هذه الاخلاق ؟

« هـذا مقام الامهـا ... ت فهل قدرتَ الامهات
لا تلغ فيه ولا تقل ... غير الفواصل محكمات
واذا خطبت فلا تكن ... خطباً على شرف الفتاة »

اين أنت يا شيخنا محمد عبدو ؟ اين انت ؟ رحم الله ترابك، انك لواقع فيما خفت منه.

أهذه هي تعاليمك ياسيدي المرشد، بشأن الحث على العلم ؟ اني اريد علماً لا القاباً ولا عمامة.

اني لن اتبع قولك يا سيدي المرشد ، مهما شتمت ، مهما سببت ، ومهما رميت بالالحاد . اني ساعلو واعلو حتى لا اسمع ما تقول . بل اني لا اتبع الا ما قاله الله جل جلاله، وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحسن ما قاله الأئمة العظام ، والامام الاعظم ابو حنيفة . ان قوله «وجه المرأة ليس بعورة » لا يزال نصب عيني ، مكتوباً على لوح الحق باحرف من نور . فلا ترم بالالحاد من يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن يقول قول الامام الاعظم، وانت مدرّس في حضرته، واني لن اقتصر على الواسطة في تعقل اصول الدين ، واختيار احسن الاقوال مما قاله اعاظم الائمه .

فالواسطة في زماننا غير خليقة بالركون اليها، ما لم تر العين ، ويحقق العقل ، ويطمئن القلب .

انت خائف من علم المرأة يا سيدي المرشد ، انك تخاف من كشف الغطاء عن قلبها ، كما تخاف من كشف النقاب عن عينهـا ، لتبقى عمياء قلباً وعيناً ، آلةً صماء في يدي امثالك .

انك تحب استعباد المرأة ، ولا تسأل عما نتج وينتج من استعباد الغير ايانا ، ما دامت هذه حالتنا العقلية . يجب على الاسلام ان يمشوا الى الامام، فلا تثقل عليهم من علمك يا سيدي . لم يقل الاغيار « ان الاسلام مانع من الترقي » لولا مثل ما اتحفتنـا به من اقوال شاذة . واني اذكّرك على كل حال يا سيدي المرشد ، اللاعب بالسيف البارق ، في عنق المارق ، ولم يبق بارقاً بل علاه الصداء ، الحديثَ الشريف القائل : « من كفّر مؤمناً فقد

كفر » . وقد جاء في كتاب الكفاية لذوي العناية ' انه اذا قال مسلم لمسلم انه كافر يرتد فيبطل نكاحه وتحرم ذبيحته ' ولا يصح نكاحه ' ولا يستقر له ملك' ولا يرث ولا يورث' ويحبط عمله ويخلد في النار ان مات قبل ان يتوب .

فخفف من غلوائك في استعمال سيف المروق والالحاد ' لاعباً به يميناً وشمالاً .

ان تنازع البقاء اليوم في الدنيا' اصبح امراً جداً' لا يجوز في خطورته اللعب . اقول هذا لأنك ذكرتني يا سيدي المرشد لعبة يلعبها الاولاد . يأخذ أحدهم بيده خشبة' ويضع على عينيه ستراً ليكتسب جرأة 'ويجول في الساحة هازاً تلك الخشبة هزّ السيف قائلاً « انا اعمى ما بشوف انا ضرّاب السيوف » فتفرّ الاطفال خوفاً منه ، وهم بين ضاحك وباكٍ حتى تخلو له الساحة فتنتهي اللعبة .

ينبغي لك ان تفهم يا سيدي ' ان العالم الحديث ، وحرية التفكير' رقيا عقول النساء وعقول الرجال ، عن الحالة التي تكون فيها عقول الاطفال. ان حالة عليك ، الذي رأيناه في رسائلك يا سيدي ' لما يزيد في تحريك العواطف. ارفع الغشاوة عن العقول وعن العيون' وللعمل الجد والتجدد ، رجالاً ونساءً ، فقهاء وغير فقهاء، لانه اذا تجدد صنف واحد منا ، بقي الآخر في ثوب الامة رقعة .

يجب على كل من ينتسب الى العلم الشرعي ، ان يتكلف عناءً ، في

تعقل شرع الله وحكمته تعالى في آياته ، وينظر الى حال الزمان وموجباته، فيبدل الحكمة والسداد ، من سيف الرمي بالالحاد .

ايجوز لنا بعد، ان نستعمل « بارودة بفتيل » تجاه البواريد والقنابل والمدافع البعيدة المرمى ؟ وهل يجوز ان نستعمل النوق والجمال ، تجاه الدبابات والطيارات والسيارات المصفحة ؟ ايجوز لنا ان نؤثر الجهل على العلم ، والظلم على العدل ، والباطل على الحق ، والاستعباد على الحرية ، والحجاب على السفور ؟

وهل يجوز لنا أن نرمي كل اهل القرى من الاسلام، ونرمي الاتراك واهالي سمرقند وطاشقند والافغان بسيف المروق والالحاد ؟ وبعد سنين عدة ،عندما ترى كل المسلمات سوافر مستغنيات ،وفقاً لارادته تعالى ، عن نقابهن بشرفهن ، وحيائهن ، وعفافهن ، وعزتهن؟ ماذا تقول ؟ هل تعدهن كلهن ملحدات ؟ ان هذه الفكرة الصالحة ، زرعت في قلوب الامة ، فلا بد لها من ان تثمر ويعم زرعها وانتاجها ، ان مرماها سعادة الامة والبقاء في التنازع، وانما البقاء للاصلح.

- ٣ -

معارضة الشيخ ابراهيم القاياتي الازهري

سادتي وسيداتي :

لقد بلغني ايضاً ان العلامة الفاضل الشيخ محمد ابراهيم القاياتي شيخ رواق القشتبية في الازهر الشريف، نشر رسالة مطولة ، سماها « رسالة السنة والكتاب في حكم التربية والحجاب » فجلبتها آملة ان ارى فيها نور هدى.

وشد ما دهشت لما رأيت فيها ما رأيت . رأيت انه بالغ اكثر من غيره في التمويه وجمع البدع لظلم المرأة .

رأيت انه ومن استشهد باقوالهم جاروا عليها جوراً لم يجره ظالم على مظلوم .

انهم ارادوا ان يحصروا في المغزل علم المرأة المسلمة .

انهم حرموا عليها كل علم غير الغزل حتى الكتابة وتوسعوا معها كرماً ولطفاً الى ما هو بمعنى المغزل .

انهم لم يكتفوا بالملاءة والنقاب حجاباً ، بل ارادوا ان يجعلوا حجابها جدر خدرها لا تخرج منه الا الى قبرها .

انهم لم يكتفوا بسد طرق عقلها اي حواسها بالنقاب المظلم ، بل ارادوا ايضاً ان يسدوا حينما تتكلم فمها بيدها تغليظاً لصوتها خوف الفتنة .

انه لم يكفهم انهم منعوا تكمالها العقلي والادبي في مجتمعات الرجال والنساء لتكتسب من علمهم ، واحاديثهم ، وتجاربهم في العالم . بل منعوها ايضاً ان تجتمع وغير المسلمات عادّين غير المسلمات معها كالرجال الاجانب. فلا يجوز ان يرين وجهها ، او يسمعن صوتها ، او يرين منها شيئاً ولو قلامة ظفرها المرمية ، الا اذا كن إماء وجواري عندها .

كل ذلك لاجل اعماء بصرها وبصيرتها . كل ذلك لامور جسمانية لا شأن للروح فيها .

❀❀❀

سادتي وسيداتي

ليس هذا شأن المسلمات وليست هذه سنّتهن .

أتريدون ان تعرفوا المسلمات كيف كن ؟ فلنسمع ابيات من امير الشعراء . قال فيما قال :

هذا رسول الله لم ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعةً لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا سة والشؤون الأخريات
ولقد علتْ بناته لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأُ الـ دنيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت آي الكتاب البينات

وحضارة الاسلام تنـــطق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالمـا ت ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت امية ام النساء النابغات
ورياض اندلس نميـــن الكاتبات الشاعرات
الله أنبتهن في طاعاته خير النبات
يبثثن في الفتيان من روح الشجاعة والثبات
فاتين اطيب ما اتى زهر المناقب والصفات
ووجوهن وماؤهـا ستر على المتجملات

❀❀❀

اما بعض رجالنا وان شئت قل بعض مشايخنا . فقد اكثروا البحث الباطل عن النقص في عقل المرأة المسلمة ودينها، حتى كادوا يصدقون انفسهم في الباطل، ورموها بكل سهم من جعبة الامتهان والظلم.

واني قبل ان ابين لكم حججهم على عدم جواز تعليمها ، ابين حججي لوجوبه في المدرستين : المدرسة والعالم . اسردهـا واعذروني ان اكثرت منها ، فهي درر ولآلئ من كتاب الله وسنة رسوله . وهل تستكثر اللآلئ والدرر ؟

ان اول ما انزل الله تعالى على نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم

(إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ · خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ · إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ · الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ · عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

فهل يجوز يا ايها العلماء القائمون ضد تعليم المرأة، ان يُنكر على المرأة المسلمة انها انسان تَتَحرَّم تعليم ربها الكتابة بالقلم ؟ وهل يمكن رد اقوالكم يا ايها العلماء الى كتاب الله ؟

يا اضداد تعليم المرأة وخصومها ، اني شرعت ابيّن حججي ، وهي آيات كتاب الله واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . فالنور ظاهر ساطع من تلكم الآيات والاحاديث لكل ذي عينين · فليظهر القادر منكم بالحجة والبرهان ، وليجادل بالتي هي احسن ، وليترك الرمي بالمروق والالحاد الى جانب . انه حجة الضعيف في الروح .

يا خصوم المرأة ، ان من يعتصم بكتاب الله وبسنة رسوله لن يكون ملحداً . ان من يسعى للتكمل ادباً وعقلاً لن يكون مارقاً . ان من يُغَذِّي روحه بالعلم لن يكون مارقاً . وان تعدوا كل من سلك هذا الطريق مارقاً او ملحداً ، فقد عكستم الآية ، ورأيتم الملحد والمارق مؤمناً ، والمؤمن ملحداً ومارقاً .

يا خصوم المرأة، تبعُوا الناس كلام الله ، وسنن رسوله . فهما أحق ان يُتَّبعا · ولا تجتهدوا في ان تُتبِعوهم اقوالاً وتأويلات تخالفها ·

ولا يخفى ان الله قد اظهر في هذه الآيات ان نعمته الأولى على الانسان

خلقه اياه ، ونعمته الثانية تعليمه ما لم يعلم ، فلماذا تُحرَم المرأة نعمة الله عليها ؟

وقال تعالى « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ » و« تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »

فلماذا تحرم صدورُ النساء آيات الله وقلوبُهن ان تعقل امثاله ؟

وقال تعالى « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً »

اما انتم فتريدون ان تمنعوا عن المرأة المسلمة الاصل من نعمة ربها والزيادة . وهل طلب الزيادة علماً ينحصر في زمان محدود ، ام يجب ان يدوم مدة الحياة في مدرسة العالم ؟

وقال تعالى « يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » .

فعلامَ يستأثر الرجل بالرفعة وهي من فضل ربي عليه وعليها ؟

وكيف يتسنىْ للمرأةِ ان تصعد في درجات الرفعة ، والرجل في مدرسة العالم يواصل الجد وقد اقفل منها دون المرأة كل باب ؟

وقال تعالى « وَهَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »

فأنىْ تحرم النساء ان يكنَّ في مستوى الرجال في نتيجة علم مشترك ، وليس الرجال والنساء الا جناحي الامة ، ولا تعلو امة الى مستوى الامم الراقية الا اذا استوى جناحاها .

وقال تعالى « شَهِدَ اللهُ أنهُ لا إلهَ إلاّ هوَ والملائِكةُ وأُولوا العلمِ »
فهل يجوز ان لا تكون النساء ممن يشهدون ان لا اله الا الله ؟

وقال سبحانه وتعالى « إنَّما يَخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ »
فلمَ لا يريد الرجال ان تكون النساء ممن يخشون الله ، حاصرين فيهم صفة العلم ؟

هذا قليل من كثير جاءت به الايات البينات توجب العلم على المراة والرجل ،

فلنرجع الى الاحاديث الشريفة

قال رسول الله صلى عليه وسلم « العِلمُ فرْضٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسلِمَة »
ان ما يتناوله العقل بداهة من هذا الحديث الصريح أن لا فرق بين المسلم والمسلمة في تكليفهما طلب العلم ، ولعمري ان الاصل اشتراك النساء والرجال في كل تكليف ، ما لم يرد نصّ يمنع ،

وقال صلى الله عليه وسلم « أطلُبوا العِلمَ مِنَ المَهْدِ إلى اللَّحْدِ »
فهل يجوز منع المرأة من ان تصدع بالأمر ؟ وهل يمكن ان لا يتناول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرسة العالم وهي التي تدوم مدى الحياة ؟

جاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) للشيخ مصطفى الغلاييني الصفحة ٢٧٢ « ان الشريعة صرحت بوجوب اطاعة المرأة زوجها الا ان حال بينها وبين طلب العلم . فانها حينئذٍ لا تطيعه ، بل تخرج الى طلب العلم ودراسته ،

وتحصيل ما يلزمها من العلوم التي تجعلها سعيدة في الحياتين . والدين قد امر بتعليمها وتهذيبها كالرجل ، فالذنب يرجع الى المسلمين انفسهم ، لانهم لم يقوموا بهذا الامر الذي فرضه الله نحو المرأة » . فهل افصح من هذا البيان في وجوب طلب العلوم على المرأة حيث يطلبها الرجل في المدرستين؟

وفي الحديث « أَلْعِلْمُ حَيَاةُ ٱلإِسْلَامِ وَعِمَادُ ٱلدِّينِ »

فلماذا يُحرم الاسلام حياةً نصفه والدينُ نصفَ عماده ؟ هل ترون ما في مدرسة الاولاد من العلم كافياً ليكون منه للاسلام حياة، وللدين عماد؟

وفي الحديث «لاَ خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ إِلاَّ لِعَالِمٍ دَاعٍ ، أَوْ سَامِعٍ وَاعٍ »

فلماذا يجعل عيش المرأة مما لا خير فيه بحرمانها العلم والتعليم ان في المدرسة الصغرى وان في مدرسة العالم الكبرى ؟

وفي الحديث « مَنْ أَرَادَ ٱلدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِٱلْعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِٱلْعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَهُمَا مَعاً فَعَلَيْهِ بِٱلْعِلْمِ » .

فلا تحرموا المرأة الدنيا والآخرة ؟

وفي الحديث « أُطْلُبُوا ٱلْعِلْمَ وَلَوْ فِي ٱلصِّينِ »

فلا تحرموا المرأة طلبه في مدرسة العالم مثلما يطلبه الرجل .

وفي الحديث « لِكُلِّ شَيْءٍ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْعِلْمُ » و « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ طَرِيقاً إِلَى ٱلْجَنَّةِ »

فلماذا تقطعون على النساء طريق الجنـة مستأثرين بها لانفسكم ؟

ولكن لا ينفعكم هذا يا سادتي، فقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم (إنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ النِّسَاءُ عَلِمَ اللهُ إِسْتِضْعَافَهُنَّ فَرَحِمَهُنَّ)

وفي الحديث « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِـهِ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ اللهَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ »

فلا تحرموا النساء اجنحة الملائكة واستغفار العالمين ؟

وفي الحديث « نِعْمَ وَزِيرُ الْإِيمَانِ الْعِلْمُ »

فلا تحرموا سلطانَ الايمان في المرأة وزيراً نعم الوزير ؟

وفي الحديث « عَالِمٌ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ عَابِدٍ »

و « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ »

و « الْعَالِمُ أَفْضَلُ أَجْراً مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ »

فعلامَ تحرم المرأة هذا الفضل وهذا الاجر ؟

وفي الحديث « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ الْعِلْمُ ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »

فبأي حق تحرم النساء ان يأخذن بحظ وافر من ميراث الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ؟

وفي الحديث « الْعِلْمُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الْعَمَى ، يُنْزِلُ اللهُ حَامِلَهُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْنَحُهُ مَجَالِسَ الْأَخْيَارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

فحتى م تَحرمُ قلوبُ النساء حياتهـا وابصارهن نورها مؤثرين لهن العمى ؟ أليحرمن دائماً منازل الابرار ومجالس الاخيار ؟

وفي الحديث « اَلعِلمُ مَعَالِمُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ »

فلا تجعلو حجاباً كثيفاً بين النساء والاستدلال على طريق الحلال ليسلكنه، وعلى طريق الحرام ليجتنبنه ؟

وفي الحديث « كَمَالُ الدِّينِ طَلَبُ العِلمِ وَالعَمَلُ بِهِ »

فلماذا تحرمون النساء كمال الدين بالعلم والعمل ؟ الكي تتهموهن بنقصه ؟

وفي الحديث « مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيرِ عِلمٍ كَانَ مِنهُ مَا يُفسِدُ أَكثَرُ مِمَّا يُصلِحُ »

فهل من مصلحة الرجال ان يكون الفساد في اعمال النساء اكثر من الصلاح ؟

وفي الحديث « اَلعِلمُ امامُ العَقلِ وَالعَقلُ تابِعُهُ . يُلهَمُهُ السُّعَدَاءُ وَيُحرَمُهُ الأَشقِيَاءُ »

فلماذا لا تريدون يا سادتي الرجال، ان تكون نساؤكم من السعداء بل لماذا تكتبون عليهن الشقاء ؟

دعوا عقل المرأة يتبع إمامه، ثم اتهموها بنقص العقل وبما تتهمون.

وفي الحديث « مَا عُصِيَ ٱللهُ تَعَالَى بِمَعْصِيَةٍ أَعظَمَ مِنَ الجَهلِ. وَأَمقَتُ عِبَادِ ٱللهِ إليهِ الجَاهِلُ »

فهل يروقكم يا سادتي الرجال، أن تكون نساؤكم من أمقت عباد الله اليه تعالى حتى اخترتم لهن الجهل اعظم المعاصي ؟

وأنى تكون النساء من امقت عباد الله وحبهن من اخلاق انبيائه . وهن احب ما في الدنيا الى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث « وَهَلْ يَنفَعُ ٱلقُرآنُ إلاَّ بِالعِلمِ »

اذن ويل لمن يحرم نساءه العلم ، فكأنه بذلك يحرمهن نفع القرآن .

وفي الحديث « لَوْ يَعلَمُ ٱلنَّاسُ مَا فِي طَلَبِ ٱلعِلمِ لطَلَبوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ المُهَجِ وَخَوْضِ ٱللُّجَجِ »

أوليس النساء من الناس ؟ وهل من حضٍ على طلب العلم أبينَ من هذا الحديث الشريف ؟

وفي الحديث « بِالعِلمِ يُطَاعُ اللهُ وَيُعبَدُ، بِالعِلمِ يُعرَفُ ٱللهُ وَيُوَحَّدُ »

فكيف يجوز ان تُحرم النساءُ معرفةَ الله وتوحيدَه وطاعتَه وعبادتَه وقد قال سبحانه وتعالى (مَا خَلَقتُ الجِنَّ وَٱلإِنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونَ). فان اعتبرتم المرأة إنساً أو ان تعتبروها جناً فلها الحق ان تتعلم لتعرف ربها وتعبده .

ان الله يريد معرفة وعبادة مستندة الى العلم والروح، لا الى حركات الجسد كالركوع والسجود فحسب ، اذ أنَّ ذلك حال عبدة النار نحو النار

وعبدة الشمس نحو الشمس، وحال كل عابدٍ وثناً نحو معبوده؟ وايُّ نفع للعبادة اذا لم تؤثر في النفوس صلاحاً؟ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لاَ يَرْبَحُ مِنْ صِيَامِهِ إلاَّ الجُوعَ وَالْعَطَشَ)

* * *

ايها السيدات والسادة :

ان تلكم الايات البينات . وهذه الاحاديث الشريفة ، التي تباركت شفتاي بسردها وآذانكم بسماعها ، لا يريد بعض رجالنا ومشايخنا ان يلتفتوا اليها التفاتة، مؤثرين عليها كما جاء في رسالة الشيخ الازهري المذكور بعض احاديث مروية يستنتجون منها ، ولا اعلم كيف يستنتجون ، ان تعليم النساء منهيٌّ عنه شرعاً ، وانه لا يجوز ان يتعلمن الا الغزل . وجاء في الرسالة المذكورة « ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بتعليم النساء الغزل لأنه امر يرشد الى طلب تعليمهن ما في معنى الغزل من كل ما لا يلزم من تعلمه وصنعته خروج من المنزل كالخياطة . وطلب تعليمهن الغزل دون غيره ، مما في معناه ، لما للغزل من المزية التي لا توجد في غيره »

ودونكم الاحاديث التي يستنتجون منها ما يريدون :

الحديث الاول في الصفحة ١٤٩ من الرسالة المذكورة :

عن زياد بن عبد الله القرشي قال : دخلت على هند بنت المهلب بن ابي صفرة ، وهي امرأة الحجاج بن يوسف ، فرأيت في يدها مغزلاً تغزل به ، فقلت : أتغزلين وانت امرأة امير المؤمنين ؟ قالت : سمعت ابي يقول : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَطْوَلُكُنَّ طَاقَةً أَعْظَمُكُنَّ اجراً ، وَهُوَ يَطْرِدُ ٱلشَّيطَانَ وَيَذْهَبُ بِحَدِيثِ ٱلنَّفْس »

الحديث الثاني في الصفحة عينها :

عن زياد بن ابي السكن قال : دخلت على ام سلمة وبيدها مغزل تغزل به ، فقلت : كلما اتيتك وجدت في يدك مغزلاً ، فقالت : انه يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس ، وقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَعْظَمُكُنَّ أَجراً أَطْوَلُكُنَّ طاقةً »

الحديث الثالث في الصفحة « ١٥١ »

عن الترمذي الحكيم عن ابن مسعود، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: مر لقمان على جارية في الكتاب فقال « لِمَنْ يُصْقَلُ هذَا ٱلسَّيْفُ ».

واخرج الترمذي الحكيم من هذا الحديث ان فيه اشارة الى علة النهي عن تعلم الكتابة ، وهي ان المرأة اذا تعلمتها توصلت بها الى اغراض فاسدة، وامكن توصل الفسقة اليها على وجه اسرع وابلغ واخدع من توصلهم اليها بدون ذلك . لان الانسان يبلغ بكتابته في اغراضه الى غيره ما لم يبلغه رسوله ، ولان الكتاب اخفى من الرسول ، فكانت ابلغ في الحيلة واسرع في الخداع والمكر ، فلأجل ذلك صارت المرأة بعد الكتابة كالسيف الصقيل الذي لا يمر على شيء الا قطعه بسرعة . فكذلك هي بعد الكتابة تصير لا يطلب منها شيء الا كان فيها قابلية الى اجابته اليه على ابلغ وجه واسرعه . انتهى قول الترمذي الحكيم .

الحديث الرابع في الصفحة «١٥٠»

اتى به الشهاب بن حجر اذ قال : روى الحاكم وصححه البيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تنزلوهن في الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل » وعلى رواية اخرى « لاتسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة »

قلت ان اكثر المحققين لا يقولون بصحة هذا الحديث بل يعتقدون انه من الاحاديث الموضوعة ، ذلك لانه لا يوافق كتاب الله بل يخالفه . ولا غرو ان المرأة نالت من الاحاديث الموضوعة بحسب الاهواء ، ما اراد لها الرجل وشاء . وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فقال «أيها النّاسُ كثُرَتْ عليَّ الكَذَّابَةُ فمَنْ كذَبَ عليَّ متعمِّداً فليتبوأْ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ . كُلُّ شيءٍ مَرْدُودٌ إلى الكِتابِ والسنَّةِ ، وما جاءكُمْ عنّي يُوافِقُ كِتابَ اللهِ فأنَا قلتُهُ ، وما جاءكُمْ يُخالِفُ كِتابَ اللهِ فلَمْ أقُلْهُ » . وقال الامام علي رضي الله عنه ، وقد زور الناس الاحاديث على النبي من بعده كما زوروا عليه في عهده .

قلت : لا بدع ان يكون هذا الحديث موضوعاً . ولا يخفى ان الاحاديث لم تكتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فان الصحابة كانوا يجتنبون ذلك تبعاً لنهيه ، صلى الله عليه وسلم ، مخافة ان تختلط بآيات القرآن المكتوبة . ودام الامساك عن كتابة الاحاديث اكثر من قرن ونصف . فان اول من صنف في الحديث كتاباً مدوناً وصل الينا هو الامام

مالك رضي الله عنه وقد اشار به عليه الخليفة المنصور العباسي لما حج سنة ١٦٣ اذ قال له « دوّن لنا في الحديث كتاباً تجنب فيه شدائد ابن عمر ، ورخص بن عباس ، وشواذ ابن مسعود ، والزم وسط الامور. فنحمل الناس ان شاء الله على كتابك وبثه في الاقطار ، ونمهد اليهم ان لا يقضوا بسواه ». وعقبه الشيخان صاحبا الصحيحين ابو عبدالله البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ ومسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١. فقدصححا — على ما يفهم من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبدالقادر المغربي — من ثلاثمائة وستين الف حديث نحوا من عشرة الاف حديث فقط . ذلك ما يثبت، بناء على نظر الشيخين وبالنظر الى الشرائط التي اشترطها كل منهما ان الاحاديث المزورة التي اتصلت بهما كانت نحوا من ثلاثماية وخمسين الف حديث

ثم ان الامام الغزالي ارى ابنه سبعين الف حديث وقال له، يا بنيّ ، ان هذه الاحاديث كلها موضوعة زورها الناس على النبي وهو براء منها .

وان ما صححه الشيخان مستند الى روايات غير مكتوبة، تناقلتها الالسن نحواً من مايتين وخمسين سنة، ولا يخفى ان الذاكرة تخون الانسان، والنقل عرضة للتغير مع الزمان ، وقد رأينا كيف كان النقل عن ابن عباس متناقضاً على انواع مختلفة ، ورأينا كيف كانت الروايات ، في بحث الجغرافيا والتاريخ والفلك ، ملفقة . فلا مندوحة لنا من ردّ الاحاديث لدى الحاجة الى كتاب الله تبعاً لامر رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولا بد لنا هنا من الذكر انه ظهر بعد الشيخين وفي منتهى القرن الثالث علماءُ في الحديث كثيرون ، اشهرهم اربعة : ابو داود ، والترمذي، والنسائي ، وابن ماجة . فهولاء توسعوا في الشرائط وقبلوا احاديث كثيرة لم يقبلها الشيخان في صحيحيهما، ومسانيدهم تسمى « كتب السنن »

ثم قلت ان هذا الحديث، حديث الغزل والكتابة - المروي روايتين مختلفتين فضلا عن انه لا يوافق كتاب الله ولا يوافق ما ذكرت من الاحاديث الشريفة، فهو يخالف ايضاً الحديث الشريف الذي رواه ابو داود عن الشفاء بنت عبدالله اذ قالت: دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال لي « عَلِّمِيهَا رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الكِتَابَةَ »

وقلت : ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَطْوَلُكُنَّ طَاقَةً أَعْظَمُكُنَّ أَجراً وَهُوَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَذْهَبُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ) . لا يدل على حصر العلم في الغزل ، كما استنتج بعض فقهائنا ، لكنه يعني ترغيب النساء في ملازمة العلم والعمل، عن البطالة التي هي مجلبة لشيطان النفس ، لان طول الطاقة معناه المشهور المعروف، القدرة على الشيء الذي يحتاج الى مشقة وثبات ، ومنه قوله تعالى « لاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ »

وقلت : الا تدخل الكتابة ، وهي من لوازم العلم المفروض على كل مسلم ومسلمة ، في العمل الذي رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فيه ؟

وقلت : انهم يهملون هذا المعنى الجليل الذي ذكرت ، ويذهبون

الى الفهم من طول الطاقة طول الخيط ، والى ان اطول النساء خيطاً بغزلهن ، اعظمهن اجراً ، وان لا شيء يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس الاطول خيط الغزل .

وقلت : اني لا اشاطر الترمذي الحكيم في استخراجه من حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، عن لقمان، نهياً عن تعلم الكتابة . واخالفه مخالفة على رؤوس الاشهاد في كل ماذهب اليه مما يعيب العلم ويمس كرامة المرأة.

يقول الترمذي ان العلم يفسد المرأة. فلو كان الفساد من خواص العلم، لما بقي في العلماء صالح .

ايها السادة: اذكركم ان كلا من سيدنا عمر ابن الخطاب، وخالد بن الوليد لُقِبَ بالسيف. ذلك، لان في السيف معنى شريفاً، وان قول لقمان (لمن يُصقل هذا السيف) ، يعني ان لقمان كنّى عن المرأة بالسيف ، وعن تعليمها بالصقل، وقد احسن جداً بهذه الكناية ، لان السيف لا يحسن ايفاء وظيفته الا اذا كان صقيلاً مرهفاً ، وهكذا المرأة ، لا تحسن ايفاء وظيفتها ، وما اوسع وظيفتها ، ما دام صدأ الجهل والاهمال يغشى جوهر عقلها .

هذه هي يا سيداتي وسادتي الاحاديث الاربعة التي يؤثرونها على تلكم التي ذكرت ، ذلك ، ليقولوا انه لا يجوز للمرأة ان تتعلم الا الغزل . ولكن المرأة تتعلم بما لها من الحق الشرعي ، ما شاءت من العلوم ، رضوا ام ظلوا غير راضين . فان بفضل العلم الذي تتعلمه المرأة اليوم، آلاتِ الواحدة منها

تغزل في ساعة ما يغزل المغزل في سنين ، وان خيطها الخيط طوال يزيد على خيط المغزل اضعافاً الوفاً ، فهل اهل تلك الآلات ، يا سادتي الفقهاء ، هم الاعظمون في نظركم اجراً ؟ وهل يجوز والحالة هذه ان نحصر قوى المرأة في الغزل ، واجرها في طول خيطها ؟

اما رجالنا المهملون تلكم الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والآخذون بمثل هذه الاستخراجات الغريبة ، فانما يريدون ، باختيارهم للنساء العمل الدائم بالمغزل ، ابقاءهن في الجهل ، فلا يخرجن من بيوتهن الا الى قبورهن . ولا شيء يرهبهم في سلطانهم الاعمى ، اكثر من خروجهن الى المدارس .

انهم لا يخافون كما يقولون ، ان يفسد العلم اخلاق المرأة ، انما يخافون ان ينيرها نور الحق .

« العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يُجلّي سوادَ الظلمةِ القمرُ »

انهم يخافون اذا تعلمت ان يفقدوا سلطة (جحا على خالته) .

هكذا تعوّد الرجلُ في الشرق ، تعود ان يجعل المرأة في رقه ، ويجعل نفسه في رقّ الحاكم ، تعود ان يكون ظالماً في بيته ، مظلوماً خارج البيت .

ان الجزاء الحقّ من جنس العمل .

***

حججه في وجوب استتار المسلمة عن غير المسلمات، وسترها قلامة ظفرها، وتغليظها صوتها، ونظرات لي في اقواله وفي الاقوال المستند اليها.

سادتي وسيداتي

لا تتعجبوا من استخراج الترمذي والشيخ الازهري . فقد جاءنا هذا الشيخ باستخراجات اخرى اغرب من هذه . لمنعنا من العلم الذي يريده لنا الله جل جلاله ونبيه صلى الله عليه وسلم .

انه لم ينقل لنا في رسالته آية من تلكم الآيات الجليلة ، ولا حديثاً من تلكم الاحاديث الشريفة . بل نقل الينا من اقوال الفقهاء المتنوعة ، ما يدل على وجوب سد افواهنا بايدينا ، وسد ابواب بيوتنا علينا ، خوف الفتنة .

قال : جاء في تنوير الابصار (الذمية كالرجل الاجنبي فلا تنظر الى بدن المسلمة)

وقال : جاء في شرح النابلسي على هدية بن العماد (لا يحل للمرأة ان تنكشف بين يدي نصرانية او يهودية او مشركة الا ان تكون امة لها)

وقال : ان البناني قال (الذمية مع الحرة المسلمة كالرجل)

وقال : جاء في المنهاج : (ان الذمية مع المسلمة كالاجنبي)

قلت: واحسرتاه ! إذن أين نتعلم وممن ؟ أبالغزل وبالغزالات نكتفي؟

وقال : اختلف الفقهاء في جواز النظر الى ما يُرمى من قلامة ظفر المسلمة ، فقال الدميري (يحرم النظر الى قلامة ظفر رجلها لأنها عورة

ولا يُحرّم النظر الى قلامة ظفر يدها لأنها ليست بعورة) وقال ابن حجر خلافاً للدميري (يحرم النظر الى قلامة ظفر المرأة المنفصلة ولو عن اليد لأن اليد ايضاً عورة) .

وقال : جاء في الروض (يجب على المرأة ان تواري قلامة ظفرها لئلا يراها احد). واستطرد الى قوله [واذا وجب مواراة قلامة الظفر من يدها فكيف يتوهم انه لا يجب ستر وجهها ويديها]

ترون يا سادتي ، ان حضرة القائل، حسب القول بوجوب مواراة قلامة الظفر من يدها كأنه نص إلهي منزل، او حديث نبويٌّ مثبت، فجعله قاعدة للقياس واستنتج من ذلك القياس فيما يُرمى من فضلات الاظفار التي ليست الا عرضاً حقيراً جداً . استنتج من هذه المقدمة تلك النتيجة الجليلة الجوهرية العظمى : الا وهي وجوب إخفاء وجه المرأة ويديها ، الجزء الأنساني الذي جمل الله فيه حواس الانسان كلها . فيا له من منطق ! ويا له من قياس لا يزيد عن الحق الا بعداً ! وجل دين الله عن ان يُصاب بمثل هذا القياس وعز جداً .

وقال نقلاً عن الدميري انه قال : (واذا قرع باب المرأة فينبغي لها ان لا تجيب بصوت رخيم ، بل تغلّظ صوتها ، بأن تجعل ظهر كفها بفمها ، وتجيب كذلك خوفاً من الفتنة)

قلت: ولكن اخواتنا النصرانيات 'جملن معنا بحكم الرجال، والمسلمات يحرم عليهن كل علم غير الغزل، فاذا أردنا أن نتعلم غير الغزل فأنى يتيسر لنا ذلك ، من المعلمات النصرانيات . وعيوننا مغطاة بالنقاب ، محرومة رؤية الكتاب ، وافواهنا مسدودة بايدينا ، محرومة الخطاب والجواب ، خوفاً من الفتن ؟! من الفتن!!

فما احرى بي ان اتذكر واذكر مستهلاً من خطبة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حيث قال : (أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَدْءُ وقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهواءٌ تُتَّبَع ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَع ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ)

وقال الازهري المشار اليه : جاء في شرح الدر نقلاً عن المجتبى « لايجوز النظر الى ملاءة الاجنبية »

قلت : اذن لاغطاء لنا الا جُدُر البيت .

ثم قلت : اين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويده على سيفه يقول : « هَاتِ ٱلدَّلِيلَ مِنَ ٱلْكِتَابِ أَوْ مِنَ ٱلسُّنَّة »

وقلت : أبمثل هذه الاجتهادات نتمكن من مباراة الامم في ميدان التنازع للبقاء ؟

الا 'يفتن رجالنا ، ويقعون في الاثم ، الا بسماع صوتٍ ، او نظر وجهٍ ، او يدٍ ، او قلامة ظفرٍ ، من مسلمة ؟

وما شأن اخواتنا المسيحيات ، وغيرهن ، اللواتي 'جملن بحكم الرجال ،

لو سمعن منا صوتاً ، او رأين وجهاً . او يداً . او قلامة ظفر ؟

فيا سيدي الدميري

ويا سيدي البناني

ويا سيدي ابن حجر

ويا سيدي النابلسي

ويا سيدي صاحب المنهاج

ويا سيدي صاحب التحفة

ويا سيدي صاحب الروض

ويا سيدي الازهري، لكم في غير ما يتعلق بالمرأة اقوال اجلّها، اما فيما يتعلق بالمرأة فقد عكستم الآية، عكستم الآية يا سادتي.

ان شرع الله تعالى للمرأة ، كما هو للرجل ، علمٌ ، وعدلٌ ، ويسرٌ ، ونور، ورفعة، وسعادة، وخير. تجعلها اقوالكم فيها إنْ تتبع، جهلاً ، وظلماً، وعسراً ، وظلاماً ، وضعةً ، وشقاءً ، وشراً .

قال الله تعالى في كتابه العزيز (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) و(يُرِيدُ اللهُ لَكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ لَكُمُ العُسْرَ) و(إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا)

ولما نزلت الآية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ويقول: (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ)

اما اجتهادتكم هذه فكأن مرماها تغليب العسر على يسرين او تغليب الضعيف على قويين خلافاً لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن اجل ذلك ما كان نصيبها من المسلمين في زماننا العلمي ، الا انهم اهملوها اهمالاً ، وملأوا المدارس من البنات يتعلمن فيها الكتابة وعلوماً وفنوناً اشكالاً اشكالاً ، وصرفوا النظر عن تشبيه نسائهم بالمرأة القديمة ، التي كانت تكتفي من طعامها بخبز من شعير ، ومن ملبسها بقميص من قطن وبمسكنها ببيت من شعر ، حتى ان المسلمات نسين المغزل وهيئته ، واختلطن باخواتهن في الوطنية او في الانسانية ، ولن يتوفق ازهري ، او بغدادي ، او بيروتي ، او دمشقي ، في رد الناس الى اتباع ما مر من اقوالكم ، اذ انه لا يمكن رد تلك الاقوال الى الكتاب ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ زُخْرُف) ان الاقوال التي لا توافق كتاب الله لا قيمة لها .

انكم رميتم بالمقدمات يا سادتي ، وما هي الا افراط وغلو . فليست من كتاب الله او من سنة رسوله ، ولم تستشرفوا ما قد تلد اقوالكم بعدكم من النتائج ، انكم لو استندتم في اقوالكم الى نص في الكتاب ، او في السنة ، لوافقكم الفقهاء واجمعوا .

واني لاضرب لكم يا سيداتي وسادتي مثلاً على ارادة الله جل جلاله اليُسرَ للاسلام . اني عدتُ الى كتب التفسير لارى السبب والحكمة في

نزول الآية التي تستثني الارقاء من الذين لا يجوز ان تبدي النساء لهم زينتهن. مع انهم رجال كالرجال. فرأيت ان المفسرين متفقون على سبب نزولها المروي عن عائشة وام سلمى رضي الله عنهما وعن انس بن مالك، وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة برقيق قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوبٌ اذا قنّعتْ به رأسها لم يبلغ رجليها، واذا غطّت به رجليها لم يبلغ رأسها. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى، قال ليس عليك من بأس، انما هو ابوك وغلامك. ونزلت الآية.

فانظروا كيف جعل الله جل جلاله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع العسر يسرا، ومع الحرج فرجاً، واذكروا كيف غلّب بعض الفقهاء العسر على يسرين.

ولا يمكنني هنا ان اتمالك من بيان دهشتي، حينما رأيت في قول بعض المفسرين غلواً في اليسر يعاكس غلوهم في العسر. فقد استنتج المفسرون من آية الله جل جلاله (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ وَآبَائِهِنَّ .. وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) ومن الحديث (لَيْسَ عَلَيْكِ مِنْ بَأْسٍ) انه يجوز للرقيق ان ينظر الى بدن مولاته الا ما بين السرة والركبة، ناسين ان امر الله للضرورة، وان الضرورات تقدّر بقدرها. فكان الأولى بالمفسرين ان يكتفوا بالاجازة للرقيق ان ينظر من مولاته عدا الذراعين والقدمين الرأس حتى العنق وكفى.

حججه في وجوب استتار المسلمة عن غير المسلمات، وسترها قلامة ظفرها. وتغليظها صوتها، ونظرات لي في اقواله وفي الاقوال المستند اليها.

اجل قد قال ابو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه: لا يحل للمرأة ان ينظر عبدها الى شيء من جسدها إلا شعرها.

كنت أظن يا سيدي الازهري ويا سادتي الفقهاء ان الغلو منحصر في شعرائنا. فلو سالت قطرة من الدمع لجعلوها بالخيال في الوصف بحراً تتلاطم امواجه، فأذا هو غير منحصر في الشعراء، واذا وجد من يعذركم فيما قلتم ناظراً الى احوال زمانكم، والله اعلم باحوال ذلك الزمان، فنحن لا نعذر في زماننا اذا اتبعنا اقوالكم، ولم نرجع الى الاستنارة من مصدري نور الهدى والاستقاء من نبعي الخير الخالص، الكتاب والسنة، فهما أحق ان يتبعا.

لنا الحق ان نحيا الحياة المثلى في تنازع البقاء، ولنا الحق في الحياة الآخرة، فاذنوا لنا واذن لنا يا سيدي الشيخ الازهري في الاستهداء من مصدر النور، واتباع أحسن الاقوال، واقوم المناهج، لمباراة الامم، انك لو احسنت، يا سيدي الشيخ، انتخاب الاقوال لما اتيتنا باقوال شاذة ليس اتباعها في زماننا الا الموت قبل الموت، عدا عما فيها من المخالفة لاصول الدين وروحه.

❀❀❀

سادتي وسيداتي

انه ليؤلمني ويؤلم كل مسلم ومسلمة ، ان لا تكون احسن الأقوال التي تقوّي في الانسان الحس الديني ، والتي توافق اوامر الله تعالى واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، يؤلمنا وايم الله، ان لا تكون صادرة عن فقهائنا الذين ذكرت اقوالهم ، بل صادرة عن بعض العلماء الغربيين الذين ربّوا عقولهم فوجهوا مداركهم الى اكتشاف حقائق العالم ، وربوا ارواحهم فوجّهوا اراداتهم الى الخير، واحساسهم الى الجميل، وهي الامور اللازمة لسعادة الانسان ، ولهذا نرى كثيراً من اقوالهم اكثر انطباقاً على الكتاب والسنة، من كثيرٍ من اقوالنا .

إذن تلك هي احسن الأقوال الواجب على اولي الألباب اتباعها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ أَنَّىٰ وَجَدَهَا أَخَذَهَا] والناس سواء، فلا ينظر الى من قال بل الى ما قال .

لنسمع مثلاً ما قاله الفيلسوف سبنسر في كتابه الذي كتبه في التربية، وكأني به قد تدبر حكمة الآيات التي تبارك لساني بذكرها ، قال :

(ليس العلم للرجل والمرأة منافياً الاحساس الديني كما يزعم كثير من الناس . انما المنافي الدين هو ترك العلم ، ولنضرب لذلك مثلاً ، فنفرض ان عالماً من كبار المؤلفين يصنف الكتب، ويقرر الحقائق والناس يثنون عليه ويطلقون السنتهم في مدحه ، ولكنهم مع ذلك لم يروا من كتبه إلا

غافها، ولم يقرأوا شيئاً منها، ولم يجهدوا انفسهم يوماً في فهم ما اشتملت عليه، فما تكون قيمة هذا المدح في نظرنا؟ وما الذي نعتقده في صدق هؤلاء المادحين؟

ان جاز لنا ان نقيس عظائم الاشياء بصغارها، نقول ان الناس يعاملون الكون وخالقه هذه المعاملة.

وادهى ما يأتون من تلك المعاملة. انهم لا يكتفون بان يعيشوا ويموتوا وهم لا يعرفون حقيقة من حقائق تلك الاشياء التي ينادون بانها من ابدع البدائع واعجب العجائب. بل ينحون باللائمة على من يشتغل بفهم حقائقها والوقوف على ما اودع فيها من الاسرار. ولو فقهوا لعلموا ان اهمال العلم، هو المضعف الاحساس الديني، بل الماحق له، اما خدمة العلم فهي عبادة يؤديها القلب، لان خدمة العلم هي اعتراف بان للمخلوقات قيمة عالية. وان الذي اوجدها له الشأن الاعلى والمكان الاسمى.

خدمة العلم هي احترام للكون وصانعه. يؤديه طالب العلم، لا بالفم واللسان، ولكن ببذل وقته وفكره وعمله). انتهى.

هذا ما قاله الفيلسوف سبنسر من جهة منافع العلم للمرأة في امر الدين. واما من جهة منافعه في امر الدنيا، فقد كانت اقواله ايضاً كأنها مستمدة من آيات الله واحاديث رسوله.

فلماذا تحرمون يا سادتي الرجال المرأة ان تقوي احساسها الديني

بالعلم، أيضركم او يضرها ان تفهم حقائق الكائنات لتدرك عظمة خالقها ادراكاً حقاً، وتدري واجبها نحو ربها، وواجبها نحو نفسها، واسرتها، وامتها، ووطنها، وبني جنسها. أهذا هو الفساد الذي تخافون؟

❊❊❊

ولنسمع الآن فقرة جليلة من خطبة القاها الامير علي خان رئيس المؤتمر الاسلامي الكبير في المؤتمر المذكور الذي عقد في الهند. قال فيما قال:

(اجل ايها السادة، اني اعتقد ان تربية البنات يجب ان تسير يداً بيد مع تربية البنين، اذا كنا نود ان يأتي التعليم بالفائدة المطلوبة. ويجب ان نعلم اننا لا ننتظر خيراً ما لم تكن نسبة التربية بين الابناء والبنات متساوية، لاننا اذا اهملنا نصفاً من الهيأة المكوّنة لحياتنا الاجتماعية واعتنينا بالنصف الآخر فان النتيجة تكون سيئة فاسدة، اذ من الامور المقررة انه اذا ترقت افكار نصف الامة وبقي النصف الآخر ملقى في ظلمات الجهل وانحطاط الفكر، فان الجزء المتعلم ينفر من الجزء الجاهل. ويبعد عن مصاحبته ومعاشرته ما استطاع الى ذلك سبيلاً، ويحاول اما ان يسير في تيار لا يُرضي الشرف والصالح، واما ان يُخفض نفسه ويحط بفكره ليعاشر ذلك الشريك المنحط في حياته.)

- ٤ -

معارضة الشيخ محمد رحيم

جاء في رسالة (رفع الشبهات عن بعض المشتبهات) ، للشيخ محمد رحيم الطرابلسي ، وهي من الرسائل المنشورة ضد السفور :

« لا يجوز للمسلمين ولا للمسلمات ، ان يتشبهوا بغيرهم من اهل الملل الاخرى ، لان التشبه بالغير ، شعار الامم الضعيفة ، والانفس الذليلة ، ويؤدي الى الاندغام فيمن تشبهوا بهم ، بناء عليه ، يجب ان يكون للمسلمين والمسلمات شعار خاص ، يمتازون به عن غيرهم من المشركين ، واهل الكتاب . فمن مميزات الرجال منهم اللحية ، والعمة ، اما اللحية فالسنّة فيها ان تكون قبضة، وان ما يفعله ، متخنثة الرجال ، من الاخذ منها ، وهي دون القبضة ، فلم يبحه احد ! اما العمة ، فقد جاء في المدخل ان السلف الصالح كانوا يتقنعون بعمائمهم ويتحنكون بها ، ويرخون طرفيها بين اكتافهم ، او بين ايديهم ، والعمة من غير تقنع ولا تحنك تسمى اقتعاطاً، وقد كرهه مالك ومجاهد وغيرهما . ومن مميزات النساء المسلمات ، الحجاب ، وان يضعن الخُمُر على رؤوسهن ولو في قعر بيوتهن. ولا يجوز للمسلمين ولا للمسلمات ، ان يلبسوا البرانيط ، او يلبسوها اولادهم الصغار ، لان ما حرم على الكبير فعله حرم عليه فعله بولده . ذلك لان في لبس البرنيطة معنى التشبه ، والتشبه بالغير لا تبيحه الشريعة المطهرة عظم او صغر . وما قرب من البرنيطة « مثل ما يلبسه كثير من المسلمات اليوم ، ويسمى عندهن بونه » ، كان في حكمها ، لانه يسهل لبس البرنيطة بعد ، اما ما يسمى طربوشاً ، فيكره لبسه بغير عمامة على الدوام ، دون بعض الاحايين، لان السلف كانوا يلبسون القلنسوة بغير عمامة احياناً . وما يسمى طربوشاً يصدق عليه اسم القلنسوة ، قال ابن رشد ، القلانس ما كان لها ارتفاع في الرأس ،

على اي شكل كانت . ويكره للرجل ان يلبس ما يشكل عورته كالبنطالون. ويجب ان تكون اثواب النساء سابغة واسعة . الا اكمام اليدين والرجلين . فلا يوسعنها ، واذا خرجن من بيوتهن ، عليهن ان يخرجن في حفش ثيابهن ، ويمشين مع الجدران . « وحفش الثياب رذالها وباليها » انتهى .

قلت : اذن نحن والرجال ، في تقنيع الوجوه وتحنيكها سواء . عودوا يا سادتي الرجال ، الى تقنيع وجوهكم. وتحنيكها، وقديم زيكم بما فيه من حلق الرؤوس وجز الشوارب ، وارخاء اللحى . ثم طالبونا بالقناع . وبالدرع والجلباب . وقديم الزي ان كنتم منصفين .

لقد ذكر سيدي الشيخ ، قسماً من لبس السلف الصالح لنتشبه بهم فيه ونقتدي ، ولم يذكر غير ذلك من ملبسهم ، ولم يذكر نوع مأكلهم ولا شكل مسكنهم ، ولا آلات غزلهم ، وحياكتهم، وفلاحتهم، وسائر صناعاتهم ، ليتمّ بيننا وبينهم وجه الشبه ، ولكي نتمكن ، كما يريد ، من الجمود التام على عقولهم واحوالهم ، ولا نرقى عنهم في شيء ما ،ولئلا نتشبه بغيرهم من الامم الحديثة ، الناهضة الراقية، تشبهاً يقتضي منا تقدماً ونهوضاً ورقياً ! .

ولكن أنىّ يجوز لك يا سيدي الشيخ ، ان تمنع المؤمن من اخذ الحكمة اذا وجدها عند غيره و (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ) ؟

ان القراطيس يا سيدي الشيخ ، لم تكن في صدر الاسلام معروفة، وكان كتّاب القرآن من الصحابة رضوان الله عليهم ، كما يفهم من كتاب

الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي ، يكتبونه اثناء نزوله في الجلود ، وجريد النخل ، وصفيح الحجارة ، وعريض العظام ، الى ان رتبت آياته في سورة ، وجمع في المصحف في السنة الثلاثين للهجرة . فهل لك ان تطلب منا ان نرجع الى الكتابة على الجلود ، وجريد النخل ، وصفيح الحجارة ، وعريض العظام ؟

يا سيدي الشيخ . أهذه هي الدرر واللآلئ التي امكنك ان تلتقطها من شرع الله بحر الحكمة المحيط بالعالمين ؟

لا ألومك وحدك يا سيدي ، بل الوم الشرق كله ما دام محتفظاً بآفتين في قلبه ، هما التقليد والجمود ، مُسمِّمتا الضمائر ومعمِّيتا البصائر ، هما التقليد والجمود ، المضحِّيتان بقوى الارواح وجواهر السرائر ، في سبيل اشكال الملابس واعراض الظواهر . وارى ان اقدس واجب على كل ذي علم ونور ، واخي نخوة وحمية في الاسلام غيور ، ان يجاهد بكل ما اعطاه الله من قوة ، لسحق هاتين الآفتين ، حتى اذا تخلصنا منهما ، انكشفت لنا تلك اللآلئ والدرر المكنونة في شرعنا ، انها لدررٌ ولآلئ تجعل الزمان مزداناً ، مرصعاً ، متلألئاً ، مستنيراً بها ، اكثر مما تزدان السماء بالشمس والقمر والنجوم ، مرصعة ، متلألئة ، منارة بها .

ياسادتي المشايخ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَيْلٌ لِأُمَّتي مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ » وقال ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه : « طلبة العلم

ثلاثة ، صنف يطلبه للجهل والمرآء ، فدقّ الله من هذا خيشومه ، وقطع منه حيزومه . وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، فاعمى الله على هذا خبره ، وقطع من آثار العلماء اثره . وصنف يطلبه للفقه والعقل ، فشدّد الله من هذا اركانه ، واعطاه يوم القيامة امانه .» فعسى يأتي زمان ، لا يرى المسلمون فيه الا الصنف الثالث . ولا ريب ان سيدي الشيخ من الصنف الثالث . ولكن الانسان يخطئ ويصيب ، وجلّ من لا يخطئ .

إنّا يا سادتي المشايخ ، نحتاج الآن في هذا العصر الراقي ، الذي تنازع فيه الامم البقاء ، باشد قواها ، الى الحريات في حركات العقل ، وحركات الجسد ، اكثر من ذي قبل ، لنتمكن من مجاراة الامم ومباراتها . وقد تحررت فيها حركات العقول وحركات الاجسام ، فاسمحوا لنا بكسر كل قيد لم يكن الا بدعة غريبة ، احدثها بعض الفقهاء ، ولم تكن من كتاب الله او سنّة رسوله .

اني اخاطب العقول الحرة يا سادتي ، فارجو منكم ان تعملوها ، بل تشغلوها . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [اَلْعَقْلُ نُورٌ فِي اَلْقَلْبِ يُفَرِّقُ بَيْنَ اَلْحَقِّ وَاَلْبَاطِلِ)

وليصدع كلٌّ بما يأمره به عقله ، أنموت وفي رقابنا ارسان من الجمود والتقليد والعادة ، يقودنا بها الجهلة المتعصبون ؟ وهل يجوز ان نطفئ ذلك النور الروحاني من قلوبنا (وَيَأْبَى اَللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) ؟

اذا كان لابد من ارسان في الامة ' ليقود بعضها البعض الآخر ' فخير ان تكون الارسان في ايدي المستنيرين الناهضين ' الناظرين الى اللباب والحقائق ' الماشين الى الامام والى النور ' من ان تكون في ايدي الغافلين ' الجامدين ' المتمسكين بالقشور والاباطيل ' الراجعين الى الوراء والى الظلام . والأفضل الأفضل ، ان يكون كل مسلم حراً بلا رسن ' لا يقوده احد ، ولا حجة بينه وبين احد ، انما الحجة بينه وبين الله وحده. واني ممن قطعوا رسن الجمود والتقليد والعادة قطعاً ، ونزعوه نزعاً ، واعتصموا بحبل الله متفكرين في شرعه (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . اني ممن يأخذون اللباب ويتركون القشور، اني خرجت بفضل ربي ، وعدل ابي ، من الظلام الى النور . ولن يعمى عن الحق ، من يعقل كتاب الله وسنة رسوله ويعمل بهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَفْلَحَ مَنْ رُزِقَ لُبًّا)

***

يا سيدي الشيخ ، ان الامم تتفاضل في حالة البداوة ، بالقوة البدنية، فاذا ارتقت ، تفاضلت بالعلم ، ثم اذا بلغت من الارتقاء غاية ، تفاضلت بالاخلاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ) وانت تعلم ان اداة (انما) حصرية فلا تدخل الملابس في بعثته صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل قائل عاقل ، ان الامم تمتاز وتتفاضل بشكل الملابس ، فاود لو انعمت وانعم امثالك النظر ، في مكنون آيات الله ،

واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، بالدرجة المطلوبة من التعقل والتفكير، فنسمع دروساً غير دروس الملبس، دروساً تجعل ارواحنا المشرفة بالاسلام، تمتاز على غيرها خلقاً وادباً سوياً، وعلماً وعقلاً ورقياً. اما اذا امتاز ملبسنا، عن ملبس غيرنا، بجلباب ونقاب، وامتاز غيرنا علينا بما احرز من استمتاع بالنور، ومن علم، وعقل، ورقي، واخلاق، وآداب، فلا خير في هذا الامتياز، وحبذا ذلك الاحراز. قال رسول الله صلى الله وسلم (انَّ اللهَ اختارَ لكمُ الاسلامَ ديناً فأكملوه بمكارم الأخلاقِ. انه لا يكملُ الا بها)

ان ظلم النساء يا سيدي الشيخ واستعبادهن واسرهن وامتهانهن، واعماء عيونهن وقلوبهن، لا يكمل ديناً.

الا تذكر، انك انت، انت نفسك، تسند الى امك، وابنتك، واختك، وزوجتك، المتحجبات المتنقبات. تسند الى المسلمات المأسورات بشكل الملابس وسيء العادات، انهن ناقصات العقل والدين؟ فايُّ ادبٍ وخلقٍ يتصور الناس في الناقصات عقلاً وديناً كما تزعم، والخلق والادب لا يجملان، الاحيث العقل والدين يكملان؟ وبعد ان تسند انت هذا. ماذا نتوقع أن يسند غيرك ماذا؟ ياليت مشايخنا اكملوا الدين في النساء بمكارم الاخلاق ومحاسن الاداب، بدلاً من انقاصهم اياه بالحجاب والنقاب!

ذكرتك ما تسند اليهن في حجابهن، ونقابهن، واسرهن بعاداتهن. وانْ تسند عدم الصحة الى قولي هذا، فكن صريحاً شريفاً، واعلن أن

المسلمات المحجبات كاملات في العقل والدين · كما يعلن الناس في العالم السافر الراقي ان نساءهم السوافر كاملات كالرجال الكاملين. وان لم تعلن ذلك · وثبت في تحجيبهن · وفي اسنادك ما تسند اليهن · فلا خير في النقاب والحجاب · وهما للإهانة من الاسباب · وسلامٌ وتحيةٌ على السفور · حيث الكرامة وحيث النور .

●●●

يا سيدي الشيخ· لايجوز الخلط بين الاشتراك والتشبه· إنَّ لُبْسنا زيًا نشترك وغيرنا فيه · غير ممنوع شرعاً · الا اذا كان القصد من الاشتراك ، التشبه اظهاراً لميل قلوبنا الى دين صاحب الزي . اما إذا رأى الأنسان زيًا فيه حكمة · من نفع للصحة وتسهيل للحركة والعمل · وموافقة للرصانة. وبعدٍ عن الريبة والتبرج · ولبس ذلك الزي مشاركاً فيه لابسيه · فلا لوم عليه في الدين ولاحرج . ان ذلك من الامور التي لايحاسب الله عليها المؤمن · بل يأمره بها · ويأمره أن يجتهد على تحسينها وتجميلها ليكون كأنهُ شامةٌ بين الناس ، انه تعالى لا يحاسب الا على المقاصد والنيات .

وقد جاء في الحديث عن جعفر الصادق رضي الله عنه ، كما هو مثبت في كتاب الوسائل الصفحة الـ ٣١٤· (كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم · برنس يتبرنس به ، أي يلبسه على رأسه .) وفي مجمع البحرين ، عند البحث عن الحديث. ان البرنس شيء يلبسه النصارى على رؤوسهم· اذن نبينا صلى الله عليه وسلم · لم يجتنب ان يلبس ما يلبس النصارى . ان دين الانسان

الاشتراك مع الاخرين في الملبس لا يعني التشبه بهم فيه .
فنبينا صلى الله عليه وسلم اشترك وإياهم في لبس البرانس والقلانس

وإنه ياسيدي، في قلبه ونفسه ، لا في ثوبه وملبسه .

اذا كان الملبس هو المؤثر في اخلاق النساء ، فلماذا لا تفوق نساء الدور غيرهن ادباً واخلاقاً ، وهن يلبسن من الملبس أستره ، واطوله ، وابسطه ، بل اطبقه على ما يسميه بعضنا الحجاب الشرعي ؟ ولماذا لا يؤثر الحجاب والنقاب في النساء الساقطات ، ولا يصلح احوالهن ؟ وان كان الحجاب يمنع الفتنة فلماذا يحيط بالمرأة المحجبة نطاقٌ من عيون الرجال ، ويندر ان ينظروا نظرة افتتان الى سافرة ، سافرةٍ طبعاً وعادةً ، وجبلة ، لا قصداً ؟

يا سيدي الشيخ ، اذا كان الاشتراك في الملبس ممنوعاً ، سواء كان مقروناً بقصد التشبه والميل لدين صاحب الزي ، اولم يكن ، فلِمَ اشتركنا معهم في كل ملابسهم ، واخذنا عنهم كل ما يلزم لمعيشتنا حتى الابرة والخيط ، والملعقة و « الشحيط »

لقد أجْمَدَنا بعض ذوي العمائم ياسيدي الشيخ ، في التعصب الجامد ، والورع البارد ، حتى خدرت عقولنا ، وشلّت ايدينا ، وعجزنا عن صنع ما يلزمنا ، وجلبنا كل شيء من العالم السافر الراقي ، ولبسناه او استعملناه ، ولم يبق شيء مما عندهم لم نشترك فيه ، الا البرنيطة او المظلة ، والمؤمنون احق منهم بها . وقد كانت عندنا قبل ان كانت عندهم ، ونحن احوج منهم اليها ، فالحر عندنا اشد من الحر عندهم .

قال سيدي الشيخ، ان اشتراكنا وغيرنا في الملبس، يستوجب اندغامنا بهم ، وقال احدهم في بعض الصحف : ان السفوريين المتجددين ، يقولون للافرنج ، « نوالي من واليتم ونعادي من عاديتم »

فلننظر الى ذلك المصلح الاعظم مصطفى كمال ، القائل بالسفور وبالملبس الاصلح ، والذي تجلت في شخصه ، نهضة الامة المسلمة التركية . فهل قال للافرنج « نوالي من واليتم ونعادي من عاديتم » ودخل تحت سيطرتهم مُنْدَغِماً وشعبه بهم ؟ ام انه نشل بلاده وامته ، من وهدة الاضمحلال ، الى ذروة الاستقلال ؟

لاشكّ ان مصطفى كمال ، قد أفرط في بعض الامور ، ولكن قوة الدفع تتزايد بنسبة قوة التضييق، فالامة التركية قضت اجيالاً تحت كابوس من عمائم يضغط الحربة، حتى صغرت تلك الامة، وانحطت انحطاطاً شائناً ، فاضاعت القسم الاعظم من ملكها ، واوشكت ان تقع تحت نير الاستعباد. ولم يتسنّ للحياة المضغوطة ، الكامنة في نفس تلك الامة ، عواملُ من النهضة واحوال موافقة لظهورها ، الى ان قيَّض الله لها زعيمها الحر الناهض مصطفى كمال ، فكان منها بمثابة الفم من البركان، فثارت نفوسها على عوامل التضييق ، مخرجة اثقالها ، قاذفة بها ناراً ملتهبة ، تحرق كل ما قبح وساء من العادات والتقاليد ، ليقوم مقامها الحسن الجميل من كل جديد .

نعم ان مصطفى كمال ، في اظهاره نهضة قومه ، واخذه من الفرنجة كل حكمة ، وكل حسن ، اتبع الحديث الشريف القائل « الحِكْمَةُ ضَالَّةُ

المُؤْمن أنّى وَجدَها أَخذَها » فكان الله له ناصراً .

يا سيدي الشيخ ، اذا كان التفريق باللباس ، وتقييدنا به ، من لوازم الاسلام ، فاي شيءٍ قضى على المسلم في الازمنة الاخيرة ، التي مرت قبل مصطفى كمال ، وقد كان حراً في لباسه ، مقيداً ازياء غيره ، ان يلبس مثل اخيه غير المسلم ، ويزيل الفوارق الكثيرة ، التي كانت تفصل الواحد عن الآخر ؟ أوليس الذي دعاه ، رابطُ الاخوة والتشارك في الدنيـا ، دون نظرٍ الى المذهب والدين؟ أوَلم يرَ المصلح العثماني الاول، الخليفة السلطان عبد المجيد ، ان التفريق مما يفتُ في عضد الدولة ، ويوهي قوتهـا ، ويسوقها الى الفناء ، فكان من اصلاحاته الخيرية ، انه أبدل الطربوش من العمامة ، ولبسه هو نفسه ، ومشى خَلفَهُ ابناءُ سلطنته ؟ أراد بذلك شدَّ روابط الاخوة بين العثمانيين .

ثم غيّر من جاء بعده من الخلفـاء ، للقصد عينه ، لباسهم ، ولبسوا الزيّ الفرنجي ، ومنه البنطالون ، وتبعهم في ذلك المسلمون وغيرهم ،وقد كان الفقهاء لايجيزون ذلك للمسلمين ، لأن فيه تشبهاً بالامم الأخرى ، ولأن البنطالون يظهر شكل الجسم الذي لايجوز ظهوره ، اما المسلمون فقد غيروا لباسهم ، واتخذوا ذلك اللباس الفرنجي ، الذي رأوه أصلح من ملبسهم ، وشاركوا في لبسه اخوانهم ، ولم يروا لذلك في امر دينهم تأثيراً وتغيراً .

وهل يقوم دين المسلمة بزيٍ من جلباب، ودرع ونقاب، حتى لايجوز

تغيير ذلك الزي ؟ ولِمَ لا يجوز للمرأة ما جاز للرجل ، من تغيير الزي ، واختيار الاصلح ؟ وهل تلبس اليوم المسلمات ، ما كانت اخواتهن من قبل لابسات ؟ واللواتي لا يلبسن جلباباً ونقاباً من القرويات ، واللواتي يلبسن القبعات من المسلمات التركيات وغير التركيات ، والافغانيات ، واليوغوسلافيـات ، وجلالة ملكة الافغان ثريا ، أهن يا مسلمون غير مسلمات ؟ وهل يوافق المصلحة الاسلامية ، أن تُفصَمَ عروتهـا الوثقى من الامم التركية والافغانية واليوغوسلافية ؟

ياسيدي الشيخ. انظر الى الانكليز والفرنسيين، والالمان والايطاليين، واليابان والاميركيين، وكل شعوب الارض المتمدنة ، اليس لباس رؤوسهم، ولباس جسومهم جميعاً ،على شكلٍ او زي واحد، وقد اجمعوا بعد الدرس ، انه الاصلح لتسهيل حركات الجسم ، وحفظ الصحـة ؟ فهل اثّر تشابه اللباس عندهم ، في نهضة كل منهم ، وحميته ، ووطنيته ، ودينه ؟ وهل اندغمت امة منهم باخرى ؟ أولم يبقَ الانكليزي انكليزياً ، والأفرنسي افرنسياً ، والالماني المانياً ، والياباني يبانياً ؟ فلماذا يقصر نظرنا الى هذا الحد؟ وها نحن نرى رجالنـا ، وقد لبسوا ما يلبس رجال الفرنجة ، ولبسوا ما يلبس اخوانهم غير المسلمين دون فرق بينهم ، فهل اندغموا بغيرهم ، ومنعهم ذلك من ان يكونوا مسلمين ؟

❀❀❀

ياسيدي الشيخ ، ان التفريق بالاساس ، والحؤول من هذه الجهة ، دون تمازج الناس ، ليس امراً مشكوراً ، والحجاب في الاصل . ليس من خصائص الاسلام . ولا من مقتضيات شريعته الحرة السمحة ، وانما هي عادة قلدنا بها سائر الأقوام ، ومن سبقنا من عبدة الاصنام . واثباتاً لعادة ستر الوجه قبل الاسلام في الجاهلية ، اليكم ما قاله الربيع بن زياد العبسي ، في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجه نهارِ
يجد النساء حواسراً يندبنه يلطمن اوجههن بالاسحار
قد كن يخبئن الوجوه تستراً واليوم هن برزن للانظار
يضربن حر وجوههن على فتى عفِّ الشمائل طيِّب الاخبار

واليكم ما قالته ام عمران بنت وقدان في الجاهلية ، تحرض قومها على اخذ بثار :

ان انتمُ لم تطلبوا باخيكمُ فذروا السلاح ووحشوا بالابرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق

واليكم بيتاً مما قالته هند بنت معبد الجاهلية ، في رثاء ابن اخيها خالد.

ان تخرج الكاعب من خدرها يومك لا تذكر فيه الحياء

هكذا كانت الجاهلية . وهكذا كانت سائر الامم ، كالروس والفرس واليونان.

نعم ان نساء الجاهلية كن متنقبات ، ولكن المفسرين قالوا لنا انهن كن متبذلات ، اذن لا خير في نقابهن .

＊ ＊ ＊

يا سيدي الشيخ ، هات الدليل من الكتاب او من السنة ، على وجوب تميز المسلمين في الملبس عن غيرهم ، وعدم جواز لبسهم ملابس مشتركة ، بينهم وبين غيرهم . او لم تقرأ آيات الله في كتابه « والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر . كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

أو ما ترى في هذه الآيات البينات ، ما هي نعم الله المحللات ، وما هي المحرمات ؟

واني لأشرع انقل اليك ، تفاسير هذه الآيات من كتب التفسير بحروفها .

قال المفسرون البيضاوي والنسفي والخازن والطبرسي : السربال يعم كل ما يلبس .

وقالوا : زينة الله ، كل ما يُلبس ويُتجمل به .

وقالوا : خص الله الحرّ بالذكر ، اكتفاءً باحد الضدين ، او لان وقاية الحرّ كانت اهمّ عندهم .

وقالوا : في الآية دليل صريح ، على ان جميع المطعومات والمشروبات والملبوسات ، وانواع التجملات ، حلال ، الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم . لان الاصل في جميع الاشياء الاباحــة ، الا ما حظره الشارع ، وثبت تحريمه بدليل منفصل .

وقالوا : الطيبات من الملبس والمأكل مشتركة في الدنيا بين المؤمنين وغيرهم ، وهي خالصة للمؤمنين في الآخرة .

وقالوا: عن ابن عباس رضي الله عنه « ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فاكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء »

وقالوا : ان الملابس والمطاعم وانواع التجملات ، غير خالصة للمؤمنين في الدنيا ، لان المشركين شركاؤهم فيها . ولم يقل تعالى هي للذين آمنوا ولغيرهم ، لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة ، وعلى ان غيرهم تابع لهم .

وقالوا : وارجو منك ان تصغي الى ما قالوا ، في تفسير قوله تعالى « وكذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون » اي قال الله تعالى كذلك أُبيّن الحلال مما احللت ، والحرام مما حرمت ، لقوم علموا اني انا الله وحدي ، لا شريك لي . فاحلّوا حلالي ، وحرّموا حرامي ، قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب ، الذين يحرّمون ما احلّ الله لهم ، ان الله لم يحرّم ما تحرّمونه انتم ، بل احلّه الله لعباده ، وطيّبة لهم . وانما حرّم ربي الفواحش من الافعال

والاقوال، جهرها وسرّهـا، والأثم، والبغي بغير الحق، وان تشركوا بالله، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون.

وقالوا في تفسير «وان تقولوا على الله ما لا تعلمون» اي وان تتقوّلوا عليه، وتفتروا الكذب في التحريم.

فهل ترضى يا سيدي الشيخ بان تكون ممن يقولون على الله ما لا يعلمون. فيحرمون على المؤمنين نعمة الله التي اخرج لعباده، ويهملون البحث عن محرماته، مقيمين مقامـه التشويق الى التفريق بالملبس؟ فدع البحث عن الملبس يا سيدي، وابحث عن مكارم الاخلاق.

انه لمن دواعي العجب، ان خزانة الكتب الاسلامية، على وفرة ما حوته من الكتب والاسفار، وعلى ما فيها من دواوين الاشعار، المملوءة من المدح، والرثاء، والفخر، والهجو، والغزَل، لو فتشنا فيها عن كتب الاخلاق التي تركها لنا السلف، لما كدنا نعدُّ اكثر من ثلاثة هي: (تهذيب الاخلاق لابن مسكويه. و (ادب الدنيا والدين) للماوردي. و (الجزء الرابع) من احيـاء الامام الغزالي. وقد زينها منذ عهد قريب، كتاب (الاخلاق والواجبات) للعالم الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي، فأتنا يا سيدي الشيخ بكتاب ثان، في الاخلاق والواجبات، تُهذِّب به ناشئتنا على مبدإ قويم، وتراعى به تغيرات الازمان، وتطورات احوال العمران، على مثل ما فعل الشيخ المغربي، وليكن فداك الف كتاب، ليس فيها نفع لتهذيب اخلاق الامة، على المبادئ القويمة.

(وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا)

* * *

المقابلة بين ما امر الله ورسوله من جهة . وما قال ابن عابدين من جهة اخرى . ونظرات لي .

يا سيدي الشيخ ، اتخاف على القطيع، اذا اشترك وغيره في الملبس ان يضيع ؟

الرعاة يَسِمون الغنم ، ويشرمون آذان المعزى لِتُعرَف . فهل تريد ان تَسِم الناس، بوسم اللباس؟

ان بعض اسلافك من الفقهاء ، كانت رغبتهم في احداث غرائب البدع ، اشبه بالولع ، فابتدعوا من السّمات والعلامات والمعاملات لغير المسلمين انواعاً واشكالاً ، جل عنها شرع الله الاشرف وتعالى. ان ذلك كله كان مفعولاً لمعنى مؤلم ، هو تفريق المسلم عن غير المسلم .

وقد يكون انك اخذت قولك يا سيدي الشيخ ، بوجوب تميز المسلمين عن غيرهم ، من رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ، حيث قال ما ملخصه : — لما كان الذميون مخالطين اهل الاسلام ، فلا بد من تميزهم عنا . واذا وجب التميز ، وجب ان يكون بما فيه ذل وصغار لهم ، كيلا يعامل غير المسلم معاملة المسلم ، في التوقير والتعظيم. فلا يركب غير المسلم خيلاً مطلقاً ، وان ركب حماراً ينزل عنه عند ما يمرّ بالمسلمين . ويضيق عليه في المرور بان يلجئه الى اضيق الطريق . ولا يسكن داراً عالية البناء ، ويجعل على داره علامة ، لئلا يقف عند داره سائل ، ويدعو له بالمغفرة ، او يعامله في التضرع معاملة المسلمين، واذا استعلى على المسلمين ، حل للامام قتله ، واذا استخدم العبيد والجواري يلزمه الحبس والتعزير الشديد . ولا

يعمل بسلاح ، اي لا يحمله ولا يستعمله ، لانه عزّ ، وكل ما كان عزاً يمنع عنه . وعليه ان يظهر الكستيج مزرّاً به فوق ثيابه ، محوكاً من خيوط الصوف والشعر الثخين ، والكستيج فارسي معرب ، معناه الاصلي العجز والذل . ولا يلبس الثياب الفاخرة كصوف مربع ، وجوخ رفيع ، وابراد رقيقة ، ولا يلبس زنار الإبريسَم ، لان ذلك جفاء في حق الاسلام ، ومكسرة لقلوبهم ، وانما يلبس قلنسوة طويلة من كرباس اولبد ، مصبوغة بالسواد ، وتجعل مكاعبهم (اي مداساتهم) خشنة ، فاسدة اللون ، وكذا تؤخذ نساؤهم بالزي في الطرق ، فيجعل على ملاءة اليهودية خرقة خضراء ، وعلى ملاءة النصرانية خرقة زرقاء ، وكذا في الحمامات ، فيجعل في اعناقهن طوق الحديد . الى آخر ما وضع هناك من القيود المبتدعة وعدّد ، الى ان قال : وينبغي لغير المسلم ، ان يلازم الصغار فيما يكون بينه وبين المسلم في كل شيء ، وعليه . فيمنع من القعود حال قيام المسلم عنده ، ويُحرّم القيام له تعظيماً ، وتكره مصافحته ، ولا يبدأ بسلام إلا لحاجة ، ولا يُزاد في الجواب على « وعليك »

ايجوز لنا ياسيدي الشيخ ، ان تأخذ بهذه البدع الغريبة التي ما انزل الله بها من سلطان ، وتخالف الكتاب والسنة مخالفة صريحة ، حتى تنشر الرسائل بين العامة . مشوقاً الى التفريق بالملابس ، لتزيد الغرور غروراً ؟ ايجوز ان نعد هذه البدع ، من الشرع المتبع ، ونجعلها احكاماً نتمشى عليها .

ام يجدر ان نرجع الى كتاب الله ، وسنة رسوله ، حيث الخير والصلاح ، وحيث التآخي والسلام ، وحيث المدنية والنور ؟ الا ترى ، اننا اذا قدرنا فاتبعنا مثل هذه البدع أمسينا مصداقاً لقوله تعالى « يَوْمَ تُقَلَّبُ وجوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ، وقالوا رَبَّنَا اِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ » ؟

اين هذه البدع من كلام الله وسنة رسوله ؟ شتان ما بين الثريا والثرى . ان المسلم الذي يرى ما رأى ابن عابدين ، اشبه بمن يملك ثوباً فاخراً جيلاً قشيباً ، فلا يلبسه الا مقلوباً .

قال الله تعالى في كتابه العزيز (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . . عسى أَنْ يجعلَ بينكم وبينَ الذين عاديتم مودَّةً . لاَ ينهاكُمُ اللهُ عن الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُم في الدِّينِ ولَمْ يُخرِجوكُم مِنْ دِيارِكُم أَنْ تبرُّوهم وتُقسطُوا اليهم إنَّ اللهَ يحبُّ المُقسطين)

وقال تعالى (وَلاَ تجادِلوا أهلَ الكتابِ إلاَّ بالَّتي هيَ أحسَن) وقال تعالى (إدفع بالَّتي هي أحسن فإذا الَّذي بينكَ وبينهُ عداوةٌ كأنهُ وليٌّ حميم)

وقال تعالى (انَّا أنزلنا التَّوراةَ فيها هدًى ونورٌ يحكُمُ بها النَّبيُّون ... وليحكُمْ أهلُ الإنجيلِ بمَا أنزلَ اللهُ فيهِ ومَنْ لم يحكُم بما أنزلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الفاسقُون . وأنزلنا اليكَ الكتابَ . . . فاحكُمْ بينهمْ بما أنزل اللهُ .. ولوْ شاءَ اللهُ لجعلكُمْ أُمَّةً واحدةً ...)

وقال صلى الله عليه وسلم، وقد جمع في قوله هذا، العدل كلَّهُ وحسن السياسة كلَّهُ، قال عن الذميين (لهم مَا لنا وعليهم مَا علينا)

وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ آذى ذِمِّيًا فقد آذاني، وَمن آذاني فقد آذى ٱللهَ »

وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ آذى ذِمّيًا فأنا خصمُهُ، وَمَنْ كُنتُ أنا خصمَهُ خاصمتهُ يومَ ٱلقيامةِ »

وقال صلى الله عليه وسلم « من آذى ذِمّيًا ضَرَبَهُ ٱللهُ بِسياطٍ مِنْ نَارٍ في يومِ ٱلقيامه »

وقال صلى الله عليه وسلم « الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ ٱللهِ وأَحبُّهُمْ إلىَ اللهِ أنفعهمْ لعِيالِهِ »

وقال صلى الله عليه وسلم « أشرفُ الإيمانِ أن يأمنكَ ٱلناسُ، وأشرفُ الإسلامِ أنْ يسلَمَ ٱلنَّاسُ مِنْ لسانكَ وَيدِكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم « رأسُ ٱلعقلِ بعدَ الإيمانِ بِاللهِ ٱلتحبُّبُ إلى ٱلناس »

وقال صلى الله عليه وسلم « المُؤمنُ آلِفٌ مأْلوفٌ ولاَ خيرَ فِيمَنْ لاَ يألفُ ولاَ يؤلَف »

وقال صلى الله عليه وسلم « لَيسَ بمؤمنٍ مَنْ لمْ يأْمنْ جارُهُ غوائلَهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ حَفَّ الأِسْلاَمَ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمحَاسِنِ الأَعْمَالِ »

وقال صلى الله عليه وسلم « ولاَ تَبَاغضُوا ولاَ تدابرُوا ولاَ تَنَافسوا وكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخوانًا »

وقال صلى الله عليه وسلم « إِصلاَحُ ذَاتِ البَينِ خَيرٌ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ والصَّوم »

وقال صلى الله عليه وسلم « الإنسَانُ أخُو الإنسَانِ أَحبَّ أم كَرِه »

وقد صاحب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، رجلاً ذمياً ، فقال له الذمي : اين تريد يا عبد الله ، قال : اريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي ، عدل معه امير المؤمنين ، فقال له الذمي : لم عدلت معي ؟ قال له امير المؤمنين : هذا من تمام حسن الصحبة أن يتبع الرجل صاحبه هنيهة اذا فارقه ، كذلك امرنا نبينا .

ولنصغِ الآن الى الحديث الآتي : أسرَت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب مع بني طي ، سفّانة بنت حاتم الطائي ، واتوا بها وكانت مسيحية ، فقالت : « هلك الوالد ، وغاب الرافد ، فإن رأيت ان تخلّي عني ، ولا تشمّت بي أحياء العرب ، فان ابي كان سيد قومه ، يفك العاني ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام . ويحمي الكلّ ويعين على

نوائب الدهر، وما اتاه احد في حاجة فردّه خائباً انا بنت حاتم الطائي.» فقال صلى الله عليه وسلم « هذهِ صِفَاتُ المُؤمنِينَ حقاً، خَلُّوا عنهَا ، فإنَّ أباهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأخلَاقِ » وبعد ان أكرمهـا ارجعها الى قومها آمنة مكرّمة.

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم أخوها عديّ بن حاتم الطائي ، فقام له تعظيماً ونزع رداءه واجلسه عليه وجلس صلى الله عليه وسلم على التراب ثم التفت الى اصحابه وقال « اكرموا عزيز قوم ذلّ » ثم ادخله بيته مكرماً اياه ، ولم يكن عنده في البيت غير حفصة ووسادة من ادم فطرحها له واجلسه عليها ، وجلس صلى الله عليه وسلم على الارض ثم قال له « إنَّ أبَاكَ مَاتَ قَبْلَ أنْ يُؤمِنَ فإذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ وأمَرَ اللهُ بأبِيكَ إلى النَّارِ أوحَى إلى النَّارِ أنْ يَانَارُ هيدِيهِ ولاَ تُؤذِيهِ . فإن كَانَ أبُوكَ فِي النَّارِ لاَ يَذُوقُ حَرَّ النَّارِ لأنَّهُ كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأخلَاقِ »

هـذا . شرع الله الواجب ان يتبع لا تلك البِدَع . قابلوا بين شرع الله ، وتلك البدع . انها ليست مما شرع .

يا سيدي الشيخ لا عمل للانسان . اشد ضرراً من تعاميه عن مرضه او اخفائه وعدم سعيه لشفائه . ومن أهم الامراض الاجتماعية عدا الجمود والتقليد مرض كثير الغدر بصاحبه هو التكبّر او الغرور الذي يعمي الأنسان فلا يعرف نفسه هو التكبر او الغرور الذي اعمى قلب الرجل

عن الحق ، وعن العدل ، وعن كتاب الله ، وعن سنة رسوله . فعامل المرأة المستضعفة بما عامل . وحاول ان يعامل كل من غلبهُ مثلما عاملها بالغمض والتحقير . ولكن ذلك يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، فلا ينتج الا وبالاً ، ولا يزيد الاسفالاً ، ولا يعود على صاحبه الا بالخسران . قال الله تعالى « فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ » اي الشيطان . انه يحمل الانسان على محاربه وورائها كل ما يضرّ به . وقال تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا »

وقال صلى الله عليه وسلم « أَعْظَمُ التَّكَبُّرِ غَمْضُ الخَلْقِ وسفهُ الحق »

وقال صلى الله عليه وسلم « المُتَكَبِّرُ في الأَرضِ يُنَازِعُ جَبَّارَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضِ »

وقال صلى الله عليه وسلم (الكِبْرُ رِدَاءُ اللَّهِ ، وَالمُتَكَبِّرُ يُنَازِعُ اللَّهَ رِدَاءَهُ ، وَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا سَفَالًا ، وَكَبَّهُ فِي النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ)

وقال صلى الله عليه وسلم (يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَومَ القِيَامَةِ فِي خَلْقِ مِنَ الذَّرِّ ، فِي صُوَرِ النَّاسِ ، يُوطَئُونَ حَتَّى يَفْرُغَ اللَّهُ مِن حِسَابِ خَلْقِهِ ، ثُمَّ يُسْلَكُ بِهِم إِلَى جَهَنَّمَ وَيُسْقَوْنَ مِن طِينَةِ خَبَالٍ مِن صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ)

قال الشاعر الاميركي « لم يقبلني المتكبر المتعصب في دائرة الاخوة اذ بنى حوله دائرة وضعني خارجاً عنها ، فبنيت حولها دائرة من الاخوة

اخرى اوسع منها ، فبقيت واياه في دائرة واحدة » . فما كان احرى بابن عابدين ان يجلّ الدين الاسلامي ، عن مثل تلك البدع ، وان يسبق ، تبعاً لروح ذلكم الدين الشريف السامي ، الشاعر الاميركي ، في تبيين دائرة الاخاء العظمى التي تجمع العالم ، تلك التي اسسها المسيح عيسى وشيدها محمد عليهما الصلاة والسلام .

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يركب الخيل مطلقاً ، وان ركب حماراً لضرورة فينزل عنه عندما يمر بالمسلمين ، واوجب عليه التضييق ، وألجاءه الى اضيق الطريق ، كل ذلك تأميناً لملازمته الذل والصغار على ما ذكر . وانظر اليوم ، انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، الا ترى انه بعد نيله حرياته وافلاته من قيوده واغلاله ، لم يكتف بتسخير الارضين ، وسهولها ، وحزونها ، لعجلاته ، وسياراته ، ودباباته ، وبتسخير البحار لبواخره ، ومواخره ، ومدرعاته ، بل سخر الافلاك الواسعة لطياراته ، وركب متن الجو ينظر الى الارضين من علٍ ، هازئاً بالقطبين والاوقيانوس الشاسع الواسع ، الفاصل بين العالَمين ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يسكن داراً عالية البناء لئلا يقف عند داره سائل ويدعو له بالمغفرة او يعامله في التضرع . وانظر اليوم انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، وقد نال حرياته ، وافلت من قيوده واغلاله ، الا ترى ان قصوره الشاهقة ، وقد يبلغ بعضها سبعين طبقة ،

المقابلة بين ما امر الله ورسوله من جهة ، وما قال ابن عابدين
من جهة اخرى . ونظرات لي .

تناطح السحاب وقد تعلوه؟ وهو لا ينتظر السائل ليدعوله بالمغفرة، او يعامله بالتضرع ، انما ترفع عن ذلك ، وهو يرسل الى ما وراء البحار ، والى كل الاقطار ، ملايينه ومليارانه ، لاسعاف الفقير ، وشفاء المريض ، ونشر العلم ، وتثقيف العقل ، واسعاد البشر ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يستخدم العبيد والجواري استخفافاً به . فتأمل انت يا سيدي الشيخ فيما فعل غير المسلم ، بعد نيل حرياته وافلاته من قيوده واغلاله . انه حرر العبيد والجواري ، في الدنيا كلها جبراً ، بمعاهدات خاصة . وبدلاً من ان يستعبد اخوته وأخواته من بني الانسان ، ويسخرهم ، استعبد الطبيعة الجامدة ، مسخراً اياها ، ومسخراً قواها لارادته ، وخدمته ، وراحته ، ونفعه .

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يلبس الثياب الفاخرة ، مثل الصوف المربع ، والجوخ الرفيع ، والابراد الرقيقة ، ولا زنار الابريسم لان ذلك جفاء في حق الاسلام ومكسرة لقلوبهم بل يلبس الكستيج ثوب العجز والذل ، محوكاً من خيوط الصوف والشعر الثخين .

وقد تناسى ابن عابدين على ما يظهر انه لما علم القرآن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ان يستعيذ من مساوئ الاخلاق كان الحسد من جملة ما لقنه الاستعاذة منه فقال تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) .

السفور والحجاب

وانظر اليوم يا سيدي الشيخ · الى غير المسلم · الا ترى انه قد حصر فيه صنع الاقمشة الفاخرة · كما حصر فيه سائر الصناعات الهامة عنوان العز والقدرة ؟ فهو الذي يرسل الينا من الاقمشة الفاخرة ما نلبس ·

هل يرى ابن عابدين موافقاً لمكارم الاخلاق التي انما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم لتتميمها · ان نحسد غير المسلم · على لبس الملابس الفاخرة ، وزنار الابريسم · ونعد ذلك مكسرة لقلوبنا · في حين ان غير المسلم ، يرسلها الينا من وراء البحار · لنتزين بها · دون ان يجول في فكره شيء من الحسد ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ان يعمل بسلاح · وانظر اليوم انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، وقد نال حرياته · وافلت من قيوده واغلاله · الا ترى انه بدلاً من مثل (بارودة بفتيل) صنع لنفسه قلاعاً متحركة تدهش القلوب والانظار · واسلحة مروعة من المدافع والقنابل وآلات الدمار · ما يدك من الارض جبالاً · ويزلزلها زلزالاً . ويشعلها اشعالاً . البروق والرعود والصواعق تترى من فوهاتها في غيوم من الدخان والغاز الضار · كأنها براكين نار . تخرج أثقالاً · بعدت مجالا . في الارض وفي الجو وفي البحار ؟

لم يجز ابن عابدين لغير المسلم · ان يلبس على رأسه الاقلنسوة طويلة من كرباس او لبد مصبوغة بالسواد · وأن يلبس من المكاعب غير الخشن

الفاسد اللون . وألق اليوم ياسيدي الشيخ نظرة . الا ترى اننا نحن بقينا على شكل واحد . من القلانس المتركة . او الطرابيش التي يصنعها غير المسلم . ويرسلها الينا . وان مداساتنا الحمراء او الصفراء . بقيت ثابتة لا تتغير ، يستحي ان يلبسها احد منا . الا الفقراء من اهل القرى ؟ اما هو فقد صنع لنفسه قلانس ومكاعب جميلة . نافعة . فاخرة . متجددة . متبدلة مع الحر والقر . قد لا تحصى اشكالها . ولا تحصر انواعها . فاشتركنا في ما اخترع من المكاعب والملابس . ولكننا انشطرنا شطرين في القلانس .

أوجب ابن عابدين على غير المسلمات . ان يجعلن على ملاآتهن خرقاً خضراء . او زرقاء . وان تجعل في اعناقهن في الحمامات اطواق الحديد . فانظر اليوم يا سيدي الشيخ . الى غير المسلمات . وقد نلن حرياتهن . وأفلتن من قيودهن واغلالهن . الا ترى انهن اطرحن الملاآت والخرق . وظهرن بأثواب وقلائد من العز والفخار . كأنهن ملائكة من بشر . يسعين لجعل الارض جنات . تجري من تحتها الأنهار . تشرح القلوب والصدور . وتسرّ الارواح والابصار ؟

ان قيود الملبس التي قال بها ابن عابدين . يا سيدي الشيخ . كانت لمعرفة غير المسلم . حتى لا يغلط احد في معرفته ، فيعامله معاملة لائقة . وما كانت الا بدعة . مثل بدعة الحجاب للمرأة المستضعفة الملازمة الذل والصغار .

لم يجز ابن عابدين للمسلم، ان يصافح غير المسلم . او يبدأه بسلام .

او يزيد في الجواب على (وعليك) وان يقوم له تعظيماً . ولكن ما قاله ابن عابدين مخالف صراحة لقوله تعالى (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) ومخالف لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان (لاَ غِرَارَ فِي صَلاَةٍ وَلاَ تَسْلِيم) . وجاء في معاني الاخبار: لا غرار اي لا نقصان. اما في الصلاة ففي ترك اتمام ركوعها وسجودها . واما في التسليم ، فان يقول الرجل (السلام عليك) او يرد فيقول (وعليك)، ولا يقول (وعليكم السلام) . وقد صادف الامام الشافعي ، وثنياً ، فبادره بالسلام قائلاً : (السلام عليكم ورحمة الله) فقيل له : اتدعو له بالرحمة ؟ اجاب : أوَليس برحمة الله يعيش ؟

قال ابن عابدين ما قال بشأن السلام ، وعدم التعظيم والاحترام ، ولكن ألا ترى اليوم يا سيدي الشيخ ، ان غير المسلم ، بعد نيله حرياته ، وافلاته من قيوده واغلاله ، استحق منا واجباً من السلام ، والاكرام ، والتعظيم والاحترام ، نتسابق اليه ، لنقضيه لديه ، ولنا مثل ذلك الواجب عليه ؟

سادتي وسيداتي

ان النتائج التي حصلت في العالم السافر الراقي ، تدل على صحة المقدمات في آرائه واعماله . واما النتائج التي حصلت في عالمنا المقيد ، في كل حركاته واعماله ، فانها لتدل على فساد المقدمات في آرائنا واعمالنا . فلنترك الغرور

يا سادة ، لا فرق في الدنيا المشتركة بين الانسان ، واخيه الانسان . فليتشبه كل منا ، بمن هو خير منه عملاً ، اياً كان واين كان (ان التشبه بالكرام فلاح) ومن كان مغروراً ، مستصغراً غيره ، فليس له نصيب من غيره الا الاستصغار كما قال الشاعر :

مثَلُ المعجب في خيلائه مثل الواقف في رأس الجبل
ينظر الناس صغاراً وهو في اعين الناس صغيراً لم يزل

الى الامام يا سيدي الشيخ الى الامام ، إلحق بالناس لتقرب منهم فتستكبرهم لدى النظر اليهم ويستكبروك ، ولا تبقَ متأخراً بعيداً عنهم ، فتستصغرهم لدى النظر اليهم ويستصغروك .

(والنجم تستصغر الابصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر)

إلحق بهم واقرب اليهم يا سيدي ، لئلا تراهم من بعيد اشباحاً ، وهم اخوانك ، فيروك هم ايضاً شبحاً وانت اخوهم . ان بعض الحكماء مثل هذه الحالة بقوله (أمسى عليّ المساء في الصحراء ، فلاح لي من بعدٍ شبح اسود ، فذعرت منه ، ولما أقبلتُ نحوه ، وجدته انساناً ، ولما صرتُ بجانبه ، وجدته اخي)

نعم يا سادة ، ان الانسان اخو الانسان احب ام كره ، وان منزلة المرء من ربه ، ومن بني جنسه ، تكون على مقدار ما يوصل من النفع والخير للبشر ، انهم اخوانه . ان نور الحرية بدد الظلمات ، وازال ما احدثه

التعصب من الفروق بين الناس في الدنيا ، ذلك التعصب المكروه، الذي شد ما حجب عنا ما في شرع الله ، والكتب المنزلة من الانوار . وما فيها من امهات الخير ، ومكارم الاخلاق .

ذلك التعصب المكروه، الذي انسانا ان الانسان اخو الانسان. وان الله رب العالمين (يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين) . ولم يكن تقييد الذميين بالملابس الا نتيجة ذلك التعصب.

اما اليوم وقد تحرر الذميون، مثلما تحرر العالم السافر الراقي، من قيود الملابس، والقوها بعيداً عنهم ، فكأن سيدي الشيخ ، وقد عجز عن تقييد الذميين ، يفتش عن مثل تلك القيود ليقيد بها المسلمين. تأييداً لمبدإ التفريق بين العالمين . وقد يكون أن الشيخ يهمه ، على ما ذكر بعض الظرفاء، ان يعرف من اول نظرة ، لمن يقول « السلام عليكم ورحمة الله » ، ولمن يقول « نهاركم سعيد » او (وعليكم) . ذلك قد يهمه ، اكثر مما تهمه الامور ، التي ترفع عالم الاسلام الى اعلى الدرجات، او تخفضهم الى اسفل الدركات، قد يهمه ، اكثر مما تهمه الامور ، التي تمشي بهم الى الامام ، فتجعلهم في طليعة الاقوام ، او ترجع بهم الى الوراء ، فتجعلهم كالانعام تقاد بالزمام . وقد يؤثر الشيخ مثل هذه الحال ، مهما ساء المآل ، ليعد نفسه من القادة الاعلام .

❀ ❀ ❀

يا سيدي الشيخ ،انك تشوّق الى التقنع والتحنك ، كأنك لم تسمع الحديث عن عليّ رضي الله عنه « التَقنّعُ رِيبَةٌ فِي اللّيلِ وَمَذَلَّةٌ فِي النَّهارِ »

انك تضيّق علينا الخـَرق، بقيود الملبس ، كأنك لم تقرأ آيات الله التي ذكرتها مع تفاسيرهـا ، ولم تقرأ الحديث عن ابي عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه ، [ثلاثة اشياء لا يحاسب الله عليهـا المؤمن ، طعام يأكله ، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصنُ بها] وكأنك لم تقرأ الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه « كُلْ مَا شِئْتَ ، وأشْرَبْ مَا شِئْتَ والْبسْ مَا شِئْتَ ما أخطأتكَ خَصْلَتَانِ سَرَفٌ وَمَخِيلَةٌ »

انك تريد ان ترجعنا في الملبس ، الى ما وراء العصور التي خلت ،مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يريد الجمود ، ولا رجوع القهقرى ، وقد جاء في الحديث الشريف « أحسِنُوا لِبَاسَكُمْ وأصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حتّى تَكُونُوا كأنّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاس »

وجاء في الحديث الشريف « خَيْرُ لِبَاسِ كُلِّ زَمَانٍ لِبَاسُ أهلِه »

وارجو منك ، ان تعي الحديث الآتي . ولكل فيه ، من حكمة وعبرة ما يكفيه :

« قال سفيان الثوري ، لابي عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه . يا ابن رسول الله ؛ انك تلبس القُوهِيَ والمرَوِي . وما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا علي رضي الله عنه ، مثل هذا اللباس . فقال ويحك ، اسمع مني

وَعِ ما اقول. فانه خير لك عاجلاً وآجلاً ، ان انت متّ على السنّة ، ولم تمت على بدعة ، اخبرك ان رسول الله ، كان في زمان مقفرٍ جدب مقصَر ، وَقترٍ مقتّر ، وكان يأخذ لقتره واقتاره ، وعلياً كان في زمن ضيق معسر ، وكان يأخذ لِضِيقِهِ وإعسارِهِ ، اما وقد اقبلت بعد ذلك الدنيا . وارخت عزاليها ، واتسع الزمان ، فأحق الناس بطيباتها ، ابرارها لا فجارها ، ومؤمنوها لا منافقوها . ومسلموها ، لا كفارها ، فنحن احق من اخذ ما اخرج الله واعطى ، ثم تلا « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ » الى آخر الآية. والى ان قال: ان علياً رضي الله عنه. اشترى ثلاثةاثواب بدينار ، القميص الى فوق الكعب ، والإزار الى نصف الساق، والرداء من يديه الى ثدييه ، ومن خلفه الى إِلْيَتِهِ ، ثم رفع يديه الى السماء ، وما زال يحمد الله على ما كساه ، حتى دخل منزله قائلاً : هـذا اللباس ينبغي للمسلمين ان يلبسوه ، ثم قال : وعليٌ كان في زمان يستقيم له ما لَبِسَ فيه ، ولكن لا تقدرون ان تلبسوا مثل ذلك اللبـاس ، في هذا الزمان . ولو فعل احد منكم ، لقـالوا انه مجنون ، او مراءٍ سيٌ ، ولو فعلته انا لقالوا ، جنّ جعفر »

فيا سيدي ، اذا كان من يلبس في زمن ابي عبدالله جعفر الصـادق، لباساً مثل لباس علي ، رضي الله عنهما ، عرضةً لقول الناس فيه انه مجنون ، او مراءٍ سيٌ . فماتكون حالة من يلبسه اليوم ، وقد مضى على ذلك الزمان ما يزيد على الف سنة .

اني ايها السادة ، تمثلت ابي ، كأنه لابس مثل ذاك القميص والازار والرداء ، نازلاً الى قصر العدل والقضاء . وتذكرت ما قاله ابو عبد الله رضي الله عنه . فلم اتمالك عن التسارع لاغلاق الباب . قبل ان يرى في مثل تلك الثياب . ولكنه خيال ما كاد يخطر في البال حتى غاب .

وماذا يقول الناس ياسيدي، عن سيدة ، اذا لبست اليوم درع الزمان القديم ، اي قميصه ، وهي زيه ، وخرجت بين الناس ؟

انظروا يا سادة اين نحن . واين سيدي الشيخ ، انه ما زال يبحث عن تضييق اكمام الرجلين واليدين ، وعن قدر اللحية بالقبضة ، وعن الاقتعاط وشكل تقنيع الرجال وتحنيكهم .

وكأن الشيخ في رسالته «رفع الشبهات عن المشتبهات» قد اشبه من وصفَ الامامُ علي رضي الله عنه وعنيَ بقوله « يقول اقف عن الشبهات وهو فيها وقع ، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع ، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ، ولا باب العمى فيصدّ عنه » .

ان سيدي الشيخ ، يعتبر جعل اللحية قبضة لا تزيد ولا تنقص ، كأنه من الامور الهامة الحيوية للاسلام ، ومن اركان الدين وعُمُده . ولهذا اخبرنا عن ان ما يفعله متخنثة الرجال ، من الاخذ منها وهي دون القبضة امر لم يبحه احد ! ومعنى المخنث المسترخي المتثني . اذن امسى المسلمون كلهم . في نظر الشيخ ، مسترخين متثنين مخالفين للدين .

انه يحكم ايضاً بكره لبس المسلمين الطربوش بلا عمامة يتقنعون بها

ويحنكون ، إذن اضحى المسلمون كلهم في نظر الشيخ مرتكبين ما يكرهه الدين .

ماهذه الاخبار التي تحفنا بها في هذا الزمان ياسيدي ؟ انك مفرط في وضع القيود ؟ ألا ينبغي للمسلم ان يكون حراً على الأقل في مقدار لحيته؟

وا حسرتاه ! اهذه هي التعاليم التي ننتظرها من الشيوخ لتنفع الاسلام . وتمشي بهم الى الامام ؟

***

ثم يكلفنا سيدي الشيخ ، ان نلبس حفش الثياب اي رزالها وباليها ، متى خرجنا من بيوتنا، كأن الشيخ نسي الحديث الشريف « إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهَا عَلَيْهِ » والحديث الشريف « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا خَرَجَ لِإِخْوَانِهِ أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُمْ وَيَتَجَمَّلَ » والحديث الشريف « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ وَالتَّجَمُّلَ ، وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ » والحديث الشريف « إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ سُمِّيَ حَبِيبَ اللهِ مُحَدِّثًا بِنِعْمَةِ اللهِ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ سُمِّيَ بَغِيضَ اللهِ مُكَذِّبًا بِنِعْمَةِ اللهِ » وقد قال تعالى « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

فلماذا تُكلف المرأة ان تكون بغيضة الله ، مكذبة بنعمة الله . هذا فضلاً عما يدعو اليه لبسها حفش الثياب من الريبة ؟

لا ينبغي لك ، يا سيدي الشيخ ، ان تجعل همك الباس النساء

حفش الثياب وباليها ولكن اجعل همك ، تقوية نفوسهن ، والباسهن اين كن ، ثوب الحياء الاروع ، فكل لباس غيره لا ينفع ،

«اني كأني ارى من لاحياء له   ولا امانة وسط القوم عريانا»

وهنا لا بدّ لي ان اذكر ، نكتة من اختلاف المشايخ بزينة النساء اذا خرجن من بيوتهن :

لقد سمعنا قول الشيخ محمد رحيم ، ولنسمع قول الشيخ عبد القادر المغربي في خطابه «محمد والمرأة» قال : « يعجبُ النبي ان لا تهجر المرأة زينتها . قالت ام سنان : بايعت النبي ، فنظر الى يدي وليس فيها اثر للخضاب فقال : [ما على احداكن ان تغير اظفارها وتعصب يدها ولو بسير] ، فهو يحضها على الخضاب ، وان يكون في معصمها سوار ولو سيراً من جلد » .

مسكينةٌ المرأة ، انها حائرة بين اقوال المشايخ . إذن عليها ان ترجع الى كتاب الله وسنة رسوله ، وتعقلها بنفسها .

❀❀❀

وانك يا سيدي الشيخ ، تقاوم لبس البرنيطة ، وما هي الا مظلة. وقد سئل الرضا رضي الله عنه ، عن رجل يلبس البرطلة ، فقال : « قد كان ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه، يلبس مظلة يستظل بها من الشمس » .

ولو تأملت في سير السلف ، لرأيت ان آل البيت ، كانوا يلبسون

ما يشاؤون مما يستحسنون ، قائلين « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ » . ان احق الناس باحسن اللباس : الابرار لا الفجار ، والمؤمنون لا المنافقون ، والمسلمون لا الكفار . ويوسف نبيٌّ ابن نبيٍّ ، وقد كان يلبس اقبية الديباج ، مزرورةً بالذهب ، ويجلس في مجالس آل فرعون البس وتجمل ، ان الله جميل يحب الجمال » .

فكيف تلوم المسلم يا سيدي ، اذا استحسن مظلة فلبسها يستظل بها من الشمس ، وقد لبس مثلها ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه.

لبس المسلمون الطرابيش ، وما هي الا قلانس يونانية الوضع ، تركها الاتراك بما غيروا فيها ، حتى صارت الى حالتها الحاضرة ، وهي جامدة على حال واحد صيفاً شتاءً لا تتغير ، إنهم في هذا الشرق ، جعلوا كل ملبس للانسان ، يتغير بحسب الفصول ، والحر والقر ، الا ملبس الرأس ، فانهم جعلوه جامداً . وكأنهم اجمدوه ، لأنه لبْسُ مواطن العقول التي ارادوا واسفاه ! ان يجمدوها .

وانا لنرى المسلمين في الصيف ، يرفعون الطرابيش عن رؤوسهم ، اذ لا ظلال لها ولا تقي الحر ، بل تزيده شدة ، وتنتج ضرراً لاسلامة ، فهي على رؤوسهم نقمة لا نعمة ، حر الشمس اهون منها .

ان هذه القلانس المتركة ، خالية من الحكمة ، بقدر ما تحتوي المظلات منها .

ومع هذا فاني ، ايها السادة والسيدات ، لست مبشرة بلبس المظلات او غيرها . وانما انا مبشرة وداعية مع من بشّر بالحرية على انواعها ودعى اليها ، اني ارى الحرية روح النهضة في الامة الاسلامية . واعدّها ركن الرقي والسعادة في الهيئة الاجتماعية . اني اريدها محيطة بالعالم حلقات من نور ، مرتبطة بعضها بالبعض لآخر ، لا ينقص منها حلقة ، وبعد ان يُقبل هذا المبدأ ، فمن اراد المظلة فليلبسها ، ومن اراد الطربوش ، او القاووق ، او اللبادة ، او القالباق ، او الكوفية والعقال ، او القلنسوة فليلبس ، انه حرٌ في نفسه ، وله ان يتخذ ملبساً لرأسه ما يراه نافعاً لائقاً ، وانُجلّ الدين عن ان يَتخذَ شكل الملابس ، وسيلة للطعن في ايمان اللابس . لو كان الطربوش لباس الاسلام ، لما لبس الارناؤوط اللباده ، والجركس القالباق ، والعرب الكوفية والعقال ، وكل قوم من الاسلام شكلا ؟

اجل ، واني لاعيد كلامي : ان لبس المظلة او غيرها لا يهمني . انما تهمني الحرية ، واعدّ التسليم بلبس المظلة ، من الادلة الظاهرة فينا عليها ، وعلى انطلاق عقل المسلم من عقاله ، وتحرره من قيوده واغلاله ، وعلى اننا شرعنا ننظر الى اللباب دون القشور .

قال الله تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

وما قلت فيما قلت القلنسوة ، الا لأنها كانت ايضاً من ملابس آل البيت ، والسلف الصالح رضوان الله عليهم . وعن ابي عبد الله جعفر

الصادق رضي الله عنه ، قال في الصفحة الـ ٣١٤ من كتاب (الوسائل) كان رسول الله يلبس من القلانس اليمنية ، وفي الحرب ذات الاذنين .

اجل ، انه صلى الله عليه وسلم ، كان يلبس في الحرب من القلانس ذات الاذنين لتقيه الحر ، وقد كان يغير ملبس رأسه الشريف تبعاً للحر والقر .

سادتي المشايخ ، انكم تقاومون لبس المظلات بعلة انها تمنع تميز المسلمين عن غيرهم ، ولا تقاومون الطرابيش او القلانس المتركة ، وقد منعت فعلاً تميز المسلمين عن غيرهم . كيف تقاومون المظلات والقلانس ذات الاذنين ، وهي في الاصل من وضعنا ، وقد لبس منها نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولبس منها أئمتنا ، ولا تقاومون القلانس المتركة ، وقد رآها صلى الله عليه وسلم بنور النبوة قبل ان تظهر ، ورأى ان فيها شراً عظيماً ، فقال صلى الله عليه وسلم — كما جاء في الصفحة الـ ٣١٥ من كتاب وسائل الشيعة في احكام الشريعه — « إذا ظَهَرَتِ القَلانِسُ المترَكَةُ ظَهَرَ الفُجورُ » ؟

كيف تقاومون المظلات ، مع ان فوائدها الصحية كثيرة ولا ضرر منها ، ولا تقاومون الطرابيس او القلانس المتركه ، واضرارها الصحية اكثر من فوائدها ، فضلاً عن تشاؤم النبي صلى الله عليه وسلم منها ؟

او ليس العناية بالصحة من اول الواجبات الشخصية في الاسلام ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نَفسُكَ مَطِيَّتُكَ فارْفِق بِها) وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ لجسدِكَ عليكَ حقاً) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمِنُ القويُّ خيرٌ مِنَ المؤمِنِ الضَّعيف) . وقوة المؤمن الجسدية انما تنشأ

عن مراعاة قوانين الصحة' التي ارشد اليها العقل' وحض عليها الشرع. واليكم قرار الجمعية الطبية المصرية ' بشأن البرنيطة والطربوش ' انقله حرفياً عن المقتطف ' راغبة لامتي كل ما فيه الخير' فخير الاسلام من نفع الاسلام وحررهم . لامن ماكرهم ' وخيرهم من مشى بهم الى الامام ' لامن اثقل عليهم عبء التقاليد وأخرهم . وهذا هو قرار الجمعية :

حضرة صاحب السعادة وكيل جمعية الرابطة الشرقية

بناء على ما جاء بمذكرة جمعيتكم الموقرة المؤرخة في ١٨ مايو سنة ١٩٢٦ بشأن استفتاء الجمعية الطبية المصرية في الملابس الصحية . اتشرف بان ابلغ سعادتكم قرار الجمعية الطبية الآتي :

هل الطربوش المنسوج من الصوف في شكله المعروف ولونه الاحمر واقٍ للرأس معا يجمع من الحواس حتى مؤخر العنق ؟ وان كان ذلك، فما هو الاصلح للاستعمال بدلاً منه ، ومن اي مادة يكون حبكه ونسجه ، وعلى اي صورة يكون شكله ؟

والجمعية الطبية رداً على هذا السؤال قررت ما يأتي :

غطاء الرأس يجب ان يكون خفيفاً كثير المسام لتجديد الهواء وتسهيل التبخر . ومانعاً لحرارة الجو الخارجية في الصيف . وحافظاً لحرارة الرأس في الشتاء .ويجب ان تكون حافته السفلى واسعة وبحالة يمكن دخول الهواء منها بسهولة ،مع ملاحظة امتداد زائدتين ، واحدة من الامام لوقاية العينين وحمايتها . والثانية من الخلف لوقاية مؤخر الرأس .

ومن الضرر الجسيم وضع شيء من قماش سميك خالٍ من المسام على الرأس مثل الحرام الصوف او ما يماثله ، والطربوش الحالي بسبب نوع قماشه وشكله ولونه وخلوه من المسام وثقله ، يدفئ الرأس اكثر من اللازم في الصيف ، ويسبب فيه عرقاً غزيراً ومضايقة وصداعاً ، فهو بلا نزاع من الوجهة الصحية ضار بالعينين والرأس.

والجمعية ترى ان افضل لباس للرأس يوافق جو مصر في زمن الصيف ،

القلنسوة . اي الربيطة البيضاء المصنوعة من الفلّين والتي بها ثقوب كافية للتهوية في اعلاها وبدائرتها السفلى شريط من الجلد مثبت فيها بقطع من الفلّين بينها منافذ كافية لدخول الهواء .

واما في الشتاء . فالطربوش اقل ضرراً منه في الصيف اذا كان لا بد من استعماله والا فالقبعة العادية اصلح منه في الشتاء ايضاً . فان اختلاف قشها والوانها واشكالها . يسهل علينا اختيار الموافق منها صحياً لاختلاف الطقس » انتهى .

انكم ترون يا سادتي ، ان الجمعية الطبية المصرية ، رأت ان القلانس المتركة ' او الطرابيش غير صالحة ' ورأت مثل ما رأى نبينا صلى الله عليه وسلم فقالت ، ويجب ان يكون لغطاء الرأس زائدتان ، واحدة من الامام لوقاية العينين وحمايتهما ، والثانية من الخلف لوقاية مؤخر الرأس . وما تلك الزائدتان ' الا اذنان كما في القلنسوة اليمنية التي لبسها صلى الله عليه وسلم في الحرب .

كفّر المكفّرون مدة ' من شرعوا يلبسون البانطلون ' حتى عمّ لبسه ' فلبسوه هم ايضاً ' وصار في نظرهم حلالاً مقبولاً ' وهكذا يكاد يحصل في لبس المظلة ' يكفّر الآن من شرعوا يلبسونها ' ولا يمضي زمان غير طويل ' حتى يعمّ لبسها فيلبسها المكفّرون ايضاً ' وتصير في نظر الكل حلالاً مقبولاً . ذلك لأنها للرأس اصلح ملبس .

والفضل لمن يقتحم في اول الامر ' هول تكفير الجهلة ' وانتقاد العامة ' الى ان يبلغ من الحرية اوجاً عالياً ' حيث يرسل منها اليهم نوراً ساطعاً ' يرون به لدى تحكيم العقل ' حكمة الله في خلقه ' وفي شرعه .

فتبطل الاباطيل ويسود الحق ' ولا تسود في الدين والدنيا الا الحقائق .

❀❀❀

ان امر رفع الحجاب ولبس المظلة ، لم يعمّ في هذا الزمان الأتراك المسلمين فحسب ' بل اخذ يعم جميع المسلمين في الشرق والغرب . وليس ابطأ منا في الخطو نحو الحرية .

وهذه جريدة الصحافي التائه، ذكرت في عددها المؤرخ في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ما يأتي : « كان لا يزال في العالم نساء محجبات اكثر من نساء سوريا وهن نساء يوغوسلافيا المسلمات، فانهن كن يحتجبن حتى اواخر الشهر الغابر تحجباً تاماً عن الرجال . وفجأةً نفضت مسلمات يوغوسلافيا في اواخر هذا الشهر غبار الخمول والعادات، وتآمرن على التحجب ، وفي ١٠ الجاري، خرجن جماعات جماعات الى الشوارع سافرات يرتدين الألبسة الاوربية .

وتلك مجلة المقتطف ' نقلت الينا في عدد تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ مقالة ضافية للكندي ' يبحث فيها عن النهضة الشرقية في بلاد« الأفغان . وبعد ان انحى باللائمة على الحرب القلبية ' القائمة في مصر بين القبعة ' والطربوش ' والعمة ' وبين الحجاب والسفور ' حاسباً ان ذلك يدل على ان مصر ما زالت في ظلمة وتتغنى بالنور . قال : « واما اخلاق الامة

الافغانية فقد غلب عليها بعد الانقلاب الاخير الرصانة والسكون ، وتلمس ابواب الرقي ، بصمت وثبات ،وقد لبسوا بأمم القبعات الاوروبية ، ولم يقل احدهم ان هذا يخالف الدين ، واباحوا السفور لمن شاء ، والتحجب لمن شاء ، فاختار هذا فريق ، واختار ذاك آخرون .

وذكرت جريدة العهد الجديد في عددها الـ ٣٧٤ بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٩٢٧ ان جلالة ملكة الافغان ، ترتدي الفساطين العادية ، وتلبس في رأسها القبعة الافرنجية . ثم رأيناها ومعها اختا الملك سافرات مصورات مع جلالته بالقبعة الافرنجية في الجرائد المصورة . ولما زار اخيراً مصر ، صاحبا الجلالة ملك الافغان امان الله وملكتها ثريا ، اثناء سياحتها الاخيرة الى اوروبا ، وكل منهما مرتد الالبسة الافرنجيه والقبعة . ذكرت جريدة الكشاف ، خطاب جلالة الملك حين خطب في الاسلام ، وكلام الملوك ملوك الكلام . قال : « لاحظت ان هنا — في مصر — يتعلق الكثيرون من افراد الشعب بالطربوش ، وهذا بناء على ما يقال من ان الطربوش هو شعار الاسلام . فلابسه مسلم ، واما لابس البرنيطة فهو بالعكس . اني اعتقد ان هذا خطأ ، وهي دعاية يقوم بها الخصوم ، ولا يخلو الامر من ان هذا مصدره بعض من يريدون ان يستبدوا بالشعب ، او مصدره الاجانب ، الذين يريدون التفرقة بين صفوف الامة . ولماذا هذه الدعاية؟ الجواب انها تفيد ، ان المسلم ، ولو ذهب منه كل شيء ، معتقد انه مسلم .

وانه محتفظ بهذا الشعار . والملابس الوطنية الواسعة الطويلة ، تدعو الاجنبي الى ان ينظر الى لابسها نظرة احتقار ، وقد كانت هذه الحال نفسها في الافغان ، وقد منحت شعبي الحرية التامة ليلبس كل ما يريد ، ولكن يجب ان نلاحظ ، ان هذه الاباحة ، لا تمس مبادئ الاسلام . ان دين الاسلام ومبادءه تنحصر في الحرية والاخاء ، والعدالة والاجتهاد والعمل ، والقول بالتوحيد ، واحترام النبي ، والاخذ بالفرائض ، اما ما عدا هذا ، فللمسلم ان يختار من الملابس وغيرها ما شاء »

وذكرت الجريدة المذكورة حديث مندوبها مع جلالة الملكة حيث قال « وهنا أقبلت جلالة الملكة وشقيقتا الملك فانحنينا لهن . واستأذنا الملك في اخذ صورته معهن ، فاذن مرّة اخرى وبعد اخذ الصورة ، التفتت الي جلالة الملكة وقالت « أستنشرون هذه الصورة في جريدتكم » فقلت (وهل عند جلالة الملكة مانع من نشرها) فقالت كلا . وابتسمت جلالتها ثم قالت: وهل تعتقدون ان الدين قوامه القالباق والطربوش او القبعة ؟ انني أؤكد لكم انني محتفظة بشعائر ديني ، ونصوصه ، ومبادئه ، رغم قبعتي . لقد كان جدي مؤذناً في دمشق ، اما والدي فها هو امامكم ، والاثنان قد غرسا في قلبي حب الدين واحترامه ، فمن الحرام اذن ، ان يقال بعد ذلك ، اننا بقبعتنا نبذ لدين الذي نفتخر به » الى ان قالت « وقد رغبت في ان اصحب زوجي في هذه الرحلة العلمية ، لفائدة المملكة الافغانية ، لاني

اعتقد ، ان ما من شعب ينهض نهضةً جدية ، ما لم يشمل الاصلاح رجاله ونساءه معاً »

ونشرت الجرائد بعدئذ، كيفية استقبال الملك والملكة في اوروبا، فقد استُقبلت جلالتها وجلالته رسمياً، وترأست هي في حضرة زوجها الموائد والحفلات الرسمية، وامامها رؤساء الحكومات والوزراء والاعيان واركان الدولة. واتتنا الجرائد الاوروبية مزينة بصورة جلالتها وجلالة الملك واخواته

ايها السادة والسيدات

سمعتم ما قاله الملك المسلم، وما قالته الملكة المسلمة ، فليحي ذلك الملك، ولتحي تلك الملكة ، انهما خير قدوة للاسلام .

ان الله اعطانا العقل لنعقل الامور ، فليبرز معارضوا لبس المظلة والاشتراك في الملبس ، دليلاً واحداً ، عقلياً او نقلياً ، يؤيد اعتراضهم ، او ليظهروا رجحان الطربوش على المظلة ، بوجه من الوجوه ، والا فليسكتوا عما لم ينزل الله به من سلطان، ولا يقبله عقل الانسان، وليلزموا حدهم من الحرية ، لا يتمدون الحد من حرية غيرهم ، اذا ارادوا هم ان يرجحوا الطالح على الصالح، فليس لهم ان يجبروا غيرهم على ذلك، وليس لهم ان يسندوا ذلك الترجيح الى الدين ، وقد جل عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ان القلنسوة او المظلة، وما شئت سمها ، وسمها ان شئت انورية ، كما

سماها الاتراك في زمان استعمالهم الرياء خوف المكر من علماء السوء، فالاسم لاعبرة له، ومهما تعددت الاسماء فالمعنى واحد.

ان القلنسوة او المظلة التي لها أذنان، او زائدتان، او رفرف، لخير من القلانس المتركه، ان تلك تقي الحر، وهذه تزيده شدة.

ان الرداء في زمن علي رضي الله عنه، كان من اليدين الى الثديين، ومن جهة الظهر حتى الاليتين، اما الاسلام، فجعلوه بسبب ترقي الصنعة، والسعة في الدنيا، جبة طويلة، عريضة، واسعة، سابغة، تستر الجسم كله، وتقيه الحر والقر، ثم رأوا ان الجبب والسراويل والعباآت الواسعة الضافية، تغل حركات الانسان في اعماله وتوجب ارتباكه فيها، فابدلوا منها (البانطالونات) و(الجاكتات). وان الملاءة في الاصل. ثوب يلبس على الفخذين، وهي من ملبس الرجال، جمعها ملاء بالضم والمد، ومنه قوله فلان لبس العباء، وترك الملاء، ومنه، جللهم بملاءة. ثم خلعها الرجال على النساء، فحافظ على شكلها قسم من النساء في القرى، ويسمينها سايه ذلك اسمها في التركية عن اصل فارسي، وتصرف بها اخريات في المدن، حتى صارت الى ما صارت اليه، تارة موسعة ومطولة، وتارة مقصرة ومضيقة. وما خالفوا بتغيير شكل الملبس، توسيعاً وتضييقاً، احكام الدين. هكذا القلنسوة اليمنية، التي لبسها نبينا صلى الله عليه وسلم، ولها اذنان وهكذا المظلة التي لبسها ابو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه. فلا يجوز ان يحرم على المسلمين لبس مثلها، استظلالاً من الشمس، واتقاء

من الحر ، اذا حدث في شكليهما بسبب ترقي الصنعة عند الغربين ، وتبدل الزمان تعديل ما .

ان القلانس اليمنية ايها السادة ، معروفة ، وقد استحضر منها المأمورون العثمانيون ورأيناها ، وما هي الا مظلات من القش ، مصنوعة في صنع وشكل ، لا يفوقها صنع مظلات القش الاوروبية ، من جهتي الاتقان والفائدة . ويعتقد بعض الباحثين المحققين ، ان الاوروبين وغيرهم ، اخذوا صنعة قلانس القش عن اليمنيين ، وتفننوا فيها . ايجوز يا سادتي ان يحرم المسلمون ما هو في الاصل لهم ، لتفنن الغربيين فيه ، وما كانوا لنا في ذلك الا تابعين ؟

لمَ يروع سيدي الشيخ ، ان يلبس المسلم على رأسه مظلة تقيه الحر ؟ ولمَ يمنعه ان يشترك والعالم الراقي ، في الملبس ، قصد الخير في الدنيا ؟ ولمَ يقول ان ذلك شعار الامم الضعيفة والانفس الذليلة ؟ الا يرى ان ارقى طبقة في اسلام هذا الزمان ، هي الطبقة التي علمها الغربيون لابسوا المظلات ، وهذبتها مخالطتهم ؟ ايعتقد انه وامثاله ، يمكنهم ان يباروا اليوم تلميذاً او تلميذةً عند اولئك ، في علوم الدنيا ، من جغرافيا وتاريخ ، وفلك وطبيعيات ، ورياضيات ، وغير ذلك من العلوم ؟

« الغرب قد اخذ اللباب لنفسه   والشرق لاهٍ اهله بقشور »

ايجوز لنا بعدُ ، مثل هذا الغرور الاعمى ؟ ايجوز لنا بعدُ الترفع عن الاشتراك في الملبس واقواماً ملأوا الدنيا احساناً وعلماً وفضلاً ، ورقياً وكمالاً ؟ فبدلاً من ان تقعدنا يا سيدي الشيخ عن الرقي ، بمنع التشبه بهم ،

على سبيل المشاركة في نعم الله، شوّق اليه ورغّب فيه، شوّق الى مباراتهم، ورغّب في سباقهم ، عسى ان نفوز بسبقهم ، فيضطروا الى الاخذ عنا فيما بعد ، كما كان الامر من قبل .

ان الدين اسمى من ان يرضى عن شخص لطربوش ، وليس فيه الا الضرر ، او يسخط على آخر لمظلة ، وهي لتقيه الحر .

لا تبحث عن الدين يا سيدي في مثل هذه الامور ، بل ابحث ان شئت عن العادة آفة الشرق، وآفة العقل ، وآفة الدين . تلك التي جعلت الشرقيين ، يهتمون دائماً للملابس والظواهر ، ولا يعبأون لمكنونات القلوب وللسرائر ، تلك التي عودتهم ، ان يقيدوا الحركات الجسدية ، ويهملوا التربية الروحية ، ناسين ان الروح جوهر ، والجسد عرض ، وان الامر بيد الروح ، لا بيد الجسد . تلك التي شد ما اهتم الدين ليغلب فاسدها ، ويزهق باطلها ، فغلبتها نحن على الدين ، ويا للاسف ، في كثير من امورنا الحيوية ، فوهت كما ترون اسبابنا الاجتماعية . ولكن يأبى الله ، الا ان يتم نوره ، فلا بد للمسلمين من يوم نسمعهم فيه ، مرددين قوله تعالى « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »

فيجب علينا فيما يجب ان نفهم من كتاب الله ، ان المظلات نعمة اخرجها الله للمسلمين بالاصالة ، جعل غيرهم تابعاً لهم فيها . ولئن كانت اليوم ، على رؤوس غيرهم (فان الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها اخذها)

فلا تبحث عن الدين يا سيدي الشيخ لتقييد الحرية ، ووضع الاغلال في مثل هذه الاحوال ، ولا تكن ممن يقولون على الله ما لا يعلمون .

ان هذه الشؤون ليست الا دنيوية محضة ، ولكل ان يختار منها ما شاء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مصدر النور واليسر والحرية ، ومنبع السعادتين الدنيوية والاخروية : (أَنْتُمْ أَعلَمُ بِشُؤُونِ دُنْيَاكُمْ)

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالناس اعلم بشؤون دنياهم ، ذلك لان شؤونهم الدنيوية تتغير مع الزمان . فلم يجز الشارع ان لا تتغير احكامهم وعاداتهم وملابسهم تبعاً لتغير شؤونهم ، وما جعل الله لهم العقلَ شرعاً من داخل ، كما جعل الشرع عقلاً من خارج . الا لمثل هذه الحكمة . تبارك الله العليم الحكيم .

— ٥ —

معارضة الشيخ الغلاييني

جاء في كتاب (الاسلام روح المدنية ، او الـدين الاسلامي واللورد كرومر) وهو كتاب مطبوع في ٢٣ حزيران سنـة ٩٠٨ لمؤلفـه الشيخ مصطفى الغلاييني في الصفحة الـ٢١٥ ما نصه :

لما بعث الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ورأى حالة المرأة ، وما هي فيه من الذل والهوان ، رق لها احساسه الشريف ، وعواطفه الرقيقة ، فسعى لتحريرها من قيود العبودية المطلقة ، واغلال الاضطهاد ، الى ان صارت المرأة ربـة المنزل وسيدته ، بمـا منحها من الحقوق التي جعلتها مساويـة للرجل في كل شيء ، الا السيطرة والسلطان المقيدين »

وفي الصفحة الـ٢٧٥ « ومما يأمر به الدين نحو المرأة مساواتها بالرجـل في جميع الحقوق المدنية والاخروية » وفي الصفحة الـ٢١٨ « ان الشريعة الاسلاميـة اوجبت حقوقاً للجنس اللطيف لا تعادلها فيها شريعة سماوية او وضعية ، خصوصاً في امر الزوجات ، فقد عظمت شأنهن كثيراً » وفي الصفحة الـ٢٧٣ « ولا تظن ان شريعة من الشرائع طالبت بوجوب تعليم المرأة ، كما طالبت الشريعة الاسلاميـة ، فلذا نبغ في كل عصر من عصور التمدن الاسلامي نساء كن غرة في جبين الدهر ، وشمساً مشرقة في سماء العصر الذي وجدن فيه ، فقد كان منهن الفقيهات ، والمحدثات ، والاديبات ، والشاعرات ، والناثرات ، والخطيبات ، والمدرسات ، الخ وقـد اجاز علماء الحنفية ان تكون المرأة قاضيـة تفصل بين الخصوم من رجال ونساء ، ونظن ان هذا الحق لم تمنحه اوروبا للمرأة الغربية على شدة تمسكهم بمساواتها بالرجل » وفي الصفحة الـ٢١٦ « نعم ان المرأة المسلمة اليوم متـأخرة عن سواها في العلوم والحضارة ، ولكن ذلك من جهل الرجل واستبداده وعدم اطلاعه على ما سنته لها

الشريعة المطهرة من الحقوق . فالذنب في ذلك راجع اليه لا الى دينه .» وفي الصفحة الـ٢٠٨ ان الحجاب الحاضر مما ينهى عنه الشرع الاسلامي لانـه يغرر الاغرار ويستميل الاشرار » وفي الصفحة الـ٢٠٩ « وان ماشأ بعد الصدر الاول من ستر الوجه واليدين فليس مما تأمر به الشريعة . وان في التحجب المطلق . الذي هو غير شرعي . ضرراً لا ينكر »

ومع هذه التصريحات الجلية ، بما خوّل شرع الله المرأةَ من الحقوق. مساويةً فيها الرجل ، استدرك الشيخ المشار اليه في كتابه المذكور فقال

« ان اجتماع حرية المرأة واستقلالها مع احترامها وتعظيمها امر غير ممكن . لانها باستقلالها تعتدي على مركز الرجل وحريته ، وهو في هذه الحالة يأنف من ذلك ، فيضطر لاحتقارها او عدم احترامها . لانه اقوى منها جسما . واوسع عقلا. وعليه فالمرأة في طور الخضوع للرجل انعم بالا وأرفه عيشاً واسمى مقاماً . فان اراد الجنس اللطيف ان يكون محتقراً . فليطالب بالاستقلال والحريـة . فيرجع الى حالته كما كان في طور الهمجية. ان الرجل بالطبع يأبى ان يكون تحت سيطرة المرأة . فلا هي تسكن اليه ، ولا هو يسكن اليها . فيتولد بينهما النفور . فـلا يمكن التآلف والتزاوج . فلا يكون نظام . فلا يوجد انسان . فلا ينشأ عمران . فعلى الدنيا السلام » ! !

وقال مستشهداً بقول غيره « مـا دامت المرأة تضيـع ثلاثـة ارباع الوقت ان لم اقل تسعة اعشاره في اللبس والزينـة ، وتقضي معظم العشر الباقي في الكلام عن الامرين ، فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجل . ولو وكل امر تدبير هذا الكون الى النساء . فقط . لكان اليوم قفرا هذا ان بقي » !!

الى ان قال ناظما

« ان حادث يوماً أهمك شأنه — وجهلته فابحث عن النسوان »
« اني رأيت الشر الا اقلّه — منهن مصدره على الانسان »!!

والى ان قال :

« لو كانت اخلاق اهل الحضر ، كأخلاق اهل القرى ، واعراب البادية ، لكان لنا ان نطالب برفع الحجاب غير الشرعي ، غير انا مع هذا الحجاب الغليظ لا نأمن مما هو مخالف للدين والآداب فكيف لو ..... اهل القرى والبادية لا يحجبون نساءهم ، لانهم لا ضرورة تدعوهم الى ذلك ، لصحة ادابهم ، وسلامة اخلاقهم ، فهل اهل الحضر والمدينة ، وشبان العصر ، وكهولهم ، وشيوخهم ، وشاباتهم وسائر نسائهم ، مثل من ذكرنا ؟ كلا . ان اكثر من يطالب برفع الحجاب واختلاط الجنسين يتوهمون امرأة كاملة ، في وسط كامل ، عار من النقائص وانما هي امرأة جاهلة ، في محيط فاسد » ! ! انتهى

❀❀❀❀

وكأني بسيدي الشيخ امام اللورد كرومر ، فارس قلم ، يجول بمرهف القلم ، في ميدان الدفاع عن الدين الاسلامي ، وشرع الله السامي ، جولات ينصر بها الحق على مشهد الامم . فتستوجب له الشكر والثناء من كل فم . ولكن لا يلبث ان تثنيه العادة وتلفته ، والعادة افة الشرق وبليته ، فينثني ويلتفت الى المرأة مستدركاً فيقول : لا يغرنك ايتها المرأة دفاعي قدام الناس عن الدين . فلم اقل ما قلت الا رداً لهجمات الاخرين ، اولئك الذين يسندون الى الدين الاسلامي ظلم النساء ، ومنع الارتقاء . اما نحن واياك فعلى ما نحن عليه . ان تحجيبك ليس من شرع الله ، ولكن سوء اخلاق الرجال عندنا ، في محيطنا الفاسد ، يمنعنا ان نعاملك بمقتضى شرع الله .

ان ذلك الشرع الشريف قد منحك حق الحرية والاستقلال وحق المساواة بالرجال، ولكن سوء اخلاقك يمنعنا ان نعمل بذلك الشرع الشريف فاياكِ ان تكشفي وجهكِ، وان تطالبي بحق لكِ، بل الزمي ما عشتِ الذل والهوان والخضوع الاعمى للرجل، والا فانا نحن الرجال الاقوياء نزيد في ظلمك، وقهركِ، واضطهادكِ، ونرجعكِ الى الحالة التي كنت عليها في طور الهمجية.

ويظهر ان سيدي الشيخ واثق من تعاون الاخوان، ذوي السيطرة والسلطان، على العدوان، واعادة المسلمات الى حالتهن في الجاهلية، اذا طلبن حقوقهن الشرعية. اما المسلمات فيأملن من سادتهن الرجال، ان لا يتعاونوا على العدوان عليهن، بل يتبعوا قوله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ)

وهل العدوان على الام يا سادتي، يوافق امر الله تعالى، بخفض جناح الذل لها، وبرّها والاحسان اليها؟

***

يا سيدي الشيخ

مهلاً يا سيدي الشيخ. لا محل للوعيد والتهديد، ولا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها. ان المرأة المسلمة لم تفرق حالتها اليوم، في نظر فريق من رجال الزمان، عن الحالة التي كانت عليها في طور الهمجية، الا بكونها مصونة من ان تؤد ذبحاً، او رمياً من محل عال، او دساً في التراب، وهي عذراء، لم تفرق حالتها اليوم الا بكونها مصونة من ان

يحكم زوجها عليها بالموت وهي زوجة ان شاء ، لم تفرق حالتها اليوم الا بكونها مصونة من ان تُورِّث و تُورَث ، كما تورِّث وتورث الاموال والبهائم ، وهي ارملة ، ومصونة من أن تباع كالسلع والبهائم في حالاتها الثلاث. ولكن يحول اليوم دون الرجال وهذه الافعال المتناهية في الهمجية مانعان ، القرآن لمن له دين وايمان ، والقانون لكل انسان . فضربة كف من الرجل، مما يكفي لالقائه في السجون. اما الوأد او القتل، فمقابه الاشد قد شاهدت بعضه العيون .

قال الله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً) وقال تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

فيا سيدي، بما ان الله ورسوله قضيا ،كما ذكرت،كشف وجوه المسلمات وحكما به ، لم يبق لنا الخيرة من هذا الامر ، واذا عصينا الله ورسوله ورجعنا الى حكم الجاهلية ، فقد ضللنا ضلالاً مبينا .

ياسيدي الشيخ، ان معاملة الرجل المرأة اليوم، هي من ظلمه، الدرجة القصوى التي يتمكن من الوصول اليها . وحسبنا من معاملته الظالمة، انه حرمها بالحجاب،خلافاً لشرع الله. ان تتمتع بالنور والهواء . وتستعمل قوى عقلها وحواسها . انها لا تزال في نظره – كما قال السيد جميل بيهم في محاضرته التي القاها اخيراً في المجمع العلمي الدمشقي عن حالة المرأة في العراق –

«انها لاتزال من قبيل القنية، يتزوج بها للخدمة والتناسل. واذا ماتت يهتأ الزوج بذلك ويسرّ، لانه يحسب ان الله هيأ له بوفاتها فراشاً جديداً، ولهذا الاعتبار اوجبوا عليها ان تستقر ابداً في عقر دارها. فلاتخرج لزيارة ولاتسعى الى متنزه او لقضاء حاجة، ويترفع الرجل سيدها عن مصاحبتها في سيارة او قارب، وتحاشى موآكلتها على مائدة واحدة ويجتنب محادثتها الا لحاجة»

اذن الرجل الذي اعني، يسوؤه موت بهيمة، اكثر مما يسوؤه موت زوجته كأن البهيمة اعز عليه من الزوجة. فيالها من عواطف شريفة يفاخر بها الرجل متمسكا بامتيازه على المرأة عقلا وديناً

أتهدد المرأة المسلمة ياسيدي الشيخ، بحالة فيها ظلم واستبداد، وامتهان واستعباد، اكثر مما في هذه الحالة ؟

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «منذ كم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً» ؟

ياسيدي الشيخ، ان استبداد الرجال بالنساء، ولئن يكن دليلا على قوة في الابدان، فهو دال على ضعف في الارواح والاذهان.

ان الغربي المجاهد، وثق بنفسه وبحكمته، فمنح المرأة حريتها وحقوقها وجرى يسابقها في ميدان الرقي، لايخشى منها ان تسبقه او تتفوق عليه، ولا من نفسه ان تعجز عن حملها، بقوة الفضيلة، على احترامه، فكان ما في بلاده من الخير، نتيجة حكمته وانعامه

اما الشرقي الجامد فلم يثق بنفسه وحكمته. فمنع المرأة حريتها وحقوقها لئلا تسابقه فتتفوق عليه، ولم يأمن من نفسه ان يعجز عن حملها بقوة الفضيلة على احترامه. فبدلاً من ان يطلقها. فيبذل قواه و تبذل قواها في سباق وجهاد لنيل المراد، قيّدها باذلاً قواه في خلق قيود لها من الظلم والاستبداد. فجر ذلك ما جرّ من البلاء على الامة والبلاد

يا سيدي الشيخ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَفضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفسِكَ وتَكرَهَ لَهُم ما تَكرَهُ لِنَفسِكَ) وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام (لاَ تَفعَل بِالنَّاسِ مَالاَ تُرِيدُ أَن يَفعَلَ النَّاسُ بِكَ) فهل تحجيب النساء، وحالتهن التي حكاها السيد جميل بهم. من الحالات التي تحبها لنفسك، وتريد ان يفعلها بك نساؤك لتريدها لهن وتفعلها بهن؟ اذا كان لا، وكنت تكره ذلك لنفسك، فينبغي لك ان تكرهه لهن ليكون لك افضل الايمان.

يا سيدي الشيخ، نرى انك تتذكر الحمية الجاهلية وتغضب لطلب المرأة المستضعفة، حقها، وتهددها بالاحتقار والامتهان والظلم الهمجي، مستنداً بذلك الى قوة الرجل، ومدعياً ان بقاءها على الحالة التي هي عليها من مصالح الامة. ولكني ارى مصالح الامة في عكس ما ترى، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (كَيفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يَأخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ قَوِيِّهَا وَهُوَ غَيرُ مُتَعتَعٍ) ولقوله صلى الله عليه وسلم (إِشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَمْ يَجِدْ نَاصِراً غَيرَ اللهِ) ولقوله صلى الله عليه وسلم (خَيرُ

الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ لا يَتَطَاوَلُونَ عَلَى أَهْلِيهِم وَيُحْسِنُونَ إِلَيْهِم وَلاَ يَظْلِمُونَهم) ولقوله تعالى « وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَومَ الظَّالِمِينَ»

واني اتأمل منك ياسيدي ، السكينة لا الحمية الجاهلية . لقوله تعالى « وإذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمِ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى المُؤمِنِينَ »

واني مثل كل النساء لا اخاف منك الامتهان ياسيدي لقوله صلى الله عليه وسلم (مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلاَّ كَرِيمٌ وَمَا أَهَانَهُنَّ إِلاَّ لَئِيمٌ) واني من الذين يعرفون مكارم اخلاقك وشرف اعراقك .

❀ ❀ ❀ ❀

يا سيدي الشيخ

كما انه لا محل للوعيد والتهديد كذلك لا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها . فان المرأة لا تفهم من الحرية والاستقلال ما يفهمه سيدي الرجل ، انه ما زال يفهم من الحرية والاستقلال ، ان يهضم الانسان حق اخيه الانسان ، ويستبد به . اما المرأة التي أثبتت نفسها المرضية ، وعقلها الصالح للهيئة الاجتماعية ، فتفهم من الحرية والاستقلال ، غير ما يفهم سيدي الرجل . هي تفهم ان حرية الانسان واستقلاله ، محدود ان بحرية غيره واستقلاله ، فلا هذا يتعدى حد ذاك ، ولا ذاك يتعدى حد هذا ، ولكل حقوق معروفة مقيدة بشرع الله وبقانون البشر ، فللأب حقوق ، وللابن حقوق ، وللام حقوق ، وللاخت حقوق ، وللزوج حقوق ، وللزوجة

حقوق ، ولكل واحد في الدنيا حقوق . ولكل دائرة من الحق ، له الحرية والاستقلال فيها ، ولا يجوز له ان يتعداها ، فيدخل دائرة حقوق غيره بغير اذنه . فاذا قلنا ان الولد حر مستقل في دائرته . فلا يعني هذا بطلان حق ابيه، وقد خوله اياه الشرع والقانون . ان دائرة حرية الولد، تضيق بقدر ما تتسع دائرة حرية الاب . وهكذا يقاس حال الزوج والزوجة ، وحال الآمر والمأمور . والرئيس والمرؤوس . وحال الوالي والرعية ، وحال كل انسان وانسان . فالحرية والاستقلال يسودان متى قيدا بالقانون فكان هو الآمر . ويبطلان متى اطلق فيهما الانسان بلا رادع ولا زاجر . والمدنية الحاضرة ، والاحترام المتبادل بين الناس ، مستندان الى هذه الآساس ، وهل يتمكن اليوم الرجل الحر المستقل، من غصب حق الرجل الحر المستقل ، ومن السيطرة عليه ، ومن استرقاقه ، والاستبداد به ، متجاوزاً الى دائرة حريته وحقه ، كما كان يفعل القوي بالضعيف من قبل ، لا رادع له ولا زاجر ؟

وهل عدم تمكنه من ذلك نحو اخيه الرجل ، وهل نيل المرأة حريتها واستقلالها في العالم السافر الراقي ، منعا في ذلك العالم ، حرية الرجل واستقلاله ، ومنعا ان يكون تآلف بين الناس ، وان يكون نظام ، وان يوجد انسان ، وان ينشأ عمران . ليقل على الدنيا السلام ؟

ان اعطاء النساء حقوقهن في تلك الامم كان اقوى سبب في نهوضها وحرمان النساء في امتنا حقوقهن . كان اقوى سبب في قعودها عن الرقي

قال الشيخ عبد القادر المغربي في خطابه (محمد والمرأة) : لما عاد المسلمون فسلبوا المرأة حقوقها عادوا فانحطوا .

لما كانت المرأة مهضومة الحقوق عند الغربيين اكثر مما كانت مهضومة الحقوق عندنا، لم يكن هضم حقوقها ظاهراً اثره فينا ظهوراً بيّناً. اما الآن وقد رأينا ما يقتطف العالم السافر الراقي من الثمار الطيبة بحرية المرأة و نهضتها ونيلها حقوقها ، فاضحى من الحرام ان تحرم امتنا النهوض نهضة ذلك العالم .

ولله در شاعر القطرين وقد قال :

وفوا النساء حقوقهن ونشئوا   اخلاقهن على التقى والباس
ان النساء اذا أقلن فانه   بنهوضهن نهوض نصف الناس

وقال الكاتب الاجتماعي الكبير جيلسمان : «ان حفظ النوع البشري هو مهمة المرأة يكاد ينحصر فيها . وقد حان الوقت الذي تفهم فيه المرأة مركزها فتحقق ان ظلم القرون المتوالية لم تؤثر فيه الا قليلاً . ان أحسن القران ما عقد بين أحسن الأفراد ، واذا تحررت النساء فصرن من العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، سهل التوفيق الاجتماعي بين الفريقين ، وأخذ كل منهما نصيبه من الحياة . انهن اذا نلن هذه الحرية وذاك الاستقلال توطدت الرابطة بينهن وبين الرجال .

ان الام هي الوسيلة الاولى والاخيرة لحفظ النوع الانساني وترقيته ، وما دامت كذلك فيجب ان تحل المحل الارفع من الاهتمام والمقام »

يا سيدي الشيخ ، يجب ان لا ننسى ان العدل ان ساد عمّر ، والظلم ان ساد دمّر .

« العدل يرفع الممالك حائطاً لا الجيش يرفعه ولا الاسطول »

وقال صلى الله عليه وسلم « لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي »

فأعد نظرة الى البلدان التي لا تزال فيها المرأة مظلومة ومحجبة ، واعد نظرةً اخرى الى البلدان التي حررت فيها المرأة وسفرت ، تعرف من الثمرات والنتائج الحاصلة بين العدل والبر ، وبين الظلم والبغي .

قلتَ يا سيدي الشيخ ان اجتماع حرية المرأة واستقلالها مع احترامها وتعظيمها غير ممكن ، ولكن الا ترى يا سيدي ان ذلك امكن في العالم السافر الراقي بحرية نسائه ايّ امكان ؟ ولا يخفى عليك ان فكتوريا ملكة الانكليز حكمت اربعاً وستين سنة بلغ فيها قومها ذروة المجد والسعادة ، وملكات عديدات غيرها حكمن سنين كثيرة بحكمة بالغة وصلاح فائق ، وما قصر ازواجهن ورجال ممالكهن في احترامهن وتعظيمهن . ان في ذلك احتراماً وتعظيماً للحق والقانون . وان اردت ملكات مسلمات فهن كثيرات . ذكر الدر المنثور تراجم حياتهن . منهن السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين وقد تملكت في اواسط الجيل الثامن للهجرة ، وكان يذكرها الخطباء يوم الجمعة على المنابر

قائلين : « اللهم انصر أمتك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لجميع المسلمين ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين) وكان زوجها جمال الدين وزيراً لها ، وكانت تحكم ما يربو على اربعين مليوناً من المسلمين ، وقد طال ملكها ثلاثين سنة كانت فيها مملكتها على احسن ما يكون من الرونق والبهاء، فكثرت فيها الخيرات والارزاق، وساد الامن كل انحائها .

ومنهن الملكة شجرة الدر، فقد كانت تاسع من تولى السلطنة بمصر من جماعة بني ايوب . وقع الاتفاق على سلطنتها في ٢ صفر سنة ٦٤٨ . قبّل لها الامراء الارض وساست الناس احسن سياسة ، وخُطب باسمها على المنابر .

واني ادعوك يا سيدي الى ان تقرأ من محاضراتي،ما كتبه الفيلسوف استوارت عن زوجته بعد وفاتها ، وما كتبه قضاة الاميركان ورؤساء حكوماتهم عن نسائهم ، وقد اشتركن في الحكم والرجال على السواء . وادعوك الى زيارة العيلات الشريفة السافرة النازلة بين ظهرانينا،فترى ان احترام الرجل المرأة مع حريتها واستقلالها وتعظيمه اياها امر واقع ، وان تجارته في اعطاء المرأة حقها لم تكن خاسرة . فالحق مثل العلم يزيد في صاحبه بقدر ما يبذل منه . فاي مانع يمنع المرأة المسلمة ان تُحترَم احترام غيرها ؟ وهل يجوز ان يجعل تشرفها بالاسلام مانعاً لها من ان تنال حقها وتُحترم؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ٱلدِّينُ ٱلْمُعَامَلَة) فهل يجدر بنا يا سيدي الشيخ، ان تكون معاملة اهل الاديان الاخرى لنسائهم، احسن من معاملة المسلمين لنسائهم ؟ الا يكون ذلك تسليماً ضمنياً منا بان دينهم احسن للمرأة من ديننا ؟

يا سيدي الشيخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إمْرَأَةٌ صَالِحَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ غَيْرِ صَالِحٍ) فهل ترى ان الحرية والاستقلال، اجدر بالمرأة الصالحة التي هي خير من الف رجل ، ام بذاك الرجل الذي تريد المرأة صلاحاً وخيراً الف ضعف ؟

أيوافق مصلحة العيلة والمجتمع البشري ان يطلق هـذا ليصنع شراً ويفسد تلك ، ام ان تطلق تلك لتصنع خيراً وتصلح هذا ؟

ألا ترى ان البشر كلما أرادوا ان يمثلوا شيئاً فيه معنى جميل من معاني الفضيلة ، مثلوه بشكل امرأة ؟

ألا ترى ان الوثنيين انفسهم جعلوا آلهـة الخمر والسكر والحرب والغضب رجالاً هم باكوس ومارس ونبتون ، وجعلوا آلهة الحكمة والخير والجمال نساء هن مينرفا وتيرس والزهرة .

ان فرنسا يا سيدي ، ولا يخفى عليك ، في مقدمة المفاخرين بالحريـة وهي تلقب بامها والمرأة لها فيها حريتها الساطعة، واحترامها الفائق، وشأنها العظيم . ومع ذلك فالمادة الاولى من قانون الزواج الفرنسي تقول : «ان المرأة مكلفة ان تطيع زوجها، والرجل مكلف ان يحمي امرأته» . فالطاعة

التي كلف القانون المرأة اياها ، لم تمنع ان يكون لها معها حرية واستقلال واحترام . ان القانون اوجب عليها الطاعة في امور معينة ، وابقى لها دائرة من الحرية والاستقلال مصونة من التعدي . ذلك ما يوافق شرع الله ، ذلك ما تطلبه المرأة المسلمة . فلتكن معاملة الرجل اياها مقيدة بشرع الله ، لا تابعة لهواه ، وليبق لها دائرة من الحرية والاستقلال لا يتعداها الرجل

ما له ووجهها يستره ، وفيه كل قواها فيمحقها محقاً ؟ وما له وتلك القيود الغريبة التي احدثها لغل حركاتها غلاً ؟

يا سيدي الشيخ ، اذا ذكرت المرأة فالمعنى لا ينحصر بالزوجة ، بل يتناول غيرها ايضاً ، وهل من المعقول او من الموافق ، ان يتحكم الولد بامه ، والاخ باخته ، والمسلم بكل مسلمة ، مهما كانت غريبة عنه ، ومهما كان طالحاً وكانت صالحة ، فيحرمها العلم ، ويحرمها العقل ، ويحرمها الدين ، ويحرمها النور ، ويحرمها السعي ، ويحرمها الحق ويحرمها النطق ، ويحرمها الحرية والاستقلال ، ويحرمها كل حركة تؤول الى خيرها في الدنيا والآخرة ؟

لماذا يحصر الرجل كل هذا فيه ؟ ألم يخلق الله الرجل والمرأة من روح واحدة ؟ أليس لهن مثل الذي عليهن بالمعروف

اعجب يا سيدي من استحسانك غمض الرجل حق المرأة ، بعد ان شكوت بكل صراحة من جهل الرجل واستبداده بها ، وعدم اطلاعه على

ما سنته لها الشريعة المطهرة من الحقوق ، وقد قضيت ان الذنب في ذلك راجع الى الرجل لا الى دينه .

يا سيدي الشيخ

ان دليل العقل والصلاح ليس بقوة في الجسم ، وليس بشارب او لحية ، ولا بجبة او عمامة ، بل ان لذلك آثاراً اخرى تظهر في الرأي والعمل ، ومن طبيعة النفس انها تخضع طوعاً لنفس اسمى منها وتتبعها ، فمتى أبطلت القاعدة الفاسدة ، وهي خضوع كل امرأة لكل رجل مهما كان حالها ، وحلت محلها قاعدة خلقية عادلة ، متى حل الحق محل القوة ، وحل العلم محل الجهل ، وحل العدل محل الاستبداد ، فالنفوس تتعارف ، والنفس التي هي أصلح وأقدر على ادارة العائلة تسود ، وتحترم ، ويحترم رأيها ، ولا لزوم في ذلك الى اتفاق صريح او اقرار من احد الفريقين للآخر بالسيادة .

ان بذلك يتم الصلاح في العيلة والمجتمع . والاحترام المتبادل فيهما ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء، الا بالصلاح والتقوى « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ويجدر بعباد الله ان يجعلوا اكرمهم عندهم ، اتقاهم ، لا اقواهم .

نعم ، قال الله تعالى « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » ولكن المفسرين فسروا الدرجة انها فضيلة الانفاق ، فحيث لا انفاق لا درجة هناك ولا افضلية ، والمساواة تامة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَداً لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ »

فليُرفع يا سيدي الحجاب المخالف للشرع الاسلامي ، ولتسلم الى النساء حقوقهن ، وما الحرية الا اشرف الحقوق التي منّ الله بها على الانسان وانا كفيلة بعدم اعتداء النساء على حقوق الرجال ، فيحترمنهم ويحترمونهن احتراماً خالصاً نقياً . لان الانسان من طبعه ان يحترم من يحترمه ، ويمتهن من يمتهنه .

قال رسول الله صلى عليه وسلم « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْ أُمَّتِي فَتَكَبَّرُوا عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْمُتَوَاضِعِينَ فَتَوَاضَعُوا لَهُمْ »

وما ذلك ، الا ليعلمنا المقابلة والمماثلة والمدنية الحقة التي تلخص بان يحترم الانسان اخاه الانسان ويحترم حقوقه فيحترمه اخوه الانسان و يحترم حقوقه ، وان الاحترام الحق الذي يشير اليه صلى الله عليه وسلم ، امر نفسي لا حركات جوارح . اذ ان الضعيف قد يظهر بجوارحه للقوي ما ليس في قلبه . فاحترم المرأة من قلبك تحترمك من قلبها، واذا احترمتك من قلبها، وجب ان تحترمها من قلبك .

كلنا يعلم وصية الاعرابية لبنتها العروس اذ قالت لها « كوني له امة يكن لك عبداً » ، انما بمثل هذا يتسابق الزوجان على التحاب وعلى الفضيله .

وان لم يسلم الرجل للمرأة بحق الحرية والمساواة والاستقلال، وداوم

على صولة ظلمه، ولم يقبل بالاحترام المتبادل، فليس لها الا ان تقول مع الحسين عليه السلام لما نكب بكربلا « ولا أرى الحياة مع الظالمين الا برما »، او ان تتأسى بقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي اراد ان يضع نفسه دائماً مع الضعفاء المظلومين تطييباً لقلوبهم وحماية لهم من صولة الظالمين، اذ قال: « اَللَّهُمَّ أَمِتْنِي مِسْكِينًا وَأَحْيِنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِين »، او ان تتعزى تحت نير ظالمها بقول سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حيث قال: « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا الراحة لنفوسكم ».

❊❊❊

يا سيدي الشيخ،

انت قلت مع من قال، من اخوانك الرجال، ما دامت المرأة تضيع ثلاثة ارباع الوقت، ان لم يكن تسعة اعشاره، في اللبس والزينة، وتقضي معظم العشر الباقي في الكلام عن الامرين، فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجال.

اما انا فاقول مع من قال:

زيّنوا الباطل حتى ظنه الناظر حقا

ان قوماً جهل البا طل والحق يشق

ان الغلو في الاسناد يا سيدي ، وليد الباطل . والتحامل ، والغضب ، وحب الاستبداد . وليس وليد الحقيقة ، والعدل ، والنزاهة ، وتحري المصلحة .

ومع هذا ، ان المرأة انما تطلب حريتها واستقلالها لتشتغل بتزيين روحها المرضية بالعلم والآداب ، بدلاً من ان تبقى لدى الرجل مكرهةً على الاشتغال بتزيين جسدها له اشتغالاً يميت فيها قوى روحها الناطقة .

اجل ، ان الرجل يتطلب منها ذلك كرهاً ، اذ انه لا يعترف لها بقوة تدفع عنها ضره ، وتخفف شره ، الا بتزيين جسدها له

انه يضع الكوابيس على روحها الناطقة لئلا تنتعش فلا تبقى لعبة مزينة للهوه وهواه .

انه يميت باستعباده اياها تلك الروح ، وكأنه ينتحر ولكن في روحه ، وهو لا يدرك هذه النتيجة المؤلمة ولا يشعر بها . فقد جاء في المقتطف الاخير لاديب فاضل شهير :

« ان الغرّ الذي يقيد المرأة ويستعبدها ويحجزها ، يخسر تسعة اعشار قوته ، وتسعة وتسعين في المائة من سعادته وهنائه » .

يا لجور الرجل من جور ، انه يكرهها على التبرج له ، ويعوّدها ذلك قسراً ، ثم يتخذه حجة له عليها ، ولا ينظر نظرة الى العالم السافر الراقي ، حيث يرى انه قام مقام تلك المرأة المتبرّجة ، امرأة جديدة هي

« شقيقة الرجل . وشريكة الزوج ، ومربية الاولاد ، ومهذبة النوع ، هي المرأة الحائزة لجمال المرأة، وعقل الرجل » .

يا سيدي الشيخ ،

انك استشهدت بكثير من اقوال الرجال ، تأييداً لادعائك انه لا يجوز ان تعطى المرأة حقوقها من الحرية والاستقلال . أو تتخذ قضاة الاجتماع ادعاآت ظلاّم المرأة وخصومها حججاً عليها ؟

ليس للرجل ان يستشهد باقوال الرجال ليثبت ادعاءه على المرأة ، اما المرأة فلها حق واضح بان تستشهد باقوالهم، لان ذلك اقرار منهم واعتراف بحقها، والمرء ملزم باقراره

فلإلزام المرأة، يجب على الرجل ان يستشهد باقوال من النساء، تتضمن اعترافاً منهن بما يدعي .

❀❀❀

يا سيدي الشيخ .

انك تقول ، « ان النساء مصدر الشر على الانسان ، ولو وكل امر تدبير هذا الكون الى النساء فقط لكان اليوم قفراً هذا ان بقي » !!

ولكن يا سيدي ، ما من احد طلب ان يوكل امر تدبير الكون الى النساء فقط . ان كل عاقل لا يتبع الهوى ، يعلم ان هذا الكون، لا تصلح

ادارته باحد الجنسين مستقلاً فيها . في كلٍ منهما نقص يجب ان يكمله الآخر .

ان اول من تولى ادارة شؤون الاسلام كما لا يخفى ، النبي صلى الله عليه وسلم، فلما فتح الله تعالى له فتحاً مبيناً ، واتم نعمته عليه بضم الملك الى النبوة ، كما ذكر البيضاوي ، لم يكتف عز وجل بمبايعة الرجال ، بل رأى جل عدله وتعالت حكمته، لزوماً لمبايعة الرجال والنساء على السواء فقال تعالى « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

والمبايعة بين الوالي والمولى عليهم، هي على ما ذكر المفسرون، المعاقدة والمعاهدة، كأن كلاً من الفريقين باع من الآخر واعطاه خالصة نفسه وداخلة امره ، او هي عقد التولية ، وذلك يتم في زماننا بصورة الانتخاب، منظوراً به الى القانون الاساسي، الذي هو في كل دولة المقاولة او المعاهدة بين الشعب والحكومة . وما كانت القوانين الاساسية الحاضرة في العالم الا موافقة لروح الشرع الالهي .

ولم يكن من فرق بين مبايعة الرجال ومبايعة النساء للنبي صلى الله

عليه وسلم، الا ان الرجال كانوا يبايعونه على النصرة في الجهاد الأصغر. ضد الاعداء من البشر. اما النساء فكن يبايعنه على النصرة في الجهاد الأكبر، اي نصرة النفوس المرضية على النفوس الأمارة بالشر، وذلك بصنع مكارم الاخلاق، واصلاح الشأن في الدين، والأنفس، والأزواج، والعيال

ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال يوم فتح مكة، جاءت النساء يبايعنه وهو على الصفا، وكانت منهن هند بنت عتبة ، فلما تلا النبي الآية وفيها شروط المبايعة (ولا يأتين ببهتان ولا يعصينك في معروف) قالت له هند : « والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق، وما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء ».

ان الله تعالى امر بمبايعة النبي، ليعلمنا اصول الحكم الشعبي او الديمقراطي، ووجوب اشتراك الرجال والنساء به، ولا سيما في الانتخاب. وكيف يسلم الدين او العقل، ان تحرم النساء حق الانتخاب واكثر الخير فيهن، ومنهن كل صالحة خير من الف رجل غير صالح؟ هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الحكم الديموقراطي، يستمد من الامة رجالاً ونساءً مشتركين. ذلك ما علمنا الله اياه في كتابه قبل الف وثلاثمائة سنة ونيف.

ولكن، يا ويح الرجال، انهم عدّوا المرأة طوراً كالجماد، وطوراً كالحيوان، وسلبوها حقوق الانسان، لم يمنعهم من ذلك سنة ولا قرآن،

استقلوا بالحكم، واستضعفوها فحبسوها وظلموها، ثم عدوها مصدر الشر على الانسان

طوبى لكل قوم عرف اخيراً قدر المرأة وحقوقها، وحسن تأثيرها في المجتمع، واعطاها من تلك الحقوق حق الانتخاب والاشتراك في الحكم الشعبي، انه استحق ان تشمله السعادة، وتنيره الحريات. ويسوده الصلاح، وتفيض عليه الخيرات ويعمّ بلاده العمران.

يا سيدي الشيخ

يفهم من مقال الكاتب الاجتماعي على فهمي « ان علماء الاجتماع والسواس المتشرعين اجمعوا على ان المرأة هي قوام الهيئة الاجتماعية، وعماد تقدم الامم ، وتشييد الدول ، وان الامة التي لا حياة اجتماعية لها، لهي عدم في الوجود . بل هي شرّ من ذلك العدم . » فانّى تكون المرأة، والحالة هذه ، مصدر الشرّ ؟ . . .

يا ويح الرجل ! ويالقلة عدله ! ليت شعري، أكان اتيلا ، تيمورلنك، جنكيزخان ، نيرون ، يزيد، وامثالهم من الاشرار الظلمة. نساء ام رجالا. ليت شعري. اكانت الملايين من قتلى الحروب، واشكال الويلات والخراب والدمار والالام والشرور في البلدان والشعوب، من ضحايا المرأة الرؤوف الحنون ومن آثار اعمالها ، ام من ضحايا نفس الرجل القاسية ومن آثار اعماله ؟ ذاك الرجل القاسي الغاوي، الذي داس الحقوق حتى حقوق امه

التي ولدته وربته ، وحجبها وستر وجهها ، ومنع النور عن عينها، والهواء عن صدرها، وكسر قلبها ، مستنداً اليها نقص العقل ونقص الدين ، وانها مصدر الشر للانسان .

ان المرأة يا سيدي، لم تشتغل في تلك الشرور والحروب . ولم تشترك فيها الا بتضميد الجراح ، وتخفيف الآلام ، وحقن الدماء ، بما وهبها الله من صفات النفس المرضية . ولكن لا بد لروح المرأة — وقد اخذت تحرر في العالم السافر الراقي ، وستنال حريتها كاملة مع الزمان في كل مكان — لا بد لها من ان تنصر روح الرجل في الجهاد الاكبر ، ضد النفس الامارة بالسؤ والشر ، فيتحد الروحان حاملين لواء السلام والحرية، ثائرين على ما بقي في الارضين من اثار الهمجية ، فيسبك العالم كله مدافعه، وقنابله ، وسيوفه ، وحرابه ، وبنادقه ، والات تدميره ، الاتٍ زراعية ، «وماكنات» صناعية، وطرقاً حديدية، وتصبح الدائرة الارضية ولكل امةٍ او نفس فيها دائرة من الاستقلال والحرية ، حدودها امنع بقوة القانون من الحصون القوية . حينئذٍ يعلو صوت الانسان صارخاً اما انا ، انت انت، لا مستعبِد ولا مستعبَد ، ويبطل ذاك القول الظالم (من لا يَظلم يُظلم)، ويبطل التغلب ، والتسلط والتحكم ، ويبطل ان يكون الحق للغالب ، والويل للمغلوب ، والقول للسيف والمدفع ، ويبطل ان يكون هتاف الناس للقاهر ، والسجود للمتكبر ، والسيادة للشر ، وترفع

غاية السلم العام الكبرى ، فوق مصلحة النفس، والاسرة ، والدين والامة، والجنس . وفوق كل مصلحة خاصة تفرق الانسان عن اخيه الانسان ، وترتبط الافراد والامم بعرى الاخاء والمساواة ، وبقانون عام واحد ، وحكم مشترك واحد، يسود في الشرق والغرب، كل امة وكل نفس رجلا او امرأة على السواء ، وتحل الاختلافات بالشرائع لا بالمدافع ، وتنير الحرية العالم ، ويسود الخير والصلاح فيه ، ويبطل ان يكون الحياء والخجل من العار والعيب مخصصين بالنساء ، ويستوي الرجل والمرأة بالرأفة والحنان على بني الانسان وتخزى النزعات الى الحروب ، وتكره البطولة والسياسة السكرانتان بالدماء الساعرتان الخلق نحو الفناء ، كما يكره الوباء، ولا يتذكر الناس اذ ذاك حكايات الآكلين حقوق الانسان ، الا كما يتذكرون – على قول الشاعر التركي – حكايات العفاريت والغيلان .

ان ذلك الخير كله ستلده للعالم حرية المرأة، والانتصار في الجهاد الاكبر ، انها الام والبنت والاخت الحنون الرؤوف لابناء البشر

إنا لقبنا العصر الماضي بعصر الكهرباء، فلا ريب ان احفادنا يلقبون عصرنا المقبل بعصر النساء

وكل من يستقري ويرى ، ولا سيما بعد الحرب الكبرى ، يقظة النساء ونهضتهن في العالم السافر الراقي، مساعيهن وعملهن في سبيل الخير والصلاح والسلام ، يستشرف الزمن الآتي فيقضي بانما اقول ليس

من الرؤى والاحلام ، انما تلك اماني النفوس الخالصة المرضية ، تحققها الايام . وكل من يرغب في الاستقراء الفت نظره الى كتاب (المرأة في التمدن الحديث) للسيد محمد جميل بيهم فيرى فيه ، من النور ما يكفيه .

يا سيدي الشيخ ، انما السجون وضعت للاشرار يعاقبون فيها بسلب حريتهم ، فاي من الجنسين كثر عدده فيها ، يحكم عليه بانه الاكثر شراً . افلا ترى نسبة النساء للرجال في السجون، تقلُّ عن نسبة واحد للماية ، فعلامَ تستحسن الحرية للرجال ، وتستقبحها للنساء ؟

يا سيدي الشيخ ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رَزَقَهُ اللّٰهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللّٰهَ فِي الشَّطْرِ الآخَرِ » فكيف تعد المرأة مصدر الشر ؟

يا سيدي الشيخ، كيف تقول « ان النساء مصدر الشر على الانسان »؟ أنسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ » ؟

أنسيتَ خديجة ام المؤمنين ، اول من آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم وانارت فجر دعوته النبوية ، وكانت له في اول رسالته العضد المتين ، والنصوح الامين ؟

كيف تقول « ان النساء مصدر الشر على الانسان » انسيت ان

النساء آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان آمن بـه الرجال ؟ انسيت ان الرجال كانوا يضعون في طريق النبي صلى الله عليه وسلم حطباً وشوكاً، ويرمونه بالرماد ، وكانت النساء نساؤهم تحيط به كالملائكـة الحافظين ، فمنهن من رفعن الحطب والشوك من طريقه ، ومنهن من نفضن الرمـاد عن رأسه ، ومنهن من ربطن جراح رجليه؟

انسيت انه يوم كان سيدنا عمر رضي الله عنه ، متقلداً سيفه مفتشاً عن الرسول ليقتله ، كانت اخته فاطمة بنت الخطاب مسلمة تترنم بآيات الله ، وهي التي كانت سبب اسلامه فصار «سيف الاسلام القاطع» ؟

ومن خلص موسى عليه السلام من الموت؟ اوليس امرأة ، هي ابنة فرعون ؟

ومن كان اول من آمن بموسى عليـه السلام ؟ اوليس امرأة ، هي آسية بنت مزاحم ؟ وهي التي اصرت على ايمانها بالله فارتد رجلها فرعون يديها ورجليها الى اربعة اوتاد، ثم امر ان تلقى عليها صخرة عظيمة وهي تقول « رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة . »

وكيف تقول ان النساء مصدر الشر على الانسان، ومنهن مريم العذراء، وفاطمة الزهراء ، وام المؤمنين خديجه ، وعائشة الحميراء ؟

كيف تقول ما تقول والنساء قد ولدن الانبياء ؟

واذا قلت للانبياء والدين كما لهم والدات ، فلا تنسَ سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام وقد استقلت به امه مريم العذراء ، تلك المطهرة المصطفاة ، سيدة النساء ، وخير الامهات .

❀❀❀❀

سيداتي ، غريب امر الرجال ، ان الشرور التي ظهرت في العالم صدرت منهم ، وهم الذين اوقدوا جذوتها ، وادارو حركتها ، ويسندون مصدرها للنساء . ان شرورهم لظاهرة وهم يقولون بعضهم للبعض الآخر ، (فتشوا عن النساء ، في الخفاء) .

واذا قيل لأحدهم ان احدى محارمه ليست حرة ، قام وقعد ، وارغى وازبد ، وغضب لكرامته ان تهان . واذا رأت ان تكون حرةً حقاً ، لتثبت فعلا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم «ان اكثر الخير فيهن» اضطربت اعصابه ، وخاف على العمران ان تتقوّض اسبابه ، وان يكون في حريتها خراب الكون وخرابه .

وكيف تكون المرأة حرّة يا سيدي الرجل ، ما لم تكن فيها صفة الحرية حقا ! هل من فاضل حقا بلا فضيلة ، وعالم حقا بلا علم ، وحر حقا بلا حرية . وشرير حقاً بلا شر ؟

مسكينة المرأة . يغضب رجلها أن تكون غيرَ حرة ، وتغضبه اذا ارادت ان تكون حرة .

❀❀❀❀

المرأة لا تطلب الا ما خولها شرع الله من الحرية والحقوق .
ان في ذلك صلاح العيلة والمجتمع. وبيان للشيخ عبد القادر المغربي

يا سيدي الشيخ

ان المرأة لا تطلب ولا تريد الا ما خولها اياه الله ورسوله ، كما ذكرتَ في كتابك ، من حقوق السيادة والمساواة والحرية . وذلك نتيجة التحرير من قيود العبودية واغلال الاضطهاد . على انها لا تكتفي بالتحرر من قيود العبودية (المطلقة) كما وصفت ، بل تطلب ان تحرر بموجب شرع الله من كل عبودية ، سواء أكانت مطلقة ام مقيدة . عامة او خاصة . ان وصف (المطلقة) للعبودية ليس من الله بل من سيدي الشيخ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كُلُّ نفْسٍ مِنْ بَني آدَمَ سَيِّدٌ. فَالْرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ وَالْمرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِهَا) . ان سعي الرسول وعمله لتحريرها سنّة يجب على الرجل اتباعها ، وينبغي له ان لا تهوله حريتها، فيعاكس كل سعي لتحريرها . ينبغي له ان يقتفي في ذلك سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان فيها الخير والصلاح للعيلة والمجتمع .

قال الشيخ عبد القادر المغربي متشهداً بما قاله علماء الاجتماع : « ان احقر المنزل اذا تولت رياسته امرأة مدبرة بشوشة كان ملؤه الراحة والهناء والسعادة ، كان فيه اشرف العواطف العائلية ، كان عزيزاً لدى الرجل لما يستلزمه من دواعي السرور ، كان ملاذاً للقلب ، وملجأ من عواصف الحياة ، كان خير مكان للراحة من عناء الاشغال ، ومتاعب الحياة، كان في الشدة مسلياً، وفي الرخاء فخراً، وفي كل حال نعيماً .فالمنزل الصالح

اذن خير معاهد التربية، لا للشاب وحده ، بل للكهل ايضاً ، وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر ، وضبط النفس ، وتدرك روح الحياة ، ومعنى الواجب اه .)

وقال الشيخ المشار اليه « ان الاعمال التي يزاولها كل من الرجل والمرأة في عائلتهما تختلف باختلاف حال الامة التي يعيشان فيها بداوةً وحضارة ، رقياً وانحطاطاً . ويغلب في الامم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الاعمال البيتية كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتغل ثمة ويتعب ويستثمر اتعابه ثم يلقي بهذه الثمرات الى زوجتـه ، ويتكل في هنائه العائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابـة رئيس شرف لـه . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل سيادة البيت للمرأة ، وخصها بها ، وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تنكر .

«واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسته كان من اول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة . فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحـة . فانها اذا توفرت فيها هـذه الشروط اصبح المنزل فردوس الرجل ، ومظهر كرامته في قومه . والمنبت الخصب لذريته واولاده . ومن ثم كان للمنزل والعائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع، حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية ، اساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الامة

كلها . فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الامة على اثره . والعكس بالعكس . قالوا واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء العائلة بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الاطوار والاخلاق في اسواقهم وحوانيتهم ومحافلهم وقهاويهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية . فاذا رايتهم هنا على نظام ادبي ثابت . حكمت باستحكام النظام الادبي في بيوتهم وعائلاتهم . لان هذا اصل ذاك . والا فلا . ان المنزل هو المغرس الاول للذرية والاولاد فهم يُنقلون منه الى المغرس الثاني اعني المدرسة ، ومنها الى ساحة التجارب والعمل والسعي في خدمة امتهم ووطنهم كما ينقل الفسيل من ارض الى ارض ، فاذا طابت تربة المغرس الاول (العائلة) طابت اذ ذاك ثمار ابناء الامة وغزرت محصولات عقولهم ، وان خبثت تلك التربة خبثت الثمار ، وقبحت الآثار وساءت الاخبار . اهـ . » . .

يا سيدي الشيخ

اظن ما ذكرته كافياً ليعرّف السبب الذي من اجله تطلب المرأة حريتها ، انها تطلب حريتها ، استعداداً لايفاء هذه الوظائف السامية ، وتوسلاً لقضائها كما تقضيها سيدة حرة حقا . انها تطلب حريتها في فكرها ، وارادتها ، وقولها وعملها ، لتفتكر في الخير ، وتريده ، وتقوله ، وتعمله

قال الشاعر المعروف الشيخ امين تقي الدين

هذي البلاد ولن تقوم بنهضة   حتى تريد السيدات قيامها

اجل ، ان المرأة تريد حريتها لتظهر ارادتها في نهضة الامة وقيامها . واحسبني قد اثبت تلك الارادة ، ارادة المرأة .

ان المرأة المسلمة، تنهض وتستنهض الرجل، ليسير واياها الى الحرية، الى الامام . والى النور ، حيث الخير والصلاح ، والرقي والسعادة . فعسى ان لا يقف الرجل ويستوقف المرأة فيستوقف امته في الخمول والظلام ،

المرأة المسلمة تحكّم العقل ، وتدعو الامة الى النهوض في اتباع القرآن والسنة ، فعسى ان لا يدعوها الرجل الى الجمود ، في اتباع ما يخالفهما ، من اقوال بعض الفقهاء

المرأة المسلمة ، ترمي الى توحيد الفرَق الاسلامية، ولا يضمنه الا الرجوع الى الكتاب والسنة مرجعَي فِرَق الاسلام كلها ، فعسى ان لا يرمي الرجل الى ابقاء التفريق ، ولا يبقيه الا متابعة السير على اقوال بعض الفقهاء

قال السيد المسيح : « أتيت لألقي حرباً لا سلاماً » ولم تكن حرب السيد المسيح ، وهو الواضع اساس التآلف والسلام والتآخي بين الناس، الا ضدّ ما ضر وما فسد من التقاليد والعادات ، والتعاليم والأقوال ، انتصاراً للمبادئ القويمة، والتعاليم الصحيحة ، في الكتب المنزلة ، فإن تُحسب نهضة الفتاة المسلمة حرباً معلنةً ضد الفاسد والضار ، فليس ذلك إلا جهاداً اكبر ، اتبعت فيه كلام الله وسنة سيديها محمد والمسيح ، انتصاراً للصلاح والسلام .

يا ايها المعارضون

اذا اردتم مقاومة المرأة، وتجميد الامة على ما هي عليه، فهاتوا برهانكم مما انزل الله، ومن سنة رسوله، لا من اقوال امثالكم.

لما خطب عمر بن الخطاب على المنبر يوم الجمعة قائلاً: ان مهر فاطمة بنت رسول الله اربعمائة درهم، فمن زاد منكم على ذلك المهر، اخذت الزيادة منه ووضعتها في بيت مال المسلمين. قامت امرأة وقالت: ومن اين لك هذا الحق يا امير المؤمنين والله تعالى قال في كتابه: « وَإِذَا آتَيْتُمْ إِحدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنهُ شَيْئاً » ؟ فقال: يا ايها الناس، « امرأةٌ اصابت، ورجلٌ اخطأ. »

فلنأخذ يا سادتي عبرةً من قول سيدنا عمر، ولنعلم ان الفقهاء يخطئون، وان النساء، واكثر الخير فيهن، لهن رأيهن في الحق، ان العصمة لله وحده.

يا سيدي الشيخ،

أنّى تحسب المرأة سيدةً حرةً حقاً، وهي مأسورة بحجاب على وجهها وعينيها، وجميع حواسها، وظله على عقلها؟

ألا ترى ان الحجاب هذا، كان مصوناً من بلائه الارقاء والاماء؟ فلماذا تبلى السيدة الحرة بهذا البلاء؟ وهل صالح المجتمع الاسلامي ان تكون السيدة فيه محجبةً عمياء؟

❀❀❀

ذكرت يا سيدي ، ان رسول صلى الله عليه وسلم ، جعل المرأة ربة المنزل وسيدته ، بما منحها من الحقوق التي جعلتها مساوية للرجل في كل شيء الا السيطرة والسلطان المقيدين . والمرأة يا سيدي لا تطلب الا ان تكون ربة المنزل وسيدته حقاً ، وأنى تكون ربة لمنزل او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها لا يجوز لها ان تقرب من نافذة ذلك المنزل ، او تطلع الى سطحه ، او تخرج الى شرفته ، او داره ، بل يجب عليها ان تخدمه فيه ، واقفة لديه ، كأمة بين يديه .

كيف تكون ربة لمنزل او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها لا تزال في المنزل كما قال السيد جميل بيهم ، الامن قبيل القنية ، يتزوج بها للخدمة والتناسل ، ويترفع الرجل سيدها عن مصاحبتها ، ومؤاكلتها ، ومجالستها ، ويهنأ بموتها لانه يتهيأ له بذلك فراش جديد ؟

أهذه هي المساواة التي امر بها الدين ؟ أهذا هو تعظيم شأنها الذي اوجبته الشريعة الاسلامية ؟

ان المرأة لا تعارض احكام شرع الله ، يا سيدي الشيخ، بل تطأطئ رأسها طاعة واحتراماً له ، وانما تعارض ما يعاملها به الرجل خلافاً للدين ، ولشرع الله ، ولقانون البشر ، ولناموس الطبيعة ، وللمروءة والمصلحة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اَلنِّسَاءُ شَقَائِقُ ٱلرِّجَالِ) وقال صلى الله عليه وسلم (سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُم فِي ٱلعَطِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَداً لَفَضَّلْتُ ٱلنِّسَاءَ) فهل يجدر ان تكون حالة النساء السيئة ، نتيجة

ابداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ميله الى تفضيلهنّ على الرجال ؟

ان المرأة لا تطلب تفضيلاً يا سيدي ، ولكنها تطلب من الرجل ان يعترف لها بمساواتها اياه في حق الحرية ، في حق الحياة المثلى

اذا كان الرجل رأس المرأة ، فلتكن المرأة قلب الرجل . انما بمثل هذا يتم الصلاح في العيلات والمجتمع .

اما السيطرة التي ذكرت يا سيدي ، فهي صفة ينبغي للرجل ان لا يتخذها ، لان المرأة من عباد الله ، والله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن السيطرة بقوله «لست عليهم بمسيطر» . وان أردت بالسلطان الذي ذكرت سلطاناً مستبداً جائراً يعمل بكيفه وهواه ، ضمن دائرة من قيود يضعها هو نفسه كما يشاء لا توافق شرع الله ، فهذا لا تسلم به المرأة . واذا أردت بالسلطان معنى القوّام ، فهو يُفيدُ ولايةَ الرجل في حكومته الصغيرة اي عيلته ولاية مستمدة من انفاقه ، والولاية ليست مطلقة بل مقيدة بمصلحة من عليه الولاية ، وليس من مصلحة المرأة ان يحرمها رجُلها ، في مقابل انفاقه ، حريةً هي لها منحة من الله في شرعه ، مستبداً بها كما يهوى ، فقد جاء في الانجيل « ليس بالخبز وحده يحيي الانسان » انه يحتاج الى الحرية لاحياء روحه ، كما يحتاج للخبز لاحياء جسده .

قال الله تعالى « يا أيُّها الّذينَ آمنوا كونوا قوّامينَ بالقِسطِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَحسِنُوا إذَا وُلِّيتم ، فأيُّما والٍ وَلِيَ شيئًا مِنْ أمرِ أُمّتِي فَلَمْ يجْتَهِدْ لهمْ كَجُهْدِهِ لِنفسِهِ كَبَّهُ اللهُ على وَجهِهِ يومَ القِيامَةِ في النَّارِ)

اذن ينبغي للرجل ان يجتهد لحرية المرأة ، كما يجتهد لحرية نفسه . والا كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار .

كان الوالي في زمن الاستبداد ، يتصرف بحقوق الناس كما اراد ، كأن حقوق الناس كلها حقه . اما الآن وقد انار نور الحرية ونور العلم العالمين ، فليس على الوالي الا تأمين الحقوق ، وليس له ان يخل بها قيد شعرة . وانما بهذه الصورة ارتاح الوالي ، والمولى عليهم ، وساد الامن والعدل والنظام .

اذن المرأة حرة ضمن دائرة من شرع الله والقوانين الموضوعة . كما ان الرجل حر ضمن دائرة من شرع الله والقوانين الموضوعة . وليس لاحد ان يظلم غيره او يستبد به ، مضيقاً تلك الدائرة ، ومحدثاً قيوداً من عنده جديدة .

اما الخدمة فان المرأة تخدم الرجل في امور ، والرجل يخدم المرأة في امور . ولا ريب ان الاحوال كلها بين الناس ، على هذا المنوال .

«الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وان لم يشعروا اخدم»

ومع كل ما ذكر ، يجب ان لا ننسى ان في النساء غير متزوجات لا ينفق عليهن ، فحرمانهن الحرية في الاعمال ، والتعسير عليهن في اسباب الكسب الحلال ، ولا سيما بغطاء الوجه الحائل بين الانوار ، والابصار ، وباجنحة تلك الملاءة التي تعوق الحراك ، وتسبب الارتباك ، اعتداء شديد عليهن وعلى الدين ، و« ان الله لا يحب المعتدين »

ما هذه الحالة التي بلانا رجالنا بها خلافاً لشرع الله ، وسنة رسوله ،

وسنن الطبيعة ، ! ان الانثى من كل حيوان لها ملء الحق وتمام الحرية في ان تسعى لكسب عيشها متمتعة بقواها وبالهواء والنور، اسوة بالذكور، اما المسلمة فتغل بالقيود منعاً لها من الحرية في كسب عيشها الحلال ، اسوةً بالرجال. نقرأ عن غير المسلمات في العالم السافر الراقي، ان كسبهن الحلال وتبرعهن في سبيل الخير، يبلغان الملايين والمليارات ، ونرى المسلمات المنقطعات الواقفات القاعدات على ابواب المحاكم الشرعية ودوائر التنفيذ، عورات ملتفات، وعيات ذليلات، سائلات نفقات ! إمثل هذا ينبغي لنا ان نباهي ونفاخر غيرنا من الامم ؟

❀ ❀ ❀

ذكرتَ يا سيدي الشيخ، ان صحة آداب الاعراب ، واهل القرى، وسلامة اخلاقهم ، مما يجعلهم يستحقون السفور ، وان الفساد في اخلاق اهل المدن، يجعلهم يستحقون البلاء بالحجاب .

عفواً يا سيدي ، اني قروية ساكنة في المدن . نظرت في اهل القرى ونظرت في اهل المدينة ، فلم أر أخواتك لمدنيات ، وإخوانك المدنيين دون أخواتي القرويات وإخواني القرويين في صحة الآداب وسلامة الاخلاق ، من حيث الفطرة ، ولم يكن ما يتراءى من الفساد في المدن الا نتيجة مفسدة النقاب . وما أخواتي وإخواني ، الا أخواتك واخوانك ، وما أخواتك واخوانك، الا أخواتي وإخواني . وارى ان ليس فيهم جميعاً

ما يستوجب مثل حكمك. بل ارى الامة مستعدة للسفور عن تلك الوجوه الشريفة المسلمة بكل قواها ، وفي حالة تستحق الثقة بنسائها، والطمأنينة الى رجالها . ولا تحتاج إلا الى مساعدة مثلك من العلماء الاعلام ، ارباب الأقلام ، واصحاب الافهام ، لفك قيودها ، وكسر حديدها ، فتسير الى الامام ، ولا حجاب ولا قيد لها الا شرف الاسلام .

وارى انه لا بد لي من لفت نظر الشيخ الى انه لا يجوز تفضيل اعراب البادية على اهل المدن ، وهو منهم ، وقد قال الله تعالى في سورة التوبة : « ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ، وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ ». وقد ورد في الحديث « مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِي » نسبةً الى الاعراب سكان البادية . وجاء في حديث عن ابي عبدالله رضي الله عنه «لَا بَأْسَ بِالنظرِ إِلى رُؤُوسِ أَهلِ تِهامةِ وَٱلْأَعرابِ وَأَهلِ ٱلسَّوَادِ وَٱلْعُلُوجِ لِأَنَّهُمْ إِذَا نُهُوا لَا يَنْتَهُونَ »

أَوَ مثل هؤلاء ياسيدي على آبائنا وامهاتنا وأخواتنا وإخوتنا يفضلون؟

ولا بد لي ان اذكرك ياسيدي تكراراً بقولك ان الحجاب في حالته اليوم هو ما ينهى عنه الشرع الاسلامي ، لأنه يغرر الأغرار ويستميل الأشرار ، وان في الحجاب غير الشرعي ضرراً لا ينكر

اذن إنّ ما يتراءى من الفساد في اهل المدن ليس ناشئاً من فطرتهم، بل من النقاب علة المفاسد. فلتبدل الحرية منه ولتكشف وجوه المسلمات الشريفة ينكشف لك ما تروم من وجيه الاخلاق ووجوه المحامد

❊❊❊

واری انه لا بد لي من البيان، ان كتاب الشيخ الغلاييني ، كان لغير هذا الزمان . انه وضعه في اول الشباب ، ولكل اجل كتاب .

لذلك ما خاطبت الشيخ في خطابي ، الا اياه في اول شبابه ، يوم وضع كتابه . اما اليوم فاعتقد ، وليعلم المسلمون والمسلمات ، ان الشيخ المحترم،وهو من رجال العلم والنور الثقات ، انه في كهولته الراقية الرشيدة، وفي النهضة الجديدة، سيظهر للمرأة نصيراً ، وللحق ظهيراً ، وتحف العالم المتمدن بكتاب جديد في تحرير المرأة المسلمة ، يوافق روح العصر ، وروح الدين الاسلامي ، ويسعد العيلة ، وينفع الامة ، ويعلي شأنها بين الامم ، كما كان الامر في القدم . انه خليق بان يكون من خيار المبتدئين ، لخيار المقتدين .

— النتيجـــــة —

سادتي وسيداتي

لقد تبين الحق من الباطل والرشد من الغي ، وانقضى الزمن الذي ساد فيه التمويه والتضليل،وأقبل الزمن الذي يقتضي أن تسود فيه الحقائق هذا الشرق، كما سادت كل عالم راق . فارجو منكم رجالاً ونساء أن تضعوا اقوالي موضع البحث الحر ، موضع البحث الذي يحكم فيه العقل، ويُنظر فيه الى اللباب لا الى القشور . وان تدرسوها بحثاً بحثاً فيؤثر كل منكم في قوله وعمله الطريق الذي يرى انه الافضل في القضايا الاجتماعية الهامة التي بحثت فيها .

لقد ذكرت لكم، عدا الادلة العقلية، آيات الكتاب والاحاديث الشريفة،وكلها تحقق نظراتي وتدعم قضيتي دعماً

ان الامم باسرها تمر سراعاً الى الرقي والتكمل، فلا يصح والحالة هذه،ان نبقى في جمودنا القاتل ، او يبقى فينا هذا الجمود ، ان ضرورة الحياة وتنازع البقاء،يحكمان علينا بالنفور وترك التخدر في الخدور،لننال نصيبنا من الرقي والكمال ، ومن يقف امام تيار الانسانية الجارف،الجاري،متسارعاً الى اكتساب الحقائق والتكمل العقلي والادبي ، تدسه اقدام الطامحين الى نيل ذلك الهدف السامي .

فلنشفق على انفسنا،ولنترك الاباطيل والاوهام،والتأويلات الضارة

التي تعسر علينا اسباب الحياة والسعادة فيها ، ولنعتمد ، مع تحكيم العقل، النص الالهي والنص النبوي، فهما كفيلان باسعادنا وباصلاح ديننا ودنيانا، وبادراك ذلك المقام الخليق بالامة الاسلامية، وبالمرأة في الاسلام

قال شيشرون الحكيم (من كان غير سعيد فالذنب ذنبه) وقال سيدي محيي الدين العربي في الفتوحات المكية (فرض على المؤمنين ثلاثة حقوق : حق لله وحق للخلق وحق لأنفسهم . فالحق الذي لله تعالى عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . والحق الذي للخلق عليهم كف الأذى كله عنهم وصنائع المعروف معهم . والحق الذي لأنفسهم عليهم ان لا يسلكوا بأنفسهم من الطرق الا الطريق الذي فيه سعادتها ونجاحها فان أبت فلجهل قام بها وسؤ طبع .)

يقول الرجال اولو العزائم « الحرية تؤخذ ولا تعطى » ويريد الذين ينفرهم الجمود كأنه شبح الموت، ان تأخذ النساء بهذا القول.

اما انا، فبعد تلك النعمة، نعمة الحرية التي منحنيها ابي من تلقاء نفسه والتي عددتها نعمته الثانية علي بعد نعمة الحياة ، اتيت باشد ما منحني الله وحرية التفكير من قوة ، اثبت ان المرأة ما خلقها الله عياً ولا ناقصة عقلاً ولا ديناً، وان الحرية الصحيحة هي بعكس ما يظن الجهلة والسفهاء، هي ولا ريب الاس المتين ، والركن الركين للادب، وعزة النفس. والصلاح ، والكمال، والدين ، وأثبت ايضاً ان الحرية قد لا تؤخذ اخذاً بل تعطى، وألتمس منكم يا سادتي الرجال، ان تحرروا افكاركم من البدع والاباطيل

وتأثير العادات، وتمحوا من انفسكم كل الوانى تشتون بشرف نفوسهن من اخواتي المزيرات المحررات، امهاتكم وبناتكم وزوجاتكم واخواتكم، تلك النعمة نعمة الحرية . اما اللواتي لم يستحققن الثقة فلا رأي لي في امرهن، على اني اود ان لا ارى تحت لواء الحرية ، الا نفوساً من الجنسين شريفة ابية .

سادتي وسيداتي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حرّم الله شيئاً إلاّ أباحه للضرورة » ألا ترون ان ضرورة الحياة في الزمن الحاضر تستوجب إباحة السفور، حتى ولو كان محرماً ؟ اذن كيف لا نبيحه وهو غير محرم ؟.

كيف لا نبيح سفور الوجه وقد حرم الله علينا ستره او ستر بعضه في احرام الحج والعمرة بين عشرات الألوف من الرجال ؟

كيف لا نبيح سفوره، وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بصلاحه .

كيف لا نبيحه، وقد رحب رسول الله بهند لما اسلمت فسفرت في حضرته ؟

كيف لا نبيحه وقد رأينا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقابل جابراً بحضرة ابيها صلى الله عليه وسلم وهي سافرة ؟

كيف لا نبيحه وقد قرأنا ان امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه قد امر امرأته ام كلثوم بنت سيدنا علي بن طالب رضي الله عنه ان تخرج فتأكل معه ومع رسول سلية ؟

كيف لا نبيحه وقد راينا ان سيدتنا فاطمة وحفيدتها سكينة رضي الله عنهما وغيرهما من المدرسات وفضليات المسلمات في الشرق والغرب كن يلقين الدروس على ملاء ممتزج من الرجال والنساء، ومجالسهن كانت حافلة بالعلماء والادباء والشعراء؟

كيف لا نبيحه وقد امر الله تعالى النساء ان يُعرفن فلا يؤذين، والمعرفة ، كما لا يخفى، انما تقع بالسفور، وتمتنع بالحجاب ؟

كيف لا نبيحه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلّل حراماً ومن حرّم حلالاً فقد كفر » ؟

كيف لا نبيحه وقد ارانا العقل ما فيه من خير، وما في الحجاب من شرّ وضير ؟

***

سادتي وسيداتي

لو بعث اليوم ابو حنيفة حيا ،
لو بعث الفقهاء الثقات الاعلام ،
لو رأوا مقتضيات الزمن الحاضر ،

لو رأوا ما آل اليه العلم الحديث في الاجتماع والاشتراع والفن والصناعة والاختراع ،

لو رأوا كيف اجمدنا عقولنا على ما وجدنا من بعض اقوال شاذة ومقالات وعادات ، مستعبدين لها غير ناظرين الى السنن الحقة والآيات .

لو رأوا ما ينفحنا به في هذا الزمن بعض مشايخنا ، خصوم المرأة ، اعداء التطور الراقي ، ومعارضو السفور ، مشوقين ايانا الى التخدر في الخدور ، والى الاحجام عن تعلم الكتابة ، حتى الى التواري عن عيون اخواننا في الوطنية او في الانسانية ، بدلاً من اتحافنا باحسن الاقوال ، لنأتي احسن الاعمال . فنكون بها للعالم خير قدوة وخير مثال .

لو رأوا كيف اهملنا اللب والحقيقة والحكمة ،

لو رأوا كيف آثرنا جهل نسائنا استعباداً لهن ، فاستعبدتنا الامم التي آثرت علم نسائها وحريتهن ،

لو رأوا كيف اورثنا الشلل بالحجاب ونتائجه نصف اعضاء مجتمعنا من امهات ، وبنات ، واخوات ، وزوجات ، فاستقوت علينا المجتمعات القويات الاعضاء ،

لو رأوا كيف انتقم الحق ، وانتقم الزمان منا ، وشددا انتقامهما ، لظلم النساء ، ومنع الارتقاء ، والاحجام عن التطور ،

لو سمعوا قول الشاعر الفيلسوف الناطق بلسان الحكيم العارف الداء، الشاعر بألمه ،

« أخّرَ المسلمين عن امم الار ض حجابٌ تشقَ به المسلماتُ »

لو رأوا كل ذلك . لذابت قلوبهم لهفةً وحسرة ، وأرونا باشد ما في نفوسهم من قوة فائقة، وحكمة بالغة ، احكاماً توافق السنة والقرآن، واحوال الزمان، احكاماً فيها اليسر الذي اراده الله لنا ونريده ، بدلاً من العسر الذي لا يريده تعالى ولا نريده ، وفيها المجال الحر الواسع لتأمين مكانتنا في التنازع الدائم للبقاء ، والطريق السوي الواضح الذي يقودنا الى ذروة المجد في طليعة الامم حيث كنا في تلك الذروة العلياء .

فلا غرو والحالة هذه ان اقول ثانية اني بحثت بمقتضى حرية التفكير تحت راية السيادة العلمية المستقلة ، ولو تاملنا لعلمنا انها ليست الا راية القرآن والسنة ، اجل تحت تلك الراية الحرة بحثت، وهكذا فليبحث الباحثون ، ولتبحث الباحثات .

ان كل ما بحثت فيه من شئوون الدنيا الاجتماعية كتحرير المرأة وسفورها، وتحرير العقول، والتجدد في العالم الاسلامي، انه يويد نظراتي فيه المعقولُ والمنقول ،

قال الشاعر الفيلسوف :

قال اترك المعقول لا تعمل به حتى يؤيّد حكمَه المنقولُ

قلت اترك المنقولَ لا تعمل به   حتى يؤيّد حكمَهُ المعقولُ

وان ما يؤيده المعقولُ والمنقول ، لخليق ايها السادة والسيدات بان تتبعه النفوسُ والعقول ، غير عاثرة او مغلولة بقيود عائقة، واغلال خانقة، من سيء العادات ، قابضة الحريات

يا ويلنا ان لم نصبح ورجالنا يداً واحدة في كسر تلك القيود والاغلال ، آخذين منها الحريات اخذاً للنساء وللرجال ، انها عطية الله تعالى، وفيها الصلاح والرقيُّ والسعادة ، فخسئت عن سلبها العادة . ولله در الزهاويّ القائل :

لا ترتقي امةٌ حتى يكونَ لها   يوماً على سيءِ العادات عصيانُ

تم طبعه

في ٢٥ رمضان المبارك سنة ١٣٤٦

الموافق ١٧ آذار سنة ١٩٢٨

في مطابع قوزما — بيروت

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

JAFET LIB.
14 APR 2003
Circulation Dept. 3

A.U.B. LIBRARY
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00300835